الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلم

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان
تخصص العقيدة

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

التأصيل المنهجي لجمع الآراء العقدية في مسألة الخلافة

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ل.م.د تخصص: العقيدة

إعداد الطالب
عبد الرحيم بوعيسي

إشراف الأستاذ الدكتور:
اسعيد عليوان

اللجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	جامعة الانتساب
أ/د عمار طسطاس	رئيسا	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أ/د اسعيد عليوان	مشرفا مقررا	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/ برامة حسن	عضوا	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أ/د عصام عبد الحفيظ	عضوا	جامعة قسنطينة –2–
أ/د إسماعيل زروخي	عضوا	جامعة قسنطينة –2–

السنة الجامعية :1441–1442هـ //2019–2020م

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز الإسلامية

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من وقف إلى جانبي وساعدني على إكمال هذه الدراسة من قريب أو من بعيد ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور اسعيد عليوان الذي حصل لي الشرف أن يكون مشرفا على هذا العمل ، و الشكر موصول إلى اللجنة المناقشة وعميد كلية أصول الدين ، الأستاذ أحمد عبدلي، والدكتورة نورة محمد الشريف ، كما لا أنسى الأستاذ الدكتور العمري مرزوق الذي أمدني بدعم من نوع خاص ، هو وحده الذي يعرفه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلي ابنتيّ الغاليتين:

آلاء و مارية عسى الله أن ينفع بهما الأمة الإسلامية.

إلى والدي الكريمين وزوجتي

إلى أساتذتي الذين أكن لهم جميعا الود والاحترام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

الحمد الله الذي دلت عليه شواهد آياته فأغنت عن الشرح والبيان، نحمده حمدا يليق به سبحانه فهو المتفرد بالملك والتدبير والعبادة ، من وحده حق توحيد نال الشرف والسعادة ، ونصلي على رسوله المؤيد بقواطع الحجج والبرهان ، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا مهجهم في نصرة دينه على سائر الأديان وبعد:

فقد شغلت مسألة الخلافة في الإسلام بال الكثير من مفكريه وحتى غير المسلمين من المستشرقين عبر كل المراحل التي مرت بها، وقد أعطيت نصيبها من الدراسة الأكاديمية التي تلم بحيثياتها من قبل طائفة من الباحثين الأكاديميين وغير الأكاديميين ، إلا أن معظمهم إما أنه انطلق من إيديولوجيا معينة مثل ما فعل الكثير رجال الشيعة الذين انطلقوا من مبدأ اعتقادي قائم على أن الإمامة . مصطلح مرادف للخلافة . أصل من أصول الدين ، فراحوا يجمعون الأدلة ويتتبعون الآثار، حتى يقنعوا الناس بصحة مذهبهم ، وذهب بعضهم إلى أنها أصل من أصول المذهب الشيعي، وبالتالي من اعتقد بها كان شيعيا ، ومن لم يعتقدها كان من عامة المسلمين، كما تناولها بعض المستشرقين والكتاب الغربيين من جانبها التاريخي كما فعل –ول ديورانت – في موسوعته قصة الحضارة التي خصص فيها جزءا من المجلد الرابع للحديث عن الحضارة الإسلامية حيث بدأ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعرج في الباب العاشر من الكتاب الثاني الذي سماه "سيف الإسلام "على فترة الخلفاء الراشدين بعده ، ثم الخلافة الأموية ، والخلافة العباسية من بعدها ، وتتبع الأحداث حتى القرن الثالث عشر الميلادي . أما الخوارج فقد اتخذوا موقفا لم يسبقهم إليه أحد في التاريخ الإسلامي فقد كفروا بعض الخلفاء ، ليأتي دور المعتزلة الذين احتكوا ببني العباس واستطاعوا التأثير في بعض خلفائهم حتى اعتنقوا مذهبهم وراحوا يحاولون فرضه بالقوة على الرعية ، أما أهل السنة وإن كانت لهم السيادة على مر تاريخ الخلافة فقد عالجوا هذه المسألة وفق الطريقة نفسها التي سار عليها الأولون غير أنهم جعلوها مسألة من المسائل الفرعية التي لا تتعلق بأصول العقائد ، وزادوا على ذلك شدة الصراع بينهم وبين الشيعة ، وعليه فقد كانت المواقف متباينة بين جميع الأطراف ، ونحن إذ نقوم بهذا البحث إنما نود الوقوف على أهم الأخطاء التي وقع فيها

أصحاب الفرق أو الباحثون في هذه المسألة بشكل منهجي أكاديمي ، كما نحاول كذلك تناول الجوانب العقدية لها ، ذلك أنا إذا ما نظرنا إلى المسألة من جانب النتائج ،وسلمنا أن العبرة بالمآلات ، فحتما سنصل إلى أنها وإن تناولها السابقون والمتأخرون في كتاباتهم الفقهية ومسائلهم الفرعية ، فإن نتائجها عقدية بالدرجة الأولى ، فما من باحث في هذه المسألة إلا ويجد نفسه غارقا إما في بحر التضليل أو في طوفان التكفير، وما التضليل والتكفير والتفسيق إلا أحكام تضرب صلب العقيدة . الأمر الذي نتج عنه تمزق الدولة الإسلامية وسقوط الخلافة.

من جهة أخرى رأى بعض المفكرين والمصلحين حديثا أن عودة الخلافة أمر حتمي للخروج من الأزمات والمعانات التي تعيشها الإنسانية جمعاء وذلك جراء الانفلات العقدي الذي يسود العالم أجمع ، فعلى خلاف الديانات والرسالات الأخرى فقد حوى الإسلام على كل التشريعات التي تنظم حياة الناس وتكفل لهم حقوقهم وتضمن لهم الاستمرارية والسيادة الدينية والدنيوية ، وما يمكن للإنسانية العيش السعيد دون تسلط ولا خضوع لما يخالف ما جاءت به هذه الرسالة ، ورسمت للحاكم المنهج الذي يسير عليه ، ويسير في فلكه حتى يُوجد لمن يسوسهم الحماية والمعاش ، لكن سوء الفهم وتشعب المسلمين وكذا اختلاف الفهوم ، والإحساس بالظلم من جهة ، ومخالفة حكامهم لكتاب الله وسنة رسوله والأثرة بالحكم من جهة أخرى ولد الفرقة والاختلاف ، وبخاصة بعد مرحلة الخلافة الراشدة ، بل حتى قبيل انتهائها، حيث ظهر إلى الوجود، العصيان ومجابهة الخليفة ورد الطاعة ، والتعصب للرأي ومخالفة أهل المشورة من كبار الصحابة الذين قُبض رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وهو راض عنهم ، وبفعل هذه المستجدات التي طرأت على الساحة الإسلامية افترقت الجماعة الإسلامية واعتمد الحكام على مصادر أخرى غير القرآن والسنة في سياسة العباد فلم ينجحوا في توفير الحياة المثالية طوال خمس عشرة قرنا من الزمان ، حيث حملت هذه القرون في طياتها الكثير من الهزات والعثرات والمعانات ، وقامت خلالها ثورات لا تحصى ، وسالت أودية من الدماء ولا تزال إلى يومنا هذا؛ ونتج عن هذا الوضع استقلال دول كثيرة عن الخلافة الرئيسية، ولئن كان هذا الأمر موجودا منذ مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنه لم يظهر بهذه الصورة المشينة إلا بعد السقوط النهائي للخلافة الإسلامية في نهاية الربع الأول من القرن الماضي. وهو ما دفع بالعديد من المفكرين كما ذكرنا إلى

الدعوة إلى إعادة الخلافة الإسلامية وممن نظر لها محمد رشيد رضا (الخلافة الإسلامية)، والمودودي وسيد قطب الذين دعيا إلى ما أسمياه (الدولة الدينية)، بينما اختار حسن البنا فكرة (الدولة الإسلامية) ، فيما اختار قبل ذلك جمال الدين الأفغاني تبني مشروع (الجامعة الإسلامية) ، مع الإشارة إلى أن المشاريع الأربعة السالفة الذكر تصب كلها في بوتقة واحدة هي قضية الخلافة الإسلامية وكيفية إعادتها. هذه المشاريع عرف بعضها الإجهاض، كما عرف البعض الآخر مقاومة من دعاة الدولة المدنية العلمانية، فيما انسلخت بعض المشاريع حتى عدت في حقيقة فكرها امتداد لفكر الخوارج ما جعل البلاد الإسلامية تعاني مزيدا من الفرقة والتشتت.

ولعل من أهم الأسباب الرئيسية في ظهور الفرقة والتشرذم الذي تعيشه الأمة الإسلامية انتصار حكامهم وميلهم لفرقة دون الأخرى وعدم انصياعهم إلى الحق وتبنيهم أسس وآراء فرقة معينة، وفرضها على الرعية ، ومن ثمّ حيث الانتصار إلى المذهب على حساب أسس الديننابع من بيت الحكم ؛ ومن جانب آخر أتم إدراج مسائل فقهية ضمن المسائل العقدية ، وأُعطيت أكثر من حقها وتولاها العامة حتى صارت في كثير من الأحيان تُغَلَبُ عصبية الفرقة والهوى ، وعصبية الدم والنسب على مصلحة الأمة. واتخذ بعض مفكريها آيات القرآن دليلا لاصطياد الأتباع ، فجعلوا طاعة الحاكم المطلقة من طاعة الله ومعصيته من معصية الله وإن خالف الدين والشريعة وظلم واستبد وعاث في الأرض فسادا. كما امتدت أفكار الماضي إلى الحاضر حتى صارت أمة الإسلام تعيش الوضع نفسه الذي عايشته أوربا أيام سيطرة رجال الكنيسة على الحكم ومصير العباد في الدنيا والآخرة لذلك كانت من الضروري البحث عن كيفية جمع هذا المشتت وعليه وسمت بحثي بالعنوان التالي :**التأصيل المنهجي لجمع الآراء العقدية في مسألة الخلافة**

الإشكالية

كيف أصّل أصحاب الفرق لآرائهم العقدية في مسألة الخلافة بناء على مواقفهم من الخلفاء الأربعة ومن حكم بعدهم ؟ وهل يمكن جمع آراء الفرق العديدة وصبها في قالب واحد يقيم خلافة الإسلام ويجمع شمل الأمة ؟ ما هي الأصول والمصادر التاريخية والعقدية التي يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى الهدف الذي نصبو إليه؟ واندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية

أجابت عنها فصول الدراسة وهي : كيف تبنى الصحابة فكرة الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي الطرق التي تم بها تنصيب الخلفاء الراشدين ؟ وكيف تحول الحكم من نظام الخلافة إلى النظام الملكي ؟ وما هي المواقف العقدية للفرق الإسلامية من الخلافة الراشدين ومن جاء بعدهم ؟ وكيف تطورت هذه الآراء في الحاضر وما هي الطرق التي تبنتها الفرق المعاصرة للوصول على منصة الحكم ؟

أسباب اختيار الموضوع

. تأخر بداية الكتابة في التاريخ الإسلامي حيث لم يجد الاهتمام الذي حظيت به السنة النبوية ، وقد يرجع ذلك إلى خوف الكتبة من الوقوع في الحرج ، أو اهتمامهم بما هو أهم.

. اكتفاء المؤرخين في ذلك العصر بكتابة كل ما قيل حتى ولو كانت رائحة الأخبار تفوح بالكذب لعدم تعلقه بالحلال والحرام.

. اعتماد الكثير ممن يكتب في الفرق وتاريخ الخلافة على الإمام الطبري والأخذ عنه دون مراعاة القاعدة التي أقرها في مقدمته حيث رفع عن نفسه الحرج وبرّأ نفسه ، حين أقر في مقدمة كتابه تاريخ الأمم والملوك بأنه ناقل للأخبار لا محقق لها وما كان فيها من صحة أو وهم فإنه لم يؤت في ذلك من قبله ، وإنما هو نقل ذلك على وفق ما نقل إليه .

. اتهام بعض الدراسات و البحوث الإستشراقية للمسلمين بأنهم ليسوا أمة واحدة وأنهم أخفقوا في تشكيل المجتمع المتماسك ، بل هم عبارة عن مجموعة من القبائل جمعتهم المصالح ، ثم أعمتهم الزعامة وفرقت بينهم من جديد.

. تطور الفكر الخارجي اليوم ولبسه لصور جديدة لم تظهر عبر التاريخ الإسلامي ما جعل أصابع الاتهام بالإرهاب توجه إلى الإسلام دون غيره من الأديان.

. إيماننا أن الأمة الراشدة هي التي تصنع الخليفة الراشد ، وأنه لا وجود للخلافة الحقيقية على الأمة بعد الفتنة التي وقعت زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، والانقلاب على علي رضي الله عنه ومقتله.

. كثرة الدماء واختلاف الأمة بظهور الفكر التكفيري الذي يقول عنه حسين الخشن إذ يرى الكثير من الباحثين أن بحر الدماء الذي تغرق فيه الأمة في معاركها الداخلية العبثية ليس سوى ثمرة دامية من ثمار مقولة التكفير والخروج ووجوب قيام الخلافة الإسلامية من جديد.

مناهج البحث

احتاج الباحث في هذه الدراسة إلى توظيف مجموعة من المناهج وهي: التاريخي والتحليلي والمقارن.

المنهج التاريخي: استخدمته في جميع مباحث الفصل الأول من خلال الحديث عن التطور التاريخي الذي مرت به الدولة الإسلامية بدء بأهم مرحلة عرفها النظام الإسلامي وهي مرحلة الخلفاء الراشدين، وهذا من خلال تطرقي جانب من سيرهم وكذا وقوفي على الظروف التي أدت إلى توليهم للحكم ، وكيفيات تعيينهم ، وما جرى في أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما من أحداث وفتن .

كما وظفه في الفصلين الثاني والثالث عند تعريفي ببعض حكام بني أمية وبني العباس ، وكذا حديثي عن الأحداث التاريخية التي صاحبت ذلك، وفي الفصل الثالث وظفت هذا المنهج تناولي للظروف التي أدت إلى نشأة الفرق الإسلامية الكبرى ، وكذا الحديث على التطور التاريخي والفكري الذي عرفته الدولة الإسلامية ، وبشكل عام فلا تكاد تخلوا هذه الدراسة من هذا المنهج في كل فصولها .

أما المنهج التحليلي فيتجسد من خلال عرض الأدلة ومناقشتها وإيضاح المشكل منها ؛وقد وظفت هذا المنهج في الفصل الثالث من الدراسة عند ذكري لمواقف أصحاب الفرق من الخلفاء الراشدين ، كذا ما تعلق بالتأصيل لشرعية الحاكم من عدمها ، كما يظهر هذا المنهج في الفصل الأخير من الدراسة حين تناولت مسالة الحكم عند الشيعة الحديثة ومواقفهم من الخلفاء الراشدين ، وكيفية إدارة الحكم بعدهم ، وردنا على من جعل الإمامة أصلا من أصول الدين وبنى على ذلك شروطا خاصة بالخلافة والخليفة ومن ينوب عنه ، كما وظفته عند تناولي للنظريات الجامعة في المسألة في العصر الحديث.

أما المنهج المقارن وإن لم تكن الحاجة إليه بقدر الحاجة المنهجين السابقين إلا أنه قد فرض نفسه عليّ بحكم تعدد الآراء و الاتجاهات التي أبرزت مواقفها وآراءها حول مسألة الخلافة وخاصة في الفصلين الثالث والرابع.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة الخلافة الراشدة وكيفية قيامها ، وطريقة انقراضها ودراسة الفكر السياسي عند فرق الإسلام دراسة عقدية ونقدية في ذات الوقت. فهي:

– تسلط الضوء على الآراء العقدية لفرق الإسلام الرئيسية حول مسألة الخلافة وبيان مواقفها من مسألة الخلافة وموقعها من الدين وأصوله .

– تجيب على السؤال القديم الجديد : هل الخلافة — الإمامة – أصل من أصول الدين؟

كما تحاول أن تكشف علاقة الفرق الحديثة بالقديمة ، وأصول آرائها في المسألة ، وما هو المحرك الأساسي لهذه الفرق وآرائها ؟ وهل هي فعلا امتداد للفرق القديمة ؟

– هي محاولة لقراءة الفكر السياسي الديني المعاصر الذي لبس ثوب الدين واختفى وراء ستار إعادة الخلافة ، ولم يأخذ من تاريخ الخلافة إلا مسلك الخروج بالقوة على الحكام ، أو تسليط الحكام بالقوة على شعوبهم.

–تحاول الخروج بحل جامع للآراء العقدية حتى يتسنى للأمة الاجتماع بعد الفرقة التي فرضت علينا بفعل تعدد المواقف وآثارها.

الدراسات السابقة

لم نجد دراسة شاملة للموضوع من جميع جوانبه في مجال الدراسات العقدية وإن وجدت دراسات فهي إما تناولت هذا الموضوع في إطار الفقه الإسلامي أو السياسة الشرعية ، أو تناولته بدراسة لآراء فرقة معينة دون أخرى ، أو كانت عبارة عن ردود فرقة على مواقف أخرى ، فهي إذن عبارة عن دراسات فقهية أو عقدية متفرقة ، ذلك أن الموضوع محل الدراسة من بين المواضيع المتعبة والحساسة في ذات الوقت وتناوله يقتضي مزيدا من الصبر، هذا من جهة ، كما أن للباحث رؤيته الخاصة والمستقلة عن رؤى غيره للموضوع وهو ما اضطره إلى الاعتماد في هذه الدراسة على

مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع وبحوث ودراسات سابقة الجزئية التي كانت عبارة عن لبنات للباحث بنا بها أساس بحثه ، وساهمت في إتمامه منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث نذكر منها:

-دراسة الأستاذ أحمد السيد جاد المراكبي الموسومة ب: الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه نوقشت قبل ربع قرن في كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وهي دراسة جادة ومهمة شملت نشأة الدولة الإسلامية ومرحلة الراشدين، ثم مقارنة نظام الحكم الإسلامي – الخلافة – بأنظمة الحكم المعاصرة كالديمقراطية التقليدية، والأنظمة الشمولية (الماركسية والديكتاتورية)، وقد تعرض فيها الباحث إلى مواقف بعض الفرق الإسلامية من الحكم لكنه تركيزه كان أكبر على المقارنة الحكم الإسلامي بحكم الغربي .

-دراسة الباحث أحمد بوقجاني بعنوان : موقف الفرق الإسلامية من سياسة بني أمية ، وهي رسالة ماجستير عن جامعة الجزائر – 1 – كلية العلوم الإسلامية ، نوقشت هذه الرسالة في الموسم الجامعي 2014-2015 م ، وقد تناولت هذه الدراسة جوانب جد هامة من خلافة بني أمية ، جاءت في خمسة فصول ، حيث ناقشت المواقف العقدية والسياسية لبني أمية مع المعارضة في فصلها الأول ، ثم عرّجت على مواقف المعارضة من الخلافة ، بدء بموقف الصحابة ، ثم مواقف مختلف الفرق الإسلامية وعلى رأسها المحكة الأولى ، ثم الشيعة ، ليليه موقف أهل السنة والجماعة ، وخصص الفصل الأخير لبيان موقف المرجئة والمعتزلة.

-دراسة الدكتور عبد الرزاق السنهوري في فقه الخلافة ، وهي رسالة دكتوراه ضمن مشروعه في الفقه والقانون وإدارة الدولة وهي بعنوان: فقه الخلافة لتصبح عصبة أمم شرقية . وقد قام بترجمتها من الفرنسية كل من ابنته نادية وزوجها الدكتور الشاوي.

-دراسة الأستاذ لؤي الصافي الموسومة ب: العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية التي نشرها ضمن سلسلة إصدارات المعهد العالم للفكر الإسلامي والتي تناول فيها تأصيل الصحابة وأئمة السلف لمسألة الخلافة ومن جاء بعدهم إلى أن وصل إلى تأصيل الماوردي للمسألة في كتابه الأحكام السلطانية حيث حلل نظريته وانتقدها ذلك أن الإمام الماوردي اهتم بالجانب السياسي وأهمل الجانب المقاصدي ، ثم عرج على نظرية ابن خلدون الذي تنبه إلى الخطأ

الذي وقع فيه الماوردي فتبنى فكرة العصبية في نظريته حول الخلافة ،كما انتقد كذلك النظريات الحديثة في الخلافة لكل من أبي الأعلى المودودي ، جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده و تلميذه محمد رشيد رضا وبعض معاصريهم أو من جاء بعدهم.

-دراسة الدكتور أحمد شوقي الفنجري بعنوان : كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية حيث تناول نظرية الحاكمية والإمام المعصوم ثم عكف على دراسة أفكار الجماعات الإسلامية في شتى أنحاء العالم وتصورها لما يمكن أن تطبقه إذا وصلت إلى الحكم ، وكذا النظم التي طبقت الإسلام في دولها كالسعودية وباكستان وإيران و السودان.

-دراسة الباحث سمصار بعنوان : نظام الخلافة في الفكر الإسلامي المعاصر وهي رسالة ماجستير عن جامعة الحاج لخضر بباتنة .

-دراسة الباحث طارق سالم الأشرم من جامعة غزة وهي رسالة ماجستير بعنوان: الخلافة الإسلامية معوقاتها وسبل إعادتها (2009 م، 1430هـ). تناول فيها أسباب سقوط الخلافة والآثار السلبية عن ذلك، والمعوقات التي حالت دون عودتها .

-دراسة الباحث ناصر بن عبد الله علي القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ودراسته هي رسالة دكتوراه عن جامعة محمد بن سعود وقد أعاد إصدارها في كتاب من مجلدين ، وهي من الدراسات الشاملة لمذهب الإمامية.

-دراسة الأستاذ الدكتور عمار الطالبي المعنونة ب: آراء الخوارج الكلامية وهي رسالة ماجستير أصدرها في شكل كتاب من جزأين استوعب فيها جميع فرق الخوارج القديمة وما اشتهر أو شذ من أقوالهم ومواقفهم وما يميزهم عن غيرهم من الفرق ، حيث شملت هذه الدراسة فرق الخوارج الرئيسية وما تفرع عنها من زمن أول خليفة أموي إلى آخر خليفة عباسي. وقد حذا حذوه في دراسة فكر الخوارج الباحث غالب بن علي عواجي، في رسالة ماجستير عن جامعة الملك عبد العزيز بعنوان : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف المسلم منها. غير أنه أضاف إلى الآراء موقفه ونقده ؛ إلا أن عنوانه يحتاج إلى نقد كذلك ، لأنه قصد – بموقف المسلم منها – موقف أهل السنة والجماعة – أصحاب الإمام أحمد وابن تيمية وابن عبد الوهاب – ، وكأنه بذلك يحكم على الخوارج بالخروج عن الإسلام ويحصر أهل السنة فيمن ذكرنا.

المصادر والمراجع

بالإضافة على ما ذكر في الدراسات السابقة فقد اعتمد الباحث على مجموعة المصادر والمراجع المتنوعة ، حيث جمع بين المصادر القديمة والحديثة ، كما اعتمد على أهم مصادر ومراجع الفرق التي تناولتها الدراسة من كتب الفرق والتاريخ الإسلامي وبعض المقالات والمجلات العلمية من بينها

- كتاب تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري ، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، وغياث الأمم لأبي المعالي الجويني ، والفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي ، الملل والنحل للشهرستاني ، والأحكام السلطانية لكل من الإمام الماوردي والقاضي أبي يلعى ، والفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم ، و تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ، والأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني ، وطبقات المعتزلة لابن المرتضي ، وكاتب الخلافة والملك لأبي الأعلى المودودي ، وأصول الكافي ، وبحار الأنوار ورسائل المفيد ، وأصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطا، وأصول الاجتهاد الكلامي لحسين الخشن ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ، وغيرها من الكتب والمجلات والمقالات حول الفرق الحديثة والتيارات المعاصرة التي تخدم الموضوع.

منهجية البحث

تم الاعتماد في هذه الدراسة على العديد من المصادر البحثية وخاصة التاريخية منها ، ولم أعتمد في ذلك على أسبقية المصادر من حيث التأليف ، وإنما يتم توظيف كل مصدر أو مرجع حسب الحاجة إليه أثناء مراحل الدراسة ، ومن ثم ذكرت أهم القضايا التي أثيرت حول مسألة الخلافة أو الإمامة ، وركزت على آراء الفرق الرئيسية دون الدخول في التفاصيل ، وانتهجت أسلوب الإيجاز والاختصار خاصة فيما يتعلق بالمسائل والآراء القديمة التي تجوزها الزمن ولم تعد تثار في الساحة الفكرية اليوم.

صعوبات البحث

كغيري من الباحثين فقد واجهتني صعوبات مختلفة منها ما يتعلق بالبحث في مادته العلمية ، ومنها دون ذلك ولعل أهمها:

-اتساع الموضوع وتنوع مصادره ومراجعة مما يصعب عملية اختيار المصدر الأنسب.

-تفرق المادة العلمية وتنوعها وحاجة البحث إذ أنه يقتضي توظيف المصادر والعقدية والحديثية والكلامية والتاريخية والسياسية والعلمية والفكر المعاصر.

-افتقار الكثير من المصادر والمراجع إلى الأصالة والشمولية ، وحساسية الموضوع التي جعلت كل من ينتمي إلى فرقة أو تيار فكرى يدلي بدلوه في الموضوع سواء كان من أهل الاختصاص أو من عامة الناس ثم يدعي أن مصادر بحثه هي الأوثق والأصلح ، وهذا ما يأخذ كثيرا من وقت الباحث وجهده في التنقيح والتمحيص والتفريق بين الغث والسمين.

-عدم تمكني من السفر إلى مظانّ المصادر لاشتعال الحروب والفتن في معظم البلاد الإسلامية التي تحوي المصادر الأصلية للدراسة.

- شمولية الدراسة واستيعابها لمرحلتين زمنيتين متباعدتين ما جعل الباحث يختصر كثيرا من القضايا ويوجز في بعضها.

-صعوبة الحسم في بعض القضايا لتشابكها ، وتعلقها بالإيمان والمسائل العقدية الخطيرة التي قد تعصف بالمصير الأخروي للباحث إن أخطا في إصدار الأحكام حتى من الجانب النقدي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصول الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول ، تناول الفصل الأول الخلافة الراشدة ، وقد أدرج تحته أربعة مباحث وخاتمة للفصل وخصص لكل خليفة مبحثا الأول فالأول ؛ فتناول المبحث الأول خلافة أبي بكر الصديق ، والثاني خلافة عمر بن الخطاب ، والثالث خلافة عثمان بن عفان ، وخصص المبحث الرابع لخلافة علي رضي الله عنهم جميعا.

الفصل الثاني من الدراسة تناول فيه الباحث الدولة بعد عصر الخلفاء الراشدين وجاء بعنوان : تحول نظام الخلافة بعد مرحلة الراشدين والمواقف العقدية التي تبعته ، وبعد أن قدم لهذا لفصل خصص المبحث الأول الدولة الإسلامية في عصر بني أمية ، أما المبحث الثاني فتعرض فيه الباحث للحكم الأموي بعد وفاة ابن الزبير ومواقف بعض الحركات منه ، أما المبحث الثالث فخصص للدولة العباسية وأهم الآراء العقدية التي ظهرت في صدرها وأهم الدول التي انفصلت عنها ، وبما أن مرحلة حكمهم صاحبها ظهور حركات ودول جديدة فقد خصص المبحث الأخير لحركات الخروج والدول التي لم تخضع للخلافة العباسية أو انفصلت عنها في المغرب الإسلامي.

الفصل الثالث من هذه الدراسة تناول فيه الباحث أصول الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام ومواقفها من الخلافة فخصص لكل فرقة مبحثا ، فبدأ بالخوارج بحكم أنهم أول الفرق ظهورا عند أغلب الباحثين ، ثم الشيعة وبعدهم المعتزلة ، وآخر مبحث في هذا الفصل كان لأهل السنة.

الفصل الأخير من الدراسة عرج فيه الباحث على جهود الإصلاح والنظريات الجامعة لمسألة الخلافة في العصر الحديث ، وبحكم أن الصراع الحديث حول الحكم كان ثنائي القطبية بين الشيعة والسنة فقد تناول الباحث في فيه ثلاث مباحث خصص الأول لجهود الإصلاح عند الشيعة ونظريتهم في الخلافة ، والثاني كان لجهود الإصلاح عند أهل السنة ونظريات بعض مفكريها ، أما المبحث الثالث و الأخير فقد حاولنا فيه الخروج بالنظريات الجامعة.

أما خاتمة الدراسة عرض فيها الباحث أهم النتائج التوصيات ؛ هذا والله من وراء القصد وصلى الله على نبينا محمد.

مدخل عام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل عام

في هذا المدخل العام سنلقي نظرة تاريخية نرسم فيها معالم نظام الحكم في الإسلام خلال أربعة عشر قرنا من الزمان ، ونعرف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث

أولا : نظرة تاريخية في نظام الحكم الإسلامي

تعد مسألة الخلافة من المسائل الحرجة في المسار التاريخي والعقدي للأمة الإسلامية منذ وفاة – النبي صلى الله عليه وسلم – إلى يوم الناس الذي نحياه ، فقد كان الاختلاف في الإمامة بين الصحابة هو التمهيد لأصل لكل الخلافات اللاحقة ، كما كانت الاجتهادات في مسألة الخلافة عينها فاتحة لما استقبل منها ، والتاريخ يحمل في طياته معطيات تعد شاهدا على أن الصحابة اجتهدوا بالرأي ، وتجاوزوا محنة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي تركهم دون أن يعين أو يدلي بنص صريح حول هذه المسألة ، وتوالى الخلفاء الراشدون بعده وتعددت طرق اختيارهم ، ثم استحدثت من بعدهم مؤسسة الخلافة ، هذه الأخيرة بقيت صامدة على مدار ثلاثة عشر قرنا من الزمان على الرغم من تلك الحملات والهزات التي كادت أن تعصف بها على فترات متعاقبة من الزمان ، بداية بالهزة الأولى التي عرفتها في القرن الأول على يد معاوية بن أبي سفيان ، الذي رفض خلافة علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – بدعوى الثأر لقتلة عثمان **رضي الله عنه**، وهو ما تحقق له ، حيث نقل بيت الخلافة من الكوفة إلى دمشق ، بعد أن نقلها علي **رضي الله عنه** قبله من المدينة إلى الكوفة خوفا من استباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإراقة الدماء فيها بعد الفاجعة التي ألمت بالمسلمين — مقتل عثمان بن عفان — رضي الله عنه ، ثم تلى ذلك تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية عن الخلافة رغبة في جمع الأمة على خليفة واحد ، ليقوم هذا الأخير بتغيير نظام الحكم في الإسلام من الخلافة العامة إلى الملك العضوض ؛ الأمر الذي أثار بعض الصحابة وأبناء الصحابة على بيت الخلافة .

وقد نتج عن مواقفهم استئصال الحسين وأهل بيته في نكبة كربلاء ، ثم دعوة عبد الله بن الزبير إلى نفسه بالبيعة في الحجاز والمدينة ، ووصوله إلى رتبة الخليفة على المسلمين ، موازاة مع ورثة معاوية من أهل بيته الذين وقفوا الند للند له وقضوا عليه وعلى أصحابه .

ثم تتالت النكبات بعد ذلك ، حيث قضى العباسيون على أحلام بني أمية في سيادة المسلمين والوصاية عليهم مدة أطول ، وأعادوا مركز الخلافة من جديد إلى بغداد — دار السلام – ليأتي المغول بعد ذلك ويعيثوا في الأرض فسادا ، ويحرقوا تراث المسلمين وغيرهم ،ويرموا ما تبقى في نهر دجلة ، وفي الوقت نفسه بدأت تتلاشي قوة بني أمية في بلاد الأندلس التي لم تخضع للخلافة العباسية ، وظهرت بوادر الانحصار وعودة الإسلام إلى دياره من الجهة الغربية ، كما سقطت بيت المقدس وخضعت مدة غير يسيرة لسلطان الصليبية ، إلى جاء الخلاص على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان له شرف الفتح الثاني لبيت المقدس بعد الفتح العمري الأول.

وبنهاية العباسيين والمماليك ، حل محلهم البيزنطيون الذين أقاموا إمبراطورية أسقطها العثمانيون بقيادة محمد الثاني ، وبذلك تولى العثمانيون خلافة المسلمين حتى بداية القرن العشرين التي عرفت الاضمحلال السياسي سقوط الخلافة الإسلامية ، وظهور القوى الغربية العظمى ، فانهدت مؤسسة الخلافة ، وانهدت معها حتى العقائد الإسلامية ، وأصبح أمر المسلمين وبلادهم لعبة في يد قوى الاستعمار الصليبي يديره كيف يشاء ، وهو ما أوضحه ابن جلدتهم بقوله: في العقود التي أعقبت سنة 1918 للميلاد حاول البريطانيون ومن ثم الأمريكيون بالتناوب التلاعب بالدين والقومية بغية ضمان مصالحهم في المنطقة وذلك بالبحث عن رجل قوي يمثل النقطة البؤرية للقومية العربية أو محور الوحدة الإسلامية [1]. وهكذا صار بذلك مصير المسلمين وحكامهم بيد أعدائهم ولم تقم للإسلام قائمة بعدها إلى اليوم ؛ كل ذلك بسبب الصراع على السلطة.

هذه الأمور دفعتنا إلى إعادة النظر في قضية الخلافة ، والبحث في مضان كتب التاريخ والفكر الفرق عن مواطن الداء ، حتى نصل إلى وصف الدواء ، ورسم صورة مستقبلية ، لعلها تفيدنا ، في الخروج من بوتقة الخلافة والخلاف حولها ، والعودة إلى سكة الصواب والمصدر الأساس الذي تستقى منه أصول الحكم في الإسلام وكيفيات إدارته ، بتقديم مصالح الدين والأمة على المصالح الضيقة التي عصفت بالراعي والرعية .

[1] أندريه جيروليماتوس ، قصور من الرمل قرن من التجسس والتدخل الأنكلوأمريكي في الشرق الأوسط ، ترجمة أنطوان باسيل ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2012 ، ص80.

وحتى يتسنى لنا تقديم صورة حول الموضوع محل الدراسة ، لا بد لنا من بيان بعض المصطلحات التي سترافقنا خلال هذه الدراسة ، والتي نرى بأنها مهمة للغاية حتى نساعد القارئ الكريم على استيعاب الأفكار التي نصبو إليها.

ثانيا : مفاهيم أساسية حول الموضوع

1 مفهوم التأصيل

1-1 التأصيل لغة

جاء في المعجم الوسيط : أصّل الشيء أي جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه ، وأصل الشيء أساسه الذي يبنى عليه ومنبته الذي ينبت منه.

1-2 التأصيل في الاصطلاح

عرفه الأستاذ محمد هيشور بقوله: يعني التقعيد العلمي والفكري، ومحاولات التأسيس لهما من خلال المرجعيات الكبرى[1].

ويعرفه رضوان السيد بقوله: التأصيل هو رد الشيء أو الأمر إلى أصله ويقصد به الإسلاميين الاحتكام في المسائل والقضايا كلها إلى أصلي الشريعة الأساسيين القرآن والسنة[2].

1-3 التأصيل العقدي

التأصيل العقدي هو رد الأفكار والآراء والنظريات إلى مصادرها ومراجعها الإسلامية الأصيلة وهذا ما يعرف بالتأصيل الفكري الإسلامي فإذا أقيم الدليل والاستشهاد على الرأي من القرآن أو السنة أو ما أجمع عليه علماء الأمة فقد رد إلى أصله أو صار له أصل ومصدر ثابت.

ونقصد بالتأصيل المنهجي للآراء العقدية: التقعيد إلى آراء الفرق وأصول أقوالها وذلك ما عبّر عنه الشهرستاني بقوله: مطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل ، والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها[1].

---

1 منهج الشيخ محمد الغزالي في التجديد والإصلاح، أعمال الملتقى الوطني الأول ،أفريل 2001،دار اليمن للنشر التوزيع والإعلام قسنطينة ، ص76.

2 رضوان السيد، سياسات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات، جداول للنشر والترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2015 م ، ص125.

وقد ظهر هذا الاتّجاه قديماً في كتب الملل والنحل بينما ذهب بعض المتأخّرين إلى نظرية مضادّة نفت ذلك النوع من التأثّر ، ورأت أصالة الفِرق الإسلامية على اختلافها ، فقال الدكتور النشّار ملخّصاً وجهة نظره في هذه المسألة : إنّ فلسفة أيّة أمّة من الأمم هي انبعاث داخلي عقلي يعبّر عن الروح الحضارية لهذه الأمة ، وأنّه ليس من المعقول أن تتشابه الانبعاثات الداخلية العقلية لأمتين مختلفتين أشدّ الاختلاف جنسياً وعقلياً ولغوياً ، وإنّ فلسفة أمّةٍ ما من الأمم لا تخرج عن دائرة السنّة التي تضعها هذه الأمّة[2].

2 مفهوم المنهج

2-1 المنهج لغة

المنهج والمنهاج: الطريق الواضح والخطة المرسومة[3]، ونهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى وقد أنهجه البلى [4] . ونهج الأمر وأنهج وضح ومنهج الطريق ومنهاجه قَالَتَعَالَى:﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾ [5]

ونهجت الطريق : أبنته و أوضحته ، يقال :اعمل على ما نهجته لك ، ونهجت الطريق ، سلكته وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه . والنهج الطريق المستقيم ونهج الأمر وأنهج إذا وضح [6]. ومن خلال هذا استخلص سعيد قاسمي أن معاني المنهج في اللغة تتمحور حول ثلاث معان وهي:

---

[1] الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح أحمد فهمي محمد ،دار السرور ، بيروت، ط1 ، 1368هـ – 1948م ، ج1 ، ص1.

[2] علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق، ج2 ، ص211.

[3] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ، د ط ، 1994 م ، ص 636.

[4] الأصفهاني الراغب ، حسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1409هـ – 1988م ،ص 528.

[5] سورة المائدة ، الآية 48.

[6] ابن منظور ، أحمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ،دار صادر ، بيروت ، دط ، 1956م ، مادة نهج ، ج 12، ص94.

1 البيان والوضوح: يستعمل صفة للطريق ، وتكون مستحقة لهذا الوصف إذا تحددت معالم السير فيها ، من حدود جوانبها واتجاه مسارها ونقطة الوصول فيها.

2 الإستقامة : وهي صفة مكملة للصفة الأولى، إذ أن استقامة الطريق تزيدها بيانا ووضوحا لمن يسلكها.

3 السلوك والاتباع: وهذا المعنى لا يدل على صفة الطريق ، وإنما يحمل علة غائية للطريق ، لأن الطريق إنما وضعت لتتخذ مسلكا يتبع سواء كانت طريقا حسية أو معنوية[1].

2-2 اصطلاحا

هناك تباين بين العلماء في ضبط مفهوم المنهج إلا أننا من خلال بيان تعريفاته اللغوية يمكن نختار له أهم التعريفات الاصطلاحية له ومنها:

تعريف عبد الرحمان بدوي : هو الطريق المؤدي إلى لكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[2].

ويعرفه عبد الفتاح خضر بقوله : هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون لها عارفين [3]. أو هو الطريقة التي يتعين على الباحث أن يلتزم بها في بحثه باتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير البحث ، ويسترشد بها الباحث في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة لمشكلة البحث، أما المنهج عند جلال موسى فهو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية في أي مجال[4].

ولعل أفضل تعريف له هو ما أعطاه له الأستاذ محمود شاكر حيث يقول : ولفظ المنهج يحتاج من هنا إلى بعض الإبانة وان كنت لا أريد به ما اصطلح عليه المتكلمون في هذا الشأن بل أريد ما قبل المنهج أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه فهذا الذي يسمى منهجا ينقسم إلى

---

[1] السعيد قاسمي ، المنهج القرآني في بناء العقيدة ، رسالة دكتوراه في العقيدة ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة باتنة 1 ، 1434-1435هـ ،2013-2014م ، ص06.

[2] عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 1977 م ، ص5.

[3] عبد الفتاح خضر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي .www kotobarabia.com، ص16.

[4] جلال محمد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، ص273.

قسمين ، فشطر المادة : يتطلب قبل كل شيء جمعها من مضامينها على وجه الاستيعاب المتيسر، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية ومهارة ،حذق وحذر حتى يتيسر للدارس أن يرى ما هو زيف جليا واضحا ، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا بلا غفلة وبلا هوى وبلا تسرع. أما شطر التطبيق فيقتضي ترتيب المادة بعد نفي زيفها وتمحيص جيدها باستيعاب أيضا لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع لأن أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها خليق أن يشوه الصورة تشويها بالغ القبح والشناعة [1].

وبناء على ما سبق فإننا نعرف المنهج بقولنا : هو الطريق البين المؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة بتوظيف جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير البحث وتحدد عملياته بدقة متناهية تعصم الباحث من الخطأ حتى يصل إلى نتيجة مقبولة.

3 منهج التأصيل العقدي

لا نجد له تعريفا عند القدامى ؛ إلا أن بعض الباحثين المعاصرين حاولوا تعريفه ، فعرفه سعيد العريفي بقوله: هو الطريقة التي يتبعها الناس لمعرفة دينهم وتقريرِ أصوله ومسائله ودلائله وذلك يشتمل على جانبين ؛ جانب المصادر التي يستقي منها الناس معتقداتهم ومبادئهم وأفكارهم حول الحقائق الغيبية للكون وخالقه، والإنسان والحياة، والجانب الآخر هو أسلوب تعاملهم مع هذه المصادر ليفهموا منها رأيا معينا ؛ فإن اتفاقهم على مصدر معين لا يعني ضرورة اتفاقهم على الآراء المستخرجة منه ؛ لاختلاف طرائق الفهم عند الناس[2].

أما رضوان السيد فقد رد الفضل في ظهور هذا المنهج إلى رجالات الفكر الإسلامي المعاصر الذين نادوا بعودة الخلافة كأمثال محمد رشيد رضا، وعرفه من خلال مقارنته بمنهجي القياس والمقاصد من حيث الظهور فقال: هو منهج استخدم في مجال الفكر الإسلامي منذ ثلاثينيات وما يزال قويا حتى اليوم ، وهو منهج جديد مقارنة بالمنهجين المعروفين في الفقه الإسلامي: المنهج القياسي ومنهج مقاصد الشريعة[3].

---

[1] محمد محمود شاكر ، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مكتبة الخانجي ، مصر، دط ، دت ، ص22.

[2] سعود بن عبد العزيز العريفي ، مقال بعنوان مدخل إلى منهج التأصيل العقدي ، شبكة الألوكة ، 2011/01/04م.

[3] رضوان السيد ، سياسات الإسلام المعاصر، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،2015م ، ص129.

4 الخلافة والإمامة

4 – 1 الخلافة في اللغة

لهذا المصطلح معان عدة في اللغة من بينها:

جاء في التهذيب : خلف ضد قدام[1] وقال ابن فارس في مقاييس اللغة تقال للجيد والرديء [2].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ [3]

كما تعني القرن بعد القرن حيث ذكر الجوهري أن الخلف هو القرن يقال : هؤلاء خلف سوء لناس سابقين كما يقال للمن مات له ولد أخلف الله لك ، ويقال لمن مات له والده أو من يكفله خاف الله عليك ، أي كان الله خليفة من مضى عليك[4]. وجاء في الوسيط خلفا وخليفة: جاء بعده فصار مكانه ، وكان خليفة ويقال خلفه في قومه ، واستخلفه جعله خليفته[5].

وتأتي بمعنى السلطان الأعظم: الخليفة على وزن فعيلة ،السلطان الأعظم[6] والجمع خلائف جاؤوا به على الأصل فعيلة وفعائل ومنه قول الله تَعَالَىٰ:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [7].

4 – 2 الخلافة في الاصطلاح

وردت تعريفات كثيرة ومتعددة للخلافة حيث نجد الكثير ممن يعرفها يربط بينها وبين مصطلح الإمامة ويعطيانهما معنى واحد ، ويستدلون بقوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

[1] محمد بن أحمد الأزهر، تهذيب اللغة ،مادة خلف تح عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط ، دت، ج3 ، ص393.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر،ط1 ،1399هـ – 1989م ،ج2 ، ص201.

[3] سورة مريم ، الآية 59.

[4] المصدر نفسه ج7، ص393.

[5] المعجم الوسيط ، مصدر سابق ، ص251.

[6] إسماعيل بن حماد الجوهري، تاريخ اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، دط، دت .ج 4، ص1356.

[7] سورة ص ، الآية 26.

فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [1].

- عرفها الإيجي بقوله : "هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه في كافة الأمور" [2]

ويعرفها القشلندي بقوله:" الخلافة هي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها"[3].

أما ابن خلدون فيعطيها التعريف التالي: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنياوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة (نيابة) عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[4].

و لا فرق بين التسميات المتعددة لها فهي الإمامة وهي الخلافة وهي الإمامة العظمى ؛ يقول ابن خلدون: تسمى خلافة وإمامة والقائم بها خليفة وإمام ،فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ، ولهذا يقال الإمامة الكبرى ، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق ، وخليفة رسول الله [4].

4 – 2 الإمامة في اللغة

ورد لفظ الإمامة في اللغة بمعان متعددة، وما يهمنا منها هو لفظ التقدم، فالإمامة هي التقدم ، يقال: أم القوم أي تقدمهم، وقام بهم ، والإمام من ائتم به الناس، من رئيس أو غيره ، هاديا كان أو ضالا ، ويطلق لفظ الإمام على الخليفة وهو السلطان الأعظم، إمام الرعية ورئيسهم[5].

4 – 4 الإمامة في الاصطلاح

عرفها الإمام الماوردي الذي سبق من قبله بقرون عدة في أحكامه السلطانية بقوله: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالاجماع وإن

---

[1] سورة ص ، الآية 26.

[2] عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب ، بيروت ، دط، دت ، ص395.

[3] أحمد بن علي بن أحمد القشلندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب بيروت، دط، دت، ج1، ص8.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة ، ط1 ، 2004 م ، ج1، ص ص238 -239.

[5] محمد علي السالوس، مع الاثني عشرية في الأصول والفروع، موسوعة شاملة، دار الفضيلة، الرياض،ط2003، ص7.

شذ عنهم الأصم[1]، وعلل وجوب وجود الزعيم بأنه لولاه لكان الناس في فوضى مهملين وهمجا مضاعين .

أما الإمام الجويني فيعرفها بقوله: الإمامة رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف النجف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين[2].

وأعطاها المودودي تعريفا يجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فقال: أما الخلافة فهي في لغة العرب تطلق على النيابة . فمنزلة الإنسان في الكون من الوجهة الإسلامية أنه خليفة لله ، أي نائب عنه في مملكته لا يتصرف فيها إلا طبقا لحق الاستخلاف والتصرف الذي وهبه الله إياه، فالانسان هناليس هو السلطان المالك نفسه وإنما هو خليفة المالك الأصلي [3].

وقد خلص سلمان فياض إلى تعريف جامع هو الأنسب والأشمل لمصطلح الخلافة لأنه استفاد من التعريفات السابقة ومستجدات البحث فجمع معنى الخلافة الدينية والدنيوية وربطها بالعقيدة و مصالح العباد ، وتطور الفقه والاجتهاد وخلص إلى التعريف التالي: الخلافة هي الإمامة الكبرى الواجبة الطاعة ، وعلى الكل أن يسير وراءها رعاية للمصالح العامة للناس ، وحفظا للدين ، وحماية للحرية في العقيدة وفي المال وفي الأعراض ، ولها دعامتان في دائرة الشريعة الإسلامية لا ثالث لهما ، القرآن والسنة . فما عداهما فقه واجتهاد وقد يتحول هذا الاجتهاد إلى قانون للحاكم والمحكوم إذا أجازه الخليفة ومستشاروه، وفقا لمبدأ المصالح المرسلة [4].

---

[1] أبي الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، الأحكام السلطانية ، تح أحمد جاد ، دار الحديث ، القاهرة ، دط ، 1427هـ – 2006 م ، ص15.

3 ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، غياث الأمم في دياث الظلم ، الغياثي ،تح عبد العظيم الديب ، مطابع الدوحة الحديثة ،كلية الشريعة جامعة قطر،ط1، 1400 هـ، ص19.

[3] أبو الأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، تع أحمد إدريس ، دار القلم الكويت ، دط ، 1398هـ -1978م ، ص19.

[4] سلمان فيان ، الوجه الآخر للخلافة الإسلامية ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط1 ، 1999م ، ص23.

ومن خلال هذه التعريفات يتبين الترادف الموجود بين مصطلحي الخلافة والإمامة وقد فسّر محمد أبو زهرة ذلك الترادف في تعريف الخلافة والإمامة وتقارب تعاريفها بقوله: المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة وهي الإمامة الكبرى، وسمّيت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إدارة شؤونهم، وتُسمّى إمامة لأن الخليفة كان يُسمّى إماماً ولأن طاعته واجبة[1].غير أن بعض الباحثين قد خرج عن المصطلح الأصلي وراح يعطي لها تعريفا سياسيا ظهر مع الدولة المدنية كما محمد ضياء الدين الريس حيث عرف الخلافة أو الإمامة تعريفا معاصرا في كتابه النظريات السياسية الإسلامية فقال : هي الحكومة الإسلامية الشرعية ، أو بعبارة تحدد المعنى : الحكومة التي تكون الشريعة الإسلامية قانونها ، قانونها الأكبر أو الأم ، وهو ما نسميه اليوم بالدستور.[2]

5–1 الخليفة

5 – 1 – 1 الخليفة لغة

يقال خلف فلان فلانا إذا كان خليفته، يقال خلفه في قومه، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك من خلال استخلاف موسى لهارون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3].

يقول ابن منظور : الخليفة الذي يستخلف ممن قبله ، والخليفة السلطان الأعظم[4] .

5 – 1 – 2 الخليفة في الاصطلاح

تعددت معاني الخليفة في الاصطلاح حيث ورد في القرآن إلا أننا نقصد به في بحثا معنى واحدا هو الاستخلاف في الحكم ، فلفظ الخليفة صار يطلق على من يقوم على رأس السلطة السياسية في الدولة الإسلامية وهو المستنبط من قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[5].

---

[1] محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ،دار الفكر العربي ، د ط ، د ت ،ج1 ،ص21.

[2] محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة التراث، القاهرة ، ط7 ، د ت ، ص127.

[3] سورة الأعراف ، الآية 142.

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة خلف ، م9 ، ص101.

[5] سورة ص ، الآية 26.

يعرفه ابن خلدون بقوله: هو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى لأمورهم كما كان هو يتولاها ، ويثقون بنظره لهم كما وثقوا به في ما قبل[1] .

وهو ما أشار إليه عبد القادر عودة بقوله الاستخلاف الذي يكون من الخليفة إلى شخص آخر والذي يعد طريقة من طرق تولي الحكم في النظام الإسلامي[2].

2-5 الإمام

يقول ابن حزم : إن لفظ الإمام إذا أطلق فإنه لا يدل إلا على صاحب الإمامة الكبرى أو العامة أما إذا أريد به الإشارة إلى أي معنى من المعاني الخاصة فلابد من إضافة الفظ إلى ما يدل على ذلك[3].، ومع كون هذا المصطلح لا ينصرف عند الشيعة إلا إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهو اللقب الذي اختاروه له ، ولمن اعتقدوا إمامته من أهل بيته من بعده ، يقول ابن خلدون: خصوا عليا باسم الإمام نعتا له بالإمام وتعريضا بمذهبهم[4].

وعليه فإننا حين نذكر أحد المصطلحين – الخليفة أو الإمام– فهو ينصرف مباشرة إلى الحاكم القائم على شؤون الرعية . وهو ما توصل إليه المراكبي حيث يقول : إن بين الاسمين صلة وثيقة تجمع بينهما ، إنهما يرميان في الشرع والاصطلاح إلى معنى واحد هو قيادة الأمة الإسلامية بشرع الله تعالى تأسيا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافة له[5].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ،ج30 ،ص120.

[2] عبد القادر عودة ، الإسلام وأوضاعنا السياسية ، دار الزيتونة للإعلام والنشر ، الجزائر ، دط ، دت ، ص18.

[3] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الفصل في الأهواء والملل والنحل ، مطبعة بيروت ، ط1 ، 1321هـ ، ج 04 ، ص425.

[4] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص188.

[2] جمال أحمد السيد جاد المراكبي ، الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة ، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، 1414هـ ، ص48.

الفصل الأول:
الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كثرت الكتابات حول الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وتناولها المؤرخون من زوايا متعددة، وأدلى كل بدلوه في المسألة بداية بما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من أحداث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكننا عندما ننظر في نصوص النبوية لا نتحرج من الاختلاف الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هذا الاختلاف حين قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه البخاري من حديث أنس بن مالك ، قال : قال صلى الله عليه وسلم: (**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**)[1]. وحديث العرباض بن سارية قوله: وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، قال : فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا مجدعا، فإنه من يعش من بعدي فسيرى اختلافا كبيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)[2].

هذا الحديث في نظرنا يؤسس إلى فكر جديد سوف تعيشه الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. خاصة فيما يتعلق بطرق تعيين الخليفة وأساليبه في الحكم والتعامل مع الرعية ، ولعل التجربة الأولى التي مرت بها الأمة الإسلامية أيام الخلافة الراشدة تجسد بامتياز ظواهر الإختلاف الذي أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

في هذا الفصل من الدراسة يتوزع العمل على أربعة مباحث ، حيث سنخصص لكل خليفة من الخلفاء الراشدين مبحثا حسب ترتيبهم في الخلافة ، بادئين بخلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛كيفيتها وما جرى فيها من أحداث ، إلى أن قام باستخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم وفاته رضي الله عنه ، ليكون المبحث الثاني حول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث سنتعرف فيه على الخليفة الثاني للمسلمين وكيفية استخلافه وإدارته لشؤون الخلافة وأهم الأعمال التي قام بها إلى أن طعنه فتى المغيرة بن شعبة ، ما جعله يسند الأمر إلى أهل الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ،

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المسند لأحاديث رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، باب السمع والطاعة ما لم تكن معصية ح13، طبعة دار طوق النجاة ، دت ، ص121، ومسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ،كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، ح ر 1834 ، ج3 ، ص1465، وأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، صحيح ابن حبان ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1372هـ – 1952م ، ج1 ،كتاب الايمان ، باب الاعتصام بالسنة ، ح ر 116/1، ص140 واللفظ له.

[2] صحيح البخاري ، ح ر 656 ، ج1 ، ص98، وابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ح ر 116/1، ص140.

ثم يليه الحديث عن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وما جرى فيها من أحداث وفتن ، وصل الأمر فيها إلى قتله من أجل الحكم على يد من ثار عليه من المسلمين دون أن يعين من يخلفه في الأمر، أما المبحث الرابع فقد خصصناه للخليفة المظلوم علي بن أبي طالب الذي تولى أمر المسلمين في بحر الفتن ، وأخذت الأحداث السياسية في خلافته منعرجا خطيرا ،إذ تحول فيها الخلاف من السياسة إلى الطعن في إسلامه و الحكم عليه وعلى من سبقه بالكفر من قبل طائفة من المسلمين ، وذلك كله بعد أن ثار في وجه الخلافة والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي رفض بيعة علي رضي الله عنه جملة وتفصيلا ، وقام في وجهها حتى صيّر الأمر إليه ، فكانت أكبر فتنة عرفها التاريخ الإسلامي على مر العصور ، أودت بحياة علي بن أبي طالب وانقسام الناس عليه ، وخروجهم عن طاعته ، ليسند الأمر بعد ذلك إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، هذا الأخير تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان حقنا لدماء المسلمين ، وحفظا لكيانهم ، ثم تحول بعدها نظام الحكم من الشورى إلى الملك العضوض في يد بني أمية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ

هذا المبحث يسلط الضوء على خلافة أبي بكر الصديق ، وذلك بالتعريف به أولا، ثم معرفة مكانته في الإسلام والآثار الواردة فيه ، ليعرج بعدها على مسألة استخلافه وكيفيتها ، وبيان ما حدث في سقيفة بني ساعدة ، وكذا معرفة موقف الصحابة رضي الله عنهم من بيعته رضي الله عنه ، ليختم بكيفية استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب ثم وفاته رضي الله عنه

المطلب الأول : أبو بكر الصديق كنيته ونسبه وصفاته قبل الإسلام

1 كنيته ونسبه

ورد التعريف بأبي بكر الصديق في العديد من كتب الرجال ، وقد اتفق على أن اسمه هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[1]، وقد ولد بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنتين وبضعة أشهر ويلتقي نسبه مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مرة [2].

واسمه الصحيح على المشهور هو عبد الله ويكفي أن نذكر أن ابن كثير قال: اتفقوا على أن اسمه عبد الله بن عثمان ، إلا ما روى عن ابن سيرين أن اسمه عتيق وهو ما ذهب إليه الإمام النووي[3].

وقد نقل السيوطي هذا القول مستندا في ذلك إلى حديث الطبراني عن القاسم بن محمد أنه سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن اسم أبي بكر فقالت : عبد الله ، فقال : إن الناس يقولون عتيق ، قالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقا ومعتقا ومعيتقا [4].أما عن كنيته بالصديق فقد قال ابن الجوزي: كان علي بن أبي طالب يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء : الصّدّيق[5].

---

[1] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، تح وصي الله بن عباس ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، جامعة أم القرى ، م ع س ، ط 1، 1403 هـ – 1983 م ، ص 65.

[2] ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 1994م ،ج3 ، ص205 ، وجلال الدين السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تح سعد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ،ط1 ،1424 هـ – 2003م ، ص29.

[3] النووي ، محي الدين يحي أبي زكريا يحي بن شرف النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، الطبعة المصرية ، دت ، ج2، ص181.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء ، تح ، سعد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1424 هـ ، 2003 م ،ص30.

[5] جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ، صفة الصفوة ، تح خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ط ، 1433هـ – 2012م ، ص 93.

2 صفاته قبل الإسلام

وردت أقوال كثيرة عن صفات أبي بكر في الجاهلية حيث ذكر الرواة والمؤرخون أن أبا بكر كان نشأ في مكة ولم يكن يغادرها إلا لتجارة ، وكان ذا مال في قومه ، سخي اليد ، شجاعا ، مهابا ، مؤدبا، لا يقول الشعر، ولعل خير دليل على ذلك ، الحديث الذي أخرجه أبا سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أسلم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفقه في الرقاب ، والعون على الإسلام[1].

ومن أجلّ الخلال التي تمتع بها تحريمه للخمر على نفسه، إذ كان أعف الناس حيث أخرج ابن عساكر عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: والله ما قال أبو بكر شعرا قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد كان حرم هو وعثمان شرب الخمر على نفسه في الجاهلية[2].

المطلب الثاني: إسلامه وأشهر من أسلم على يديه و بعض ما جاء عنه في القرآن والسنة.

1 إسلامه

اتفق جميع الرواة وكتبة التاريخ والسير أن أبا بكر الصديق هو أول من أسلم من الرجال ذلك أنه كان صديقا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحين سمعت قريش ببعثته – صلى الله عليه وسلم – أرادت من أول الأمر أن تطعن في صدق رسالته و بعثته عن طريق صاحبه فسارع القوم إلى إخبار أبي بكر ظنا منهم أنه سيكون أول من يكذبه حيث قالوا له : أن صاحبك يزعم أنه بعث رسولا ، فما كان منه ـ رضي الله عنه ـ إلا أن سار إليه ، فلما ظفر به قال : يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟ قال : **(وما بلغك عني يا أبا بكر)**؟ قال: بلغني أنك تدعو إلى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله ! قال:(**يا أبا بكر ؛ إن ربي جعلني بشيرا ونذيرا وجعلني في دعوة إبراهيم ، وأرسلني إلى الناس جميعا . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: والله ما جربت عليك كذبا ، وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، ولصلتك رحمك ،و حسن فعالك ؛ مد يدك فإني مبايعك)**[3].

ولعل الرواية عنه في الرياض الخضرة تثبت سبق إسلامه من أول ما علم ببعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث تذكر الرواية أنه لما علم أبو بكر ببعثة النبي أتاه وقال له: يا محمد ما الدّليل على ما تدّعي؟

[1] جلال الدين السيوطي ، المرجع نفسه ، ص32.

[2] المرجع نفسه ، ص33.

[3] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، منشورات المكتب الإسلامي ، ط8 ، 1421هـ – 2000م ، ج3 ، ص32.

قال: الرؤيا التي رأيتها في الشام، فعانقه وقبّله بين عينيه وقال: أشهد أن لا إلاه إلا الله، وأشهد أنّك رسول الله[1].

ويروي السيوطي حادثة إسلامه فيقول: أن أبا بكر رضي الله عنه . قال: خرجت أريد اليمن قبل أن يبعث النبي . صلى الله عليه وسلم . فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب وعلم علما كثيرا، فلما رآني قال: (**أحرمي أنت؟** . **قلت: نعم أنا من أهل الحرم. قال: وقرشي. ؟ قلت: نعم أنا من قريش. قال: وتيمي ؟ قلت : نعم . أنا عبد الله بن عثمان بن تيم بن مُرة فأخبره أنه سيكون صاحبا للنبي يبعث في الحرم وذلك في خبر طويل**)[2].

وقال ربيعة بن كعب: كان إسلام أبي بكر شبيها بالوحي من السماء، ذلك أنه كان تاجرا في الشام فرأى رؤيا ، فقصها على بحيرا الراهب فقال له : من أين أنت ؟ قال من مكة . قال من أيها ؟ قلت: من قريش . قال: فأي شيء أنت ؟ قال: تاجر؛ قال: إن صدقت رؤياك لأنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته ، فسر ذلك أبو بكر في نفسه[3].

هذا وقد أجمع الناس على أنه أول من أسلم فقد أخرج بن عساكر عن علي . رضي الله عنه .، والإمام أحمد عن المغيرة، وعن عمرو بن مرة عن إبراهيم قال : **أبو بكر أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم** [4]، وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون بن مهران قلت : أعليّ أفضل عندك أم أبو بكر وعمر؟ قال : فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أن أبقى إلى زمان يُعدل بهما ، لله درهما : كانا رأس الإسلام . قلت: فأبو بكر كان أول إسلاما من علي ؟ قال : (**والله لقد آمن أبو بكر بالنبي . صلى الله عليه وسلم . زمن بحيرا الراهب حين مر به، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي**)[5]. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه أول من أسلم.

والإجماع على أنه أول من أسلم من الرجال يستنبط بعد الجمع بين الأقوال، وهو ما ذهب إليه السيوطي في حديث نقله عن الترمذي في المناقب:" أن أول من أسلم من الرجال كان أبو بكر ، وعلي أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة أول من أسلمت من النساء ، وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة .

---

[1] جمال الدين الطبري أبو العباس أحمد بن عبد الله ، الرياض الخضرة في السيرة ، مطبعة الخانجي ، دط ، دت ، ج3 ، ص33.

[2] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص32.

[3] المرجع نفسه ، ص32.

[4] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ح ر 263 ، ص 224.

[5] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص35.

رحمه الله"[1]. وقد يقول قائل أن هذه الرواية لا تصح لأن علي بن أبي طالب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراشه ليلة هجرته من مكة إلى المدينة، فنقول أن هذه الرواية صحيحة بدليل أن الهجرة كانت في السنة الثالثة عشر للهجرة بمعنى ان علي قد صار شابا يافعا عند هجرة رسول الله صللى الله عليه وسلم والله أعلم.

2 بعض من أسلم على يديه

إذا كان أبو بكر هو أول من أسلم فمن الطبيعي أن الذين أسلموا على يديه كثر على اختلافهم مشاربهم وطبقاتهم ، فمنهم السادة ومنهم الأحرار ومنهم العبيد ولعل أهم شيء يلاحظ فيهم أنهم كلهم خدموا الإسلام بصدق ونالوا القبول عند الله ، وقد بشر رسول الله بعضهم بالجنة ، فقد أسلم على يديه عثمان بن عفان وهو خليفة خليفته وأحد المبشرين بالجنة ، وطلحة بن عبيد الله وهو كذلك وعبد الرحمان بن عوف وهو مبشر بالجنة كذلك ، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة –كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو مبشر بالجنة كذلك ، وأسلم على يديه سعد بن أبي وقاس ، والزبير بن العوام، وعثمان بن مظعون ، والأرقم بن أبي الأرقم الذي كان يجتمع في بيته رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. مع الصحابة في بداية الدعوة ، كما أنه أعتق الكثير من الصحابة ومن أشهرهم بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

3 بعض ما جاء عنه في القرآن والسنة

كان فضل أبي بكر في الإسلام عظيما حتى ذكر في فضله وسوابقه الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نورد بعضها

3 – 1 بعض ما جاء عنه في القرآن الكريم

يكاد يجمع مفسروا القرآن الكريم أن أبا بكر الصديق **رضي الله عنه** ذكر باسم – الصاحب – وثاني اثنين – وذلك في معرض الحديث عن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ، وكان أبو بكر هو الصحابي الوحيد الذي رافق الرسول في رحلته هذه ، ونزل القرآن قائلا: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص36 ، أنظر محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، ج2 ، ص53.

[2] ابن الأثير ، أسد الغابة ، مرجع سابق ،ج3 ، ص481، وسيرة ابن هشام ، ج1 ، ص323.

[3] سورة التوبة ، اللآية 40.

وقد أطلق المفسرون على هذه الآية اسم آية الصحبة، وهذا ما ذهب إليه ابن كثير حيث علق قائلا: الضمير – عليه– المذكور في الآية يعود على أبي بكر البتة ، ولا يجوز أن يرجع إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأنه لم تتخل عنه السكينة وقتا حتى يقال عنه (**فأنزل سكينته عليه**) وهو ما نقله عن ابن عباس رضي الله عنه ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك : وقيل على أبي بكر لأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . لم تزل معه السكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال[1].

هذا وقد أفرد صاحب الصواعق بابا ذكر فيه خيرية أبي بكر وأفضليته بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم – حيث قال: وكان خير الناس بعده وبعد النبيين والمرسلين أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد تواترت بذلك الأحاديث المستفيضة الصحيحة التي لا تعتل، وهي المروية في الأمهات والأصول المستقيمة التي ليست بمعلولة ولا سقيمة ، ثم ذكر بعض الآيات الدالة على ذلك فاستشهد بقوله سبحانه قَالَتَعَالَى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2].

فنعته بالفضل ولا خلاف أن ذلك فيه رضوان الله عليه ، وهكذا يتبين أن الله قد شهد له بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين .

قال علي **رضي الله عنه : من يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما**[3] ، ونقل ابن الجوزي عن الزهري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت: (**هل قلت شيئا في أبي بكر**)، فقال نعم.فقال : (**قل وأنا أسمع**)[4] ، فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حـــب رسول الله قد علموا من البريـــة لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه [5]وقال: (**صدقت يا حسان ، هو كما قلت**)[6].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [7].

---

[1] إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، مراجعة أنس محمد الشامي ومحمد سعيد محمد، دار البيان العربي، مصر، ج2 ، ص462.

[2] سورة النور ، الآية 22.

[3] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، مرجع سابق ، ص95.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 174.

[6] ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص95.

[7] سورة الزمر ، الآية 33.

"ولا خلاف أنه فيه رضي الله عنه وهو قول جعفر الصادق رضوان الله عليه"[1] وقول علي رضي الله عنه في التفسير ظاهر أن الذي جاء بالصدق رسول الله والذي صدق به أبو بكر وأيّ منقبة أبلغ من هذه.

وبما أنه من أهل السبق في الإسلام فلا شك أنه ممن مدحهم الله تعالى حين بين أنه لا يستوي السابقون ومن بعدهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء"[3].

3- 2 الآثار الواردة فيه

ذكر البخاري أن أول من فدى رسول الله بنفسه هو أبو بكر رضي الله عنه بشهادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما كان بعد وفاة أبي بثلاثة أيام اجتمعت قريش تريد قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يعنه يومئذ إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئذ عفرتان ، فأقبل يجادل هذا ويدفع هذا ويقول: (**أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**) فأنزل الله قوله:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾[4].

وتقطعت في ذلك اليوم إحدى ضفيرتي أبي بكر[5]. وفي كلام علي رضي الله عنه رسالة واضحة للمشككين تدل على أن عليا رضي الله عنه يعرف قدر أبي بكر ، كما يعرف أنه أولى الناس بالقيام على مصالح الناس بعد رسول الله. وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر:(**لا يتأمر عليكما أحد بعدي**)[6] ، وقد علق السيوطي عن هذا الحديث بقوله: "يؤخذ من هذا الحديث أن أبا بكر يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكون عمر خليفة أبي بكر"[7].

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ج4 ، ص396.

[2] سورة الحديد ، اللآية 10.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] سورة غافر ، الآية 28.

[5] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج 3، ص36.

[6] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص54

[7] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

كما وردت آثار أخرى تدل على خيريته وعمر بعده ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، فقد روى مالك قال: وقد سئل علي رضي الله عنه وهو على المنبر: من خير الناس بعد رسول الله؟ فقال أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا – وإلا فصّمت أذناي – إن لم أكن سمعته من رسول الله وإلا فعميت وأشار إلى عينيه إن لم أكن رأيته يعني رسول الله يقول: (**ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلين أعدل ولا أفضل ولا أزكى ولا خيرا من أبي بكر وعمر**) [1].

وروى محمد بن الحنفية قال سألت والدي عليا وأنا في حجره فقلت: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله فقال أبو بكر قلت: ثم من قال: ثم عمر ثم حملتني حداثة سني قلت: ثم أنت يا أبتي فقال: أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وقوله أيضا عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: **(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر)**[2].

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله عز وجل اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، وإن أبا بكر خليلي)**[3].

كما أخرج الترمذي بطرق منها : عن الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ طلع أبو بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم :(**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيئين والمرسلين ، يا علي : لا تخبرهما**)[4].

وعن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذ مات فيه عاصبا رأسه في خرقة فقعد على المنبر ، فحمد الله وأثني عليه وقال : (**إنه ليس أحد أمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، و كلن خلة الإسلام أفضل، سدو عني كل خوخة في هذا المسجد إلا خوخة أبي بكر)**[5].

وعن أبي العطاردي قال: "دخلت المدينة فرأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول: أنا فداء لك ، لولا أنت هلكنا! فقلت: من المقبل، ومن المقبّل؟ قالوا: ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين"[6].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 47.

[2] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ج1 ، ح ر 413 ، ص 306.

[3] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ح ر 73 ، ص 102 ، وابن عساكر الدمشقي، تاريخ ابن عساكر ، ح ر 4657.

[4] الترمذي ، أبو عيسى محمد ين عيسى بن سورة الضحاك ، الجامع الكبير(سنن الترمذي) ، تح شعيب الأرنؤوط وسعيد اللحام، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2009 ،ج6 ،ص249 ، ح 3995 .

[5] البخاري ، صحيح البخاري ، ج1 ، ح 447 ، ص97 ، وأحمد في فضائل الصحابة ، ح ر 67 ، ص 98 واللفظ له.

[6] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ،مرجع سابق ، ص98.

وقال أشهب: "كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين ، وكانوا يغلبون على مجلسه فناداه يا أبا عبد الله ؛ فأشرف عليه مالك، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف عليه برأسه، فقال له الطالبي : إني أريد أن أجعلك حجة بيني وبين الله إذا قدمت عليه فسألني: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبو بكر.قال العلوي: ثم من؟. قال مالك: ثم عمر بن الخطاب. قال العلوي: ثم من؟ قال: الخليفة المقتول ظلما عثمان بن عفان، قال العلوي: والله لا أجالسك أبدا. قال مالك: فالخيار لك"[1].

ويكفي أبا بكر شرفا أن من لا يدين بالإسلام ممن قرا عن سيرته العطرة قد شهد له بالخير وعرف قدره وذكر من خصاله ما يطرب له القلب ، فقد وصفه –ول ديورانت– بقوله: كان بسيطا في معيشته متقشفا ، رحيما في حزم ، يعنى شخصيا بجميع شؤون الإدارة والقضاء ، جليلها وصغيرها على السواء ، لا يهدأ له بال حتى يأخذ العدل مجراه ، وظل يعمل ولا يتقاضى أجرا عن عمله ، وظل شديد التقشف حتى أقنعه الشعب أن ينزل قليلا عن تقشفه ، ثم أوصى قبل وفاته بأن يعود إلى بيت مال المسلمين كل ما أرغم عن أخذه منه[2].

المطلب الثالث : حادثة السقيفة وعقد البيعة وما يستفاد منها

لا تكاد تخلوا كتب التاريخ والفرق التي تتحدث عن الخلافة أو نظام الحكم من ذكر حادثة السقيفة التي اجتمع فيها الأنصار بعد وفاة النبي– صلى الله عليه وسلم – للنظر في أمرهم وأمر المسلمين وتعيين من يقوم بسياسة البلاد والعباد ، وقد اختلفت حولها الآراء ، بل وجعل الاجتماع الذي انعقد فيها من المنعطفات الجوهرية في تاريخ الأمة الإسلامية ، نحاول نقف في هذا المطلب على أهم ما حدث في السقيفة، وكيف عقد البيعة الأولى في تاريخ الأمة الإسلامية بعد التحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى.

1 حادثة السقيفة

كانت حادثة سقيفة بني ساعدة سببا في تعيين أبي بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين، وكان للصديق موقفا حاسما ومشرفا سيبقى ذكره على مر التاريخ الإسلامي، بدء بالحوار الذي دار بينه وبين من كان بالسقيفة ؛ إذ عمل على جمع الأمة حول خليفة واحد حتى تجتمع الكلمة، ويلتئم الشمل بعد التحاق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بالرفيق الأعلى.

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص 44.

[2] ول وايرل ديورانت ،قصة الحضارة عصر الإيمان ، تر ، محمد بدران ، دار الجيل للطبع ، بيروت ، ط 1408 هـ – 1988م ، م 4 ، ج 2، ص141 .

كما بادر بالقضاء على الفتنة من جذورها برفضه لطلب الأنصار بأن يكون منهم أمير ومن قريش أمير وهذا ما جاء في نص اتفاق الشيعة والسنة ، على درء الخلافات بينهم : إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتى جاءت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولما توفي وكان خاتم الأنبياء والمرسلين – اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم على أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأجمعوا واتفقوا على بيعته كلهم، حتى الإمام علي بن أبي طالب بطوع منه واختيار، من غير جبر أو إكراه ، فتمت له البيعة بالخلافة ، وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلّ سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان ، وقد سهل الله تعالى حل الخلاف فى الصدر الأول، حين اختلف المهاجرون والأنصار فيها ، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير [1]، وقد ذكر ابن خلدون أن الحباب بن المنذر هو صاحب هذا القول[2].

كما تذكر الروايات أن الأنصار اتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري ، فاستدركهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الحال، بأن حضرا سقيفة بني ساعدة فتكلم عمر وقال: "إن رسول الله أوصانا بكم خيرا كما تعلمون ، ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا ، ثم وقعت ملاحاة بين عمر وابن المنذر وأبو عبيدة يخفضهما ويقول: اتقوا الله يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغيّر[3]. فقام بشير بن سعيد بن النعمان الأنصاري الخزرجي وقال: ألا إن محمدا من قريش وقومه أحق وأولى ، ونحن إن كنا أولوا الفضل والجهاد والسابقة في الدين ، فما أردنا بذلك إلا رضا الله ، وطاعة نبيه، فلا نبتغي به في الدنيا عوضا، ولا نستطيل به على الناس"[4].

فقال الحباب بن المنذر : " نفّست والله عن ابن عمّك يا بشير .فقال بشير : لا والله ، ولكن كرهت أن أنازع قوما حقهم فأشار أبو بكر إلى أبي عبيدة وعمر فامتنعا وسبقهما إليه بشير بن سعد"[5].

ونحن إذا أردنا تحليل موقف أبي بكر رضي الله عنه فإنما هو دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوصي له بالبيعة ولو كان ذلك لما لما عرضها على صاحبيه ؛ بل لما تجرّأ الأنصار على الاجتماع من أجل تعيين الخليفة من الأساس.

---

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 16.

[2] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط1 ، 2004 م ، ج2 ، ص488.

[3] ابن الجوزي، صفة الصفوة ،مرجع سابق ، ص 99.

[4] المرجع نفسه ، ص100.

[5] ابن خلدون، المقدمة ، المرجع السابق ، ص488.

2 عقد البيعة

ذكر الطبري والسوطي في تاريخيهما أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خطب في الناس بعد عودته من موسم الحج أيام خلافته بعد أن سمع ما ينذر بالفتنة من بعض الحجيج حيث ظهر من يقول : لو مات عمر لبايعت فلانا ، في أول جمعة قال مقالته وهذه روايتها بسندها عن ابن عباس . رضي الله عنه . قال : قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال: " أما بعد: فإني أريد أن أقول مقالة ، قد قدر الله أن أقولها من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن لم يعها فإني لا أحل لأحد أن يكذب علي، إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب...ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا ، فلا يغرن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فقد كانت فلتة كذلك غير أن الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع له الأعناق مثل أبي بكر"[1] – إلى أن قال : " وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه . صلى الله عليه وسلم . أن عليا والزبير ومن معهما تخلفا عنا في بيت فاطمة ، وتخلفت عنا الأنصار جميعا في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخوانا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدرا فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم . فقلنا : والله لنأتينهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة "[2]، ثم ذكر ما كان من أمر سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال رضي الله عنه: " وبين أظهرهم رجل مزمل قال : قلت :من هذا ؟ قالوا: سعد بن عبادة . قلت : وما شأنه ؟ قالوا: وجع .فقام رجل منهم فحمد الله وقال : أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش ، رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة ، قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر[3].

ثم ذكر ما كان من أمره رضي الله عنه مع أبي بكر الصديق فقال : "قد كنت قد زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحد ، وكان هو أوقر مني وأحلم ، فلما أردت أن أتكلم قال : **على رسلك. فما ترك شيئا كنت زوّرت في نفسي أن أتكلم به إلا قد جاء به أو أحسن منه**[4].

---

[1] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تح أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض، دط ، دت ، ج 2، ص487.

[2] ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص100.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص67.

[4] الطبري، مرجع سابق ، ص 447.

ثم ذكر السجال الذي حدث ، والحوار الذي كان بينه وبين ابن المنذر حتى تم عقد البيعة لأبي بكر . رضي الله عنه . .

3 ما يستفاد من حادثة السقيفة

المؤرخ للتاريخ الإسلامي لا بد له أن ينظر إلى الأحداث التي وقعت والاحتكاك بين الصحابة رضي الله عنهم على أنها جزء لا يتجزأ من تركيبة الأمة نفسها ،وهو ما ذهب إليه أيمن إبراهيم حيث يقول: هذه التناقضات كانت المؤشر الفعلي على النضج التاريخي الملموس للكيان السياسي الذي دشنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هنا وصل التاريخ المبكر للإسلام إلى النقطة التي تجلى فيها بوضوح الطابع الملموس لهذا الكيان[1].

ما قيل عن الصحيفة التي هم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابتها في المرض الذي قبض فيه فلعل الرواية التي وردت عن علي بن طالب هي الأقرب القبول فعن نعيم بن يزيد قال: حدثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثقل قال: (**يا علي ائتني بطبق أكتب فيه ما لا تظل أمتي بعدي**). قال : فخشيت أن تسبقني نفسه ، فقلت: **إني أحفظ ذراعا من الصحيفة فكان رأسه بين ذراعي وعضدي فجعل يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم ، قال كذلك حتى فاضت نفسه ، وأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله حتى فاضت نفسه من شهد بها حرَم على النار)**[2].

والذي يؤكد صحة قولنا هو ما جاء في نص خطبة الوداع التي خطبها سول الله صلى الله عليه وسلم حيث أوصى بجميع ما ذكر في هذا الحديث والجدير بالذكر هو تلك العبارة التي وردت في خطبة حجة الوداع حيث قال صلى الله عليه وسلم : (**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**)[3] .فهذا النص النبوي في نظرنا دليل قاطع على أن رسول الله لم يوصي بالخلافة لأحد من بعده ، ولو كان كذلك فمن باب أولى أن يوصي بها على الملأ يوم الحج الأكبر. وهو ما بينه القشلندي في قوله: اعلم أن الصديق رضي الله عنه لم تكتب له بيعة بالخلافة بعد النبي صللى الله عليه وسلم ، إذ لم ينقل ذلك ، ولو وقع لنقل كما نقل كتاب عهد أبي بكر الصديق بالخلافة لعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما[4].

---

[1] أيمن إبراهيم ، الإسلام والسلطان والحكم ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ،سوريا ، ط1 ، 1998م ، ص115.

[2] ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي ، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت ، دط ،1957م ،ج2 ، ص36 .

[3] نص الخطبة أخرجه غير واحد من أهل الحديث، وقد قالها رسول الله – صلى الله عليه وسلم بجبل الرحمة يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، وهو عند البخاري ومسلم وغيرهما.

[4] القشلندي ، مآثر الخلافة ، مرجع سابق ، ص 318.

وعند المقارنة بين ما جاء عند ابن سعد في الطبقات وروايات الطبري وما جاء عند البخاري نجد أن القاسم المشترك بين هذه الروايات هو عدم ثبوت وصاية الرسول بالخلافة لأحد من بعده.

إلا أن بعض النصوص الحديثية التي ذكرها البخاري توحي بأفضلية أبي بكر، فقد وردت رواية عنده عن الحميدي ومحمد بن عبد الله قالا: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟. كأنها تقول الموت ، قال صلى الله عليه وسلم :(**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**)[1]، وقد حمل معنى هذا الحديث على الوصاية لأبي بكر بالخلافة.

ولم يتخلف عن البيعة لأبي بكر ـ رضي الله عنه سوى جماعة تعد على الأصابع وكل له عذره وهم : الزبير، عتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، وأبو سفيان من بني أمية ومالوا إلى علي ـ رضي الله عنه ـ الذي تأخر عن البيعة حتى وفاة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ كما ذكر الزهري، وقد تأخرت هذه الجماعة كما ذكرنا لأنهم رأوا في بادئي الأمر أن الخلافة لعلي ، وفي هذا قال عتبه بن أبي لهب [2]:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي الحسن

عن أول الناس إيمانا وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهدا بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيه لا يمترون به ليس في القوم ما فيه من الحسن

هؤلاء العشرة هم الذين بنى عليهم الشيعة فيما بعد حججهم في أسبقية الخلافة لعلي ـ رضي الله عنه – كما سنبين ذلك عند الحديث عن الشيعة في فصل لاحق. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن موقف الشيعة من حادثة السقيفة يعاكس تماما الموقف الذي تبناه السواد الأعظم من الصحابة رضي الله عنهم ، حيث يرون ـ أي الشيعة ـ أن أبا بكر اغتصب السلطة واغتنم الفرصة لعدم وجود المهاجرين في السقيفة ، وهو ما أكده آل كاشف الغطاء بقوله: نعم لم يكن حاضرا في سقيفة بني ساعدة من وجوه المهاجرين سوى ثلاثة من المهاجرين : **أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح** وليس في هذا تمثيل قانوني لجموع المهاجرين، وعلى رأسهم آل البيت[3]، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يشبه سقيفة بني ساعدة كميدان تناطحت فيه آراء

---

[1] البخاري، مناقب الصحابة ، كتاب التوحيد،ح 3459.

[2] زين الدين عمر بن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر ، تح رفعت البداوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1970م ،ج1، ص 215 .

[3] محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، تح علاء آل جعفر ، مؤسسة الامام علي، دط ، دت ، ص35.

متضاربة كل منها يدعي أولويته في التصدي لمسؤولية خلافة رسول الله وآله ، وأحقانيته في الأمر دون غيره[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

المطلب الرابع: إتفاق الصحابة عليه

بعد عقد البيعة الخاصة التي حدثت في السقيفة تم عرض البيعة على عامة الناس ، وزال قول الأنصار الذين نادوا في أول الأمر بقولهم : – **منا أمير ومنكم أمير**– حتى لا تكون الفتنة بعد ذلك ولعل الكثير من الحبر سال حول مسألة البيعة هذه ، لكن المؤيدات النصية لأحقية أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة كثيرة ولعل أبرزها النص القرآني من سورة المائدة حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [1].

ثم إن تخلف علي رضي الله عنه عن البيعة له تبريراته ، فكل الشواهد التاريخية تحملنا إلى الجزم بأن سبب تخلف علي . رضي الله عنه ليست له علاقة بنقمه عن استخلاف أبي بكر وأحقيته في الخلافة ، وإنما ذلك راجع لسببين أساسيين: أحدهما: اشتغاله بتجهيزه ابن عمه . صلى الله عليه وسلم . ، أما الثاني فهو عتبه على الإسراع في تعيين خليفة رسول الله وعدم استشارته في ذلك خاصة أن البيعة قد تمت قبل دفن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ثم إن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت بالاجماع وهو ما نص عليه ابن خلدون الذي بين وجوب نصب الإمام من الأمة ثم إجماع أولها على خلافة أبي بكر رضي الله عنه في قوله : إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع إجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه[2].

وهكذا حل المشكل لأول في الخلافة الإسلامية باختيار أفضل صحابة رسول الله وأقربهم إليه صحبة، وأولهم إسلاما بإجماع من الصحابة ولم يتخلف منهم أحد عن البيعة ، ومن يبايع في الأيام الأولى بايع بعدها.

إلا أن المسلم يقف اليوم محتارا حين يطعن في شرعية أبي بكر رضي الله عنه من طرف بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، في حين نجد من الباحثين في الغرب من تناول مسألة تنصيب أبي بكر بكل موضوعية ، وتوصل إلى إنصافه ، بل واحتج على ذلك بأن هناك من النصوص ما يثبت شرعيته ، حيث يقول ول ديورانت: مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعين من يستخلفه من بعده ولكنه كان اختار أبا بكر ليؤم المسلمين في مسجد المدينة، واقتنع المسلمون بعد شيء من الاضطراب والتنافس بأن هذا التفضيل يجعل أبا

[1] سورة المائدة ، الآية 54.

[2] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص239.

بكر أحق الناس بأن يختار أول خليفة لهم[1].

وفي هذا الكلام كفاية للرد على من أنكر أحقية أبي بكر بالخلافة أو عدم الإجماع عليه، فقد تمت الخلافة لأبي بكر، وتولى شؤون المسلمين الدينية والدنوية، وكانت مدة خلافته رضي الله عنه سنتان وخمسة أشهر.

المطلب الخامس: استخلافه عمر ووفاته رضي الله عنه

1 استخلافه لعمر رضي الله عنه

روى ابن الجوزي عن الحسن بن أبي الحسن قال: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه واستبان له من نفسه دمع الناس إليه ، فقال إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي فقاموا في ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم فرجعوا إليه فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال: فلعلكم تختلفون قالوا لا، قال فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا نعم ، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده[2].

وبدأ يستشير القوم ، فاستشار عبد الرحمان بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في عمر بن الخطاب ، فقالوا له ما أنت قائل لربك ن إذا سألك عن استخلاف عمر فقال: أجلسوني ، أبالله تخوفونني ،خاب من يزود من أمركم بظلم ، أقول: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك[3].

وهذا القول هو نفسه الذي ذهب إليه الشهرستاني من قبل حيث يقول : لما أراد أبو بكر رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب زعق الناس وقالوا : لقد وليت علينا فظا غليظا ، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لشدته وصلابته وغلظته في الدين وفظاظته على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر بقوله: (**لو سألني ربي لقلت: وليت عليهم خيرهم**)[4]. وقد نقل القشلندي قبلهم نص العهد من أبي بكر إلى عمر رضي الله عنهما بخط عثمان بن عفان[5].

ومن خلال ما ذكرنا يتبين لنا أن أبا بكر رضي الله عنه قد استفاد كثيرا مما حدث في السقيفة ، وأراد

---

[1] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ، ج2 ، م 4 ، ص81 .

[2] جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، 1990م ، ص48.

[3] ابن سعد ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 141.

[4] محمد بن عبد الكريم بن بن أبي بكر الشهرستاني ، الملل والنحل ،تح محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ ، ج1 ، ص155.

[5] القشلندي ، مآثر الخلافة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 319.

أن تستقر أمور الرعية قبل وفاته رضي الله عنه ، كما يتبين كذلك أن مهام الخلافة ثلاث مراتب ، النظر لله، ولدينه ، ولرعيته ، وقد جمع ذلك أبو بكر رضي الله عنه ورتبها ، وتفسيرنا لقوله هو أن الخليفة مسؤول عن تحقيق العبودية لله وبتمكين الدين وتحقيق مصالح الرعية[1].

2 وفاته رضي الله عنه

أبو بكر الصديق هو الخليفة الوحيد الذي توفي على فراشه ، ولم يقتل فبعد عامين من خلافته رضي الله عنه التحق بالرفيق الأعلى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : حضرت أبي وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه ، فأخذته غشية فتمثلت ببيت حاتم الطائي:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ليس كذلك ولكن كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ ﴾ [2].

انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما[3].

وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج للصلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عسرة وله ثلاث وستون سنة[4].

لكن لا بد في هذا المقام أن نذكر رواية يغفل عنها كثير من الباحثين والمؤرخين ذكرها ابن سعد والحاكم عن ابن شهاب وأخرجها السيوطي في تاريخه أن أبا بكر رضي الله عنه مات مسموما ، عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله إن لفيها سم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد ، فرفع يده ، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة[5].

[1] ابن الجوزي ،صفة الصفوة ، المرجع السابق ، ص102.

[2] سورة ق ، الآية 19.

[3] ابن سعد، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج3، ص194.

[4] ابن الأثير ، أسد الغابة ، مرجع سابق ، ج3 ، ص230.

[5] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج3 ، ص141. والسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص81.

المبحث الثاني : خلافة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . .

مهد أبو بكر رضي الله عنه الخلافة لمن بعده حيث وضع المعالم التي سار عليها الخليفة عمر رضي الله عنه ، وترك الأرضية ممهدة لنظام سياسي يقوم على أساس عقدي مختلف تماما على الأساس الذي يقوم عليه النظام القبلي الجاهلي[1]، يتناول هذا المبحث الخلافة الراشدة في عهد الخليفة الثاني للمسلمين – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ، حيث سيتم التعريف به وبيان صفاته قبل الإسلام ثم إسلامه ، لننتقل بعد ذلك إلى قضية خلافته وكيفية انعقادها ، ثم نحاول بعد ذلك مجارات المواقف والأعمال التي قام بها عمر رضي الله عنه في أيام خلافته ، لنختم المبحث بما حدث له قبل استشهاده وتعيينه لأهل الشورى الذين سيكون أحدهم الخليفة من بعده.

المطلب الأول : مولده وصفاته قبل الإسلام

1 نسبه ومولده

هو عمر بن الخطاب . أبو عبد الله . ثاني الخلفاء الراشدين . أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوي القرشي[2] ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي أخت عمرو بن هشام، ولد بمكة سنة سبع وثلاثين قبل الهجرة فهو يصغر رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة عشر عاما وعن محمد بن سعد يرفعه إلى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين.

وذكر ابن الجوزي أن نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه يرجع بني عدي ، فقال: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، بينما يرجع نسب أمه إلى بني مخزوم إذ أن أمه هي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم [3].

2 صفاته قبل الإسلام

كان عمر شجاعا في الجاهلية ، حيث شب على الفروسية والنجدة وعلو الكعب، وقد عاش عمر ثلث عمره في الجاهلية وورث عن أبيه الشدة والجلافة حيث كان الخطاب يعذب ابنه زيد الذي أعلن مفارقة دين قومه[4].

---

[1] لؤي الصافي ، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 ، 1416 هـ - 1996 م ، ص57.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص107.

[3] ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، مرجع سابق ، ص7.

[4] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ، ج3 ، ص110.

ولم يكن عمر مركز شهرة بين قريش في الجاهلية غير أنه كان سفيرا لقومه بينها وبين القبائل الأخرى إذا وقع بينها وبين غيرها من القبائل خلاف أو قتال، وإن كان هذا المنصب صوري لأن قريش لم يعرف عنها أنها قبيلة محاربة ولم تعرف بالغزو والقتال [1].

إلا أنه كان عزيز الجانب في أهله محترما بين قومه وكان قوي الشكيمة، شديد البأس.وسمي الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من لقب بأمير المؤمنين ، لقبه بها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وأول من دعا له بها هو أبو موسى الأشعري فلما علم بذلك قال: (**إني لعبد الله وإني لعمر وإني أمير المؤمنين والحمد لله رب العالمين**)[2].

وبعد بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، صار عمر من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، حيث أسلم من أسلم من بني عدي وكان من بينهم سعيد بن زيد . ابن عمه . وزوجته فاطمة بنت الخطاب . التي كانت سببا في إسلام عمر. إلا أن الله يمن على من يشاء من عباده فقد جعل الله إسلام بعض أهل عمر رضي الله عنه سببا في تحول حياة عمر من جهالة الشرك إلى نور الإسلام.

المطلب الثاني : إسلام عمر . رضي الله عنه .

وردت روايات كثيرة عن إسلام عمر تصب جميعها في قالب واحد تجتمع فيه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (**اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين**)[3] وما ذكره المؤرخون أن لإسلام عمر رضي الله عنه قصة مع أخته وزوجها مفادها أنه رضي الله عنه خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فقابله رجل في الطريق وأخبره بإسلام أخته وزوجها فانصرف عن مقصده الأول واتجه إلى بيت أخته فدخل عليها وهي مع زوجها تقرأ صحيفة من القرآن وبعد نقاش وجدال أخذ عمر الصحيفة وقرأها فانشرح صدره للإسلام ، فطلب أن يدلوه على رسول الله ليسلم بين يديه[4].

وقد ذكر ابن الوردي قصة إسلام عمر مختصرة وافية حيث جاء في مختصره أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم قال : (**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام**)[5]. وكان قد أخذ سيفه وقصد قتل النبي . صلى الله عليه وسلم . فلقيه نعيم بن النحام فقال : ما تريد ؟ فأخبره فقال له نعيم : لئن

---

[1] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ، ج3 ، ص111.

[2] المرجع نفسه ، ص112.

[3] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ج1 ، ح ر 338 ، ص262.

[4] علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ، ص313.

[5] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق، ص108 ، وابن الوردي : المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق،ج ، ص164 .

فعلت ذلك ما يتركك بنو عبد مناف تمشي على الأرض .ولكن اردع أختك وابن عمك سعيد بن زيد وخبابا فإنهم قد أسلموا ؛ فقصدهم عمر فوجدهم يتلون سورة – طه – من صحيفة فسمع شيئا منها ؛ وأعلموا به فأخفوا الصحيفة ، فسألهم عما سمعه فأنكروه فضرب أخته فشجها وقال أريني ما كنت تقرؤونه . وكان عمر قارئا كاتبا . فخافت على الصحيفة فعاهدها على ردها إليها فدفعتها إليه فقرأها وقال : ما أحسن هذا وأكرمه فطمعت في إسلامه ، فخرج إليه خباب وكان مستخف منه، فسألهما عن مكان رسول الله فقالوا: هو بدار عند الصفا ، وكان عنده نحو أربعين نفسا بين رجال ونساء منهم حمزة وأبو بكر وعلي، فقصدهم عمر متوحشا سيفه فأذن له رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأخذ بمجمع ردائه وقال : (**أما آن لك يا ابن الخطاب ؟ أو ما تزال حتى تنزل بك قارعة .فقال عمر : يا رسول الله : جئت لأومن بالله ورسوله ، فكبر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وتم إسلام عمر**)[1].ولم يكن إسلاما عاديا ، بل كان إسلاما عن قناعة بهذا الدين ، ولأدل على ذلك انه بمجرد ما أسلم عمر جهر بالدعوة وخرج يعلن إسلامه أمام صناديد قريش، بل وتذكر الروايات أنه لما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، خرجوا كلهم سرا إلا عمر رضي الله عنه فإنه خرج جهارا نهارا وقال قولته الشهيرة: **من أراد أن تثكله أمه فليتبعني خلف الوادي**. وكان عمر رضي الله عنه من المقربين للنبي صلى الله عليه وسلم ، بل وكان من المنافسين لأبي بكر رضي الله عنهما في الخير. وأسلم عمر رضي الله عنه وعمره ست وعشرين سنة قال:أسلمت وأنا ابن ست وعشرين سنة[2].

المطلب الثالث: خلافته رضي الله عنه

قبل الخوض في خلافة عمر رضي الله عنه وما دار حولها من مواقف يجدر بنا أن نذكر حديثا أخرجه الترمذي وصححه الحاكم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**)[3]. كما أن عمر بن الخطاب هو أول خليفة أستخلف ممن مات قبله ، فخلافته كانت بتعيين من أبي بكر رضي الله عنه كما سبق ذكره حيث أشار رضي الله عنه على أصحابه باستخلاف عمر؛ والإشارة التي لا بد من الوقوف عندها هي أن عمر رضي الله عنه لم يكن هاشميا ، ولا أمويا ، ولا من الأنصار.

وقد تم قعد البيعة بحضور واستشارة كبار الصحابة وأهل الحل والعقد ممن حضر بدرا ، فأبو بكر لما مرض وأحس بدنو أجله فكر في أمر الخلافة وخشي فرقة المسلمين إن لم يحسم الأمر في أحدهم مثلما

[1] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ، ج1 ، ص 164.

[2] جمال الدين بن الجوزي ، تاريخ عمر ،ص6.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص115.

حدث في السقيفة ، ولا شك أن الخليفة الذي حارب أهل الردة وتوسعت في زمنه البلاد، يدرك جيدا أنه إذا حل الخلاف هذه المرة بين المسلمين فسيكون من الصعب جمع شملهم وتوحيد كلمتهم فالأمر لم يعد محصورا في جهة معينة ، أو في المهاجرين و الأنصار ، فاختار طريق شورى التعيين والعرض على البيعة.

وقد احتار أبو بكر في الاختيار بين عمر وعلي . رضي الله عنهما ؛ ويعلق سهيل قاشا عن هذا الموقف فيقول : راح أبو بكر يستعرض سير أصحابه ومواقفهم ليختار بينهم رجلا يكون شديدا في غير عنف ولينا في غير ضعف ، فوجد أن من توفرت فيه هذه الصفات من أصحابه هو أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب ، إلا أن الأول ربما يريد الأمر فيرى في طريقه عقبة فيدور إليه ، أما الثاني يرى الاستقامة لا يبالي العقبة فهو بهذا إلى الشدة أميل منه على اللين، وأدرك بخبرته أن عبء الخلافة الثقيل لا يستطيع أن يتحمله شخص سوى عمر [1].

فأملى عهده بالخلافة إلى عمر على عثمان بن عفان : وهذا نص وثيقة العهد كما ذكره القشلندي : (**هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل فذلك ضني به وإن بدل وغير فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت بكم ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم**)[2] ، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾[3].

وهي نفس القصة التي يرويها ابن الجوزي عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. قال : سمعت أبا بكر بن سالم قال: لما حضر أبو بكر الموت أوصى لعمر بما نصه : (**بسم الله الرحمان الرحيم: هذا عهد من أبي بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها. حيث يؤمن الكافر، ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب . إني أستخلف من بعدي عمر بن الخطاب فإن قصد وعدل فذاك ضني فيه، وإن جار وبدل فالخير أردت. ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**)[4] . ثم بعث إلى عمر فدعاه فقال: يا عمر أبغضك مبغض وأحبك محب. وقد ما يبغض الخير ويحب الشر ، قال فلا حاجة لي فيها. قال: لكن لها حاجة فيك. قد رأيت رسول الله صلى الله عليه

[1] سهيل قاشا ، تاريخ الخلفاء الراشدين، الفتوحات الإنجازات السياسية ،دار النفائس بيروت ، لبنان ،ط2 ، 2011م ، ص178.

[2] أحمد بن علي بن أحمد القشلندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب بيروت، دط، دت ، ج1 ، ص 222.

[3] سورة الشعراء ، الآية 227.

[4] جمال الدين بن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، مرجع سابق ، ص 53.

وسلم وصحبته، و رأيت أثرته أنفسنا على نفسه ، حتى أن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه. ورأيتني وصحبتي وإنما اتبعت أثر من كان قبلي. والله ما نمت فحلت ولا شبهت فتوهمت، وإني على طريقي ما زغت. تعلم يا عمر: إن لله حقا في الليل لا يقبله النهار، وحقا في النهار لا يقبله الليل وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الحق، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الحق أن يثقل، وخفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة بإتباعهم الباطل، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يخف. إن أول من أحذرك نفسك وأحذرك الناس، فإنهم قد طمحت أبصارهم، وإن الحيرة عن ذلة تكون ، وإياك أن تكونه. وإنهم لن يزالوا خائفين لك ، فرقين منك ما خفت من الله وفرقته. هذه وصيتي إليك وأقرأ عليك السلام[1].

وقد ولي عمر الخلافة بعهد أبي بكر رضي الله عنهما في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة[2].

ولعل في هذا الاختيار ما نفع المسلمين إلى اليوم فقد فعل في خلافته أشياء لم يسبق إليها أحد ، فهو أول من عسّ بالليل ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع على صلاة الجنازة بأربع تكبيرات ، وكانوا من قبل يكبرون أربعا وخمسا وستا ، وأول من جمع على إمام واحد في صلاة التراويح ، وأول من ضرب بالدرة وكتب الدواوين ، وخطب مرة وعليه إزار فيه اثنا عشرة رقعة ، ولم تغيره خلافة ولا إمارة بل كان يقول : لا ألاه إلا الله المعطي من شاء ما شاء كنت لأرعى أرعى إلا الخطاب في هذا الوادي وكان فظا يرعبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت ليس بيني وبين الله أحد[3].

المطلب الرابع: موافقاته وأهم أعماله

1 موافقاته رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**)[4]. وقد فتح الله عليه أن أنزل من القرآن ما هو موافق للعديد من مواقفه وقد نظمها السيوطي وشرحها محمد بدر الدين الحسني[5] في قصيدة رائعة يبرز فيها موافقاته التي يقول فيها :

ففي المقام وأسارى بدر وآيتي تظاهر وستر

وذكر جبريل لأهل الغدر وآيتين أنزلا في الغدر

[1] جمال الدين بن الجوزي، المرجع نفسه ، ص54.

[2] جلال الدين السيوطي ،تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص128.

[3] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ، ص228.

[4] جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه ، ص115 .

[5] محمد بدر الدين بن يوسف المغربي الحسني ، فتح الوهاب في موافقات عمر بن الخطاب ، تح طارق فارس ، شبكة الالوكة ، ط1 ، 1435هـ – 2014 م، ص، ص ، 41 ،42 .

وآية الصيام في حل الرفث وقوله نساؤكم حرث يبث
وقوله لا يؤمنون حتى يحكموك إذ بقتل أفتى
وآية في النور هذا بهتان وآية فيها بها الاستئذان
وفي ختام آية في المؤمنين تبارك الله بحفظ المتقين
وثلة من في صفات السابقين وفي سواء آية المنافقين
وقال قولا ذاك في التوراة قد نبهه عليه كعب فسجد
وفي الآذان الذكر للرسول رأيته في خبر موصول
وقوله في آخر المجادلة لا تجد الآية في المخاللة
نظمت ما رأيته منقولا والحمد لله على ما أولى

2 أهم أعماله

لا يمكن حصر أعمال عمر رضي الله عنه لأن حياته كلها عمل وخدمة للدين وأهله ، وقد ذكر السيوطي مجموعة من الأعمال التي سبق بها غيره حيث ذكر العسكري أنه أول من سمي بأمير المؤمنين ، النووي أنه أول من اتخذ الدرة حتى قيل :درة عمر أهيب من السيف ، وأول من نور المساجد بالقناديل حتى قال علي بن أبي طالب: نور الله على عمر في قبره كما نور علينا في مساجدنا ، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام [1]،كما كانت له أعمال أخرى ندرجها في النقاط الموالية.

2 –1 تأسيسه للديوان

تذكر المصادر التاريخية أن عمر بن الخطاب أنشأ الديوان سنة 15 للهجرة ، عمل فيه على تنظيم اقتصاد الدولة وجرد الأموال ومحاسبة الولاة وكذا ترسيخ مبدأ العدالة بين الرعية ،ولعل السبب المباشر في تأسيسه هي الأموال التي دخلت من بلاد فارس حيث يذكر الطبري في تاريخه روايتين عن تأسيس الديوان الأولى عن طريق سيف بن عمر فيها أن الديوان تأسس في السنة الخامسة عشر ،أما الرواية الثانية فهي عن طريق الواقدي ، يذكر فيهل أنه أسسه سنة عشرون للهجرة[2] ، ولعلها الأقرب إلى الصحة على اعتبار أن عمر بن الخطاب سار على نهج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخليفته أبي بكر إلى أن جاءت أموال فارس كما ذكرنا . لما جاءت هذه الأموال بكى عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال له عبد الرحمان بن عوف : ما

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص135.

[2] محمد رضا ، تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ، د ط ، 1355هـ – 1936م ، ص43.

يبكيك فهذا موقف شكر ؟ فأجابه عمر بقوله: **(ولكن الله لم يعط قوما هذا إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء)**[1].

هذه الإجابة من الخليفة عمر في نظرنا تحمل مدى معرفة وتقدير عمر . رضي الله عنه . للمواقف التي سيتعرض لها الخلفاء من بعده ، ولعلها من بين الأسباب التي دعته إلى تغيير الولاة في كل مرة.

2- 2 تغييره الدائم للولاة

تعددت الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تغيير الولاة والقادة وتنوعت ، فمنها ما يعود لأسباب طبيعية كالموت ومنها غير ذلك ، فقد ذكر الواقدي أن الكثير من جيوش المسلمين وقادتهم فقد قضى طاعون عمواس على ما بين عشرين وخمسة وعشرين ألفا ، واستشهد في هذا الطاعون من القادة أبو عبيدة عامر بن الجراح، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم [2] ؛ قال عنهما عمر قبل وفاته : إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فإن سألني ربي قلت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**أن لكل نبي أمينا ، وأمين وأميني أبو عبيدة بن الجراح)**[3]، فإن أدركني أجلي – وقد توفي أبو عبيدة – استخلفت معاذ بن جبل فإن سألني ربي لما استخلفته؟ قلت: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **(إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة)**[4] ، وقد ماتا في خلافته.

وقد استشهدا في الطاعون أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ، وعامر بن أبي وقاص، وقيل يزيد بن أبي سفيان[5] ، ولا نرشح وفاة يزيد رضي الله عنه لأنه ولي أمر الشام بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه.

ومن الصحابة الذين أقدم الخليفة عمر بن الخطاب على استبدالهم خالد بن الوليد قائد الفتوحات في عهد أبي بكر ، فبمجرد ما تولى الخلافة عزله ،كما عزل شرحبيل بن حسنة عن قيادة الجند عند زيارته للجابية[6] ؛ هذا الأخير لما عزله قال له : يا أمير المؤمنين : أعجزت أم خنت ؟فقال : لم تعجز ولم تخن فقال : فلم عزلتي ؟ قال : تحرجت أن أؤمرك وأنا أجد أحرى منك ، فقال شرحبيل: فاعذرني يا أمير المؤمنين في الناس ، فقام الخليفة يعذره في الناس وقال : إني لم أعزله عن سخطة ، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل[7].

---

[1] مصطفى فايدة ، تأسيس عمر للديوان ،مركز الملك فهد للبحوث والدراسات، الرياض، ط1 ، 1418هـ – 1997م ، ص64.

[2] محمد بن عمر الواقدي ، فتوح الشام ،دار الجيل ،بيروت ، دط ،دت ، ج1، ص15

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، فضائل الصحابة ، ح53.

[4] المصدر نفسه ، فضائل الصحابة ، ح54.

[5] الواقدي ، المرجع السابق ، ج1، ص15.

[6] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج2 ، ص657.

[7] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق،ج3، ص414.

2 – 3 تقديمه لأهل بيت

أورد أبو يوسف عن أبي إسحاق أن عمر لما أراد أن يفرض للناس قال له كتبة الديوان: ابدأ بنفسك، قال : لا ، وبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففرض للعباس ثم علي ـ رضي الله عنهما ـ حتى والى بين خمس قبائل حتى وصل إلى بني عدي ، وأمر الكتاب الذين يكتبون الناس في المدينة أن يكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا مبتدئين ببني هاشم ثم حسب الخلافة ، فأنكر عليهم ذلك واعترض وقال: (**وددت لو تكون هكذا ولكن ابتدئوا بقرابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله**)[1]. وقد كان كثير الأخذ بمشورة علي رضي الله عنهما ، وكتب الشيعة نفسها تشهد على ذلك ،يقول محمود الشهابي الخراساني : كانت مراودة علي معهما أكثر ومراجعتهما في الشؤون الدينية والحوادث الواقعة الاجتماعية الدنيوية إليه أزيد ـ وشاورهما معه أكثر وأظهر وقبولهما لما يشير به في الوقائع والحوادث أيسر وأسهل، لاسيما في نوبة الخليفة عمر رضي الله عنه فإنه كان يستشير عنه ويستفتي و يعترف بما يشير إليه ويفتي به ، فيعمل بما أشار وأفتى ولا يستنكف أن يقول كرارا وجهارا: **(لولا علي لهلك عمر، ويتعوذ بالله علنا من معضلة ليس لها أبو الحسن)**[2].

وفي فتح بيت المقدس ذكر الواقدي أن عمر عمل برأي علي رضي الله عنهما ، وسار بنفسه إلى بيت المقدس واستخلفه على المدينة ، وقد نقل قوله محمود الخراساني ، وذكر قول عمر رضي الله عنه : ولست آخذا إلا بمشورة علي فما رآيناه إلا محمودا المشورة ، ميمون الطلعة . فعمل برأيه وذهب إلى بيت المقدس بنفسه واستخلف عليا على المدينة في غيبته[3].

2 – 5 تركيبة الجيش في عصره

كانت الجيوش الإسلامية قبل عمر ـ رضي الله عنه ـ مؤلفة من العرب (مكة والطائف والمدينة) والقبائل التي أعلنت الولاء في حرب الردة التي قادها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فلما جاء الفاروق سمح لأهل الردة بالانضمام إلى الجيش والمحاربة تحت لواء الإسلام [4].

---

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق ، ج2 ، ص 709.

[2] محمود الشهابي الخراساني، الإسلام والشيعة الإمامية في أساسها التاريخي وكيانها الإعتقادي، مؤسسة النشر بطهران ، ط1، 2001 م ،ج1، ص524.

[3] المرجع نفسه، ص 525.

[4] عمر أبو النصر ، سيوف أمية في الحرب الإدارة ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، دط ، 1963م ، ص 26.

المطلب الخامس : وفاته وثناء الصحابة عليه رضي الله عنه

1 وفاته رضي الله عنه

بشر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر بن الخطاب بالشهادة ، وقد كان له ذلك ، ومجمل القول في قصة وفاته ـ رضي الله عنه ـ أنه كان لا يأذن لمشرك أن يدخل المدينة فكتب إليه المغيرة بن شعبة ـ واليه على الكوفة ـ يستأذنه في غلام له يصنع أشياء كثيرة اسمه "فيروز" ويعرف بأبي لؤلؤة المجوسي ؛ فأذن له عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وضرب عليه في كل شهر مئة درهم ، وجاء الغلام إلى عمر مرة واشتكى كثرة خراجه ، فقال له عمر : ما تحسن من الأعمال؟ فذكرها له ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير اتق الله وأحسن إلى مولاك .فغضب العبد وقال : وسع الناس كلهم عدله غيري .فأضمر على قتله ، فذهب وصنع له سكينا ذات طرفين ، وأتى المسجد فطعنه في الصلاة[1]. فقال عمر قتلني أو أكلني الكلب ، وصار لا يمر على أحد يمينا او شمالا إلا طعنه ، فمات منهم تسعة ، وفي رواية سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن الرجل انه مأخوذ طعن نفسه ؛ وحمل عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى بيته وكان ذلك يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع بقين من ذي الحجة وبقي إلى أن توفي في آخره وهو ابن ثلاث وستين عاما ، ودفن مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر الصديق[2].

ولا يستبعد أن يكون "للهرمزان " دور في مقتله ـ رضي الله عنه ـ وذلك استنادا إلى قصة إسلام الهرمزان بعد أن فتح المسلمون الأهواز سنة 17 للهجرة حيث دخل على عمر وهو نائم ، ليس له حارس ولا حجاب فاستيقظ للجبلة وكان بينهما حوار حيث ذكر ابن الوردي أن عمر قال له : كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال الهرمزان : نحن وإياكم في الجاهلية لما خلا الله بيننا وبينكم غلبناكم ولما كان الله معكم اليوم غلبتمونا ، وطلب ماء فأتي به فقال أخاف أن تغدر بي وتقتلني قبل أن أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشرب ، فاستعمل الهرمزان الخديعة حتى في هذه اللحظة ورمى الإناء فانكسر وسال والماء ولم يشرب ، فقصد عمر قتله فقال الصحابة : إنك قد أمنته بقولك لا بأس عليك حتى تشرب ولم يشرب ذلك الماء ، ثم أسلم بعدها [3].

و أخرج البخاري في باب قصة البيعة و الاتفاق على عثمان، حيث ذكر مقتل عمر ـ رضي الله عنه والحديث طويل، و فيه: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟

[1] ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، مرجع سابق ، ج44 ، ص413

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص120.

[3] عمر أبو النصر، سيوف أمية في الحرب والإدارة ، مرجع سابق ، ص225 .

قال: نعم. قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت و أبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة. فقال: إن شئت قتلناهم. قال: كذبت بعد أن تكلّموا بلسانكم – أي اقرّوا بالشهادتين– وصلّوا إلى قبلتكم، وحجوا حجكم[1].

وبهذا يكون عمر بن الخطاب قد أقام خليفة على المسلمين حتى أصيب رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد من مستهل المحرم الحرام سنة أربع وعشرين فكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوما [2].

2 ثناء الصحابة عليه

عند وفاته — رضي الله عنه – صلى عليه عبد الله بن سلام وقال لأصحابه : لئن سبقتموني بالصلاة عليه، لا تسبقوني بالثناء عليه ، فقام عند سريره وقال : نعم أخو الإسلام أنت كنت يا عمر جوادا بالحق بخيلا بالباطل ترضى حين الرضا وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف طيب الظرف ، لم تكن مداحا ولا مغتابا[3].

أما علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . فقد دخل عليه وهو مسجى بين أصحابه فقال: **ما على الأرض ألقي الله بصحيفته أحب إلي من هذا المسجى بينكم**[4].

وقال عنه عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين والله إن كان إسلامك لنصرا وإن كانت إمامتك لفتحا ، والله لقد ملأت الأرض عدلا ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك[5].

كما ذكر ابن الوردي حديثا عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يبين مكانة عمر من جهة وينبئ بالخطر القادم والفتن التي تأتي من بعده من جهة أخرى قال : مر يوما عمر بن الخطاب أمام رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال :(**لا يزال بينكم وبين الفتة باب شديد الغلق ما دام هذا الرجل بين أظهركم فإذا فارقكم انفتح هذا الباب**)[6].

فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ، وكيف لا يثني الصحابة عليه وهو الذي يفر منه الشيطان ، جاء عند البخاري عن محمد بن سعد ابن أبي وقاص، عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ،ج 5 ،ص20 .

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص134.

[3] محمد بك الخضري ، مقدمة عمرية حافظ في تاريخ عمر بن الخطاب وسيرته ومناقبه ، المطبعة المصرية ، دط ، دت ، ص8.

[4] المرجع نفسه ، ص9.

[5] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[6] زين الدين عمر بن الوردي، المختصر في أخبار البشر ، مرجع سابق ،ج1 ، ص227.

الله صلى الله عليه وسلم، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب). فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك**)[1].

هذا ونظيف إلى ما قال الصحابة عنه قول الفضيل بن عياض الزاهد الذي كان يوبخ نفسه فيقول: (ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله تدري من يتكلم بفمه كله عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن، وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم، وأعطى رجلا عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا .فقيل له: ألا تزيد ابنك كما زدت هذا ؟. قال : إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا)[2].

[1] البخاري ،صحيح البخاري ، باب مناقب عمر، ح ر3480.

[2] جمال الدين بن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب ، مرجع سابق ، ص73.

المبحث الثالث: عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ

المطلب الأول: التعريف به

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عيد مناف بن قصي، أبو عمرو الأموي ، ذو النورين ، ومن تستحيي منه الملائكة ، ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف ، وفتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب ، وكان من الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله وممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة[1] .

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس[2] ، فنسبه يلتقي بنسب رسول الله صلى الله عليه وسام من ناحية لأبيه وأمه. ولد بالطائف سنة سبع وأربعين قبل الهجرة ، فهو بذلك يصغر رسول الله بست سنين ، ونشأ تاجرا من الأثرياء لأن أبوه كان كذلك تاجرا من أثرياء تجار مكة في زمنه ؛ روى ابن سعد عن سليم بن أبي عامر قال : (**رأيت على عثمان بن عفان بردا يمانيا ثمنه مائة درهم)**[3].

غير أن ثرائه لم يؤثر في حياته كما يعد من السابقين إلى الإسلام كما ذكرنا سابقا ، حيث أسلم على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ يقول السيوطي : قال بن إسحاق : **هو أول الناس إسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة**[4]. فهو بذلك رابع من أسلم من الرجال ، ولعل سبقه إلى –الإسلام كان نتيجة ما عرض عليه رسول الله حين رجع هو وطلحة من الشام . يقول ابن سعد :أنه لما قدم عثمان من الشام وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام . قال عثمان : **يا رسول الله قدمت حديثا من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام إذ مناد يناديا . أيها النيام هبوا فإن أحمد قد خرج بمكة فقدمنا فسمعنا بك**[5].

تزوج عثمان رضي الله عنه من رقية بنت رسول الله وهي التي هاجرت معه الهجرتين ، الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة، وهو ما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبهه بنبي الله لوط عليه السلام قال عليه الصلاة والسلام: (**إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط**) .وقد ماتت رقية رضي الله عنها أيام بدر حيث بقي زوجها يمرضها فأسهم له رسول الله كمن شهد بدرا ، ثم زوجه من أختها أم كلثوم التي

---

[1] شمس الدين محمد بن عثمان بن قايمز الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419 هـ– 1998م ، ج1، ص9.

[2] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ،ج1 ، ص228.

[3] ابن سعد ، الطبقات، مرجع سابق ،ج3 ، ص58.

[4] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ،ص150.

[5] ابن سعد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص55.

بقيت معه حتى ماتت ولهذا سمي بذي النورين ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (**لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان**)[1].

كانت حياة عثمان رضي الله عنه حافلة بالعطاء والذب عن الإسلام إلى أن لقي ربه شهيدا، وله مآثر ومواقف لا يسع كتاب منفرد لذكرها، لكن سنحاول أن نسلط الضوء على أهمها في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: فضائله رضي الله عنه.

الخصال والمآثر والفضائل التي تميز بها عثمان بن عفان رضي الله عنه كثيرة ،حيث يذكر السيوطي في تاريخه أن العلماء قالوا : لا يعرف أحد تزوج ابنتي نبي غيره ، ولذلك سمي ذي النورين ، فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين ولأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن[2] ، بل قال بن عباد: لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو والمأمون[3]، كما أنه رضي الله عنه كان شديد الحياء ،حيث أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : (**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)**[4]، وفي رواية لابن عساكر عن زيد ين ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال: (**شهيد يقتله قومه ، إنا نستحي منه**)[5]

كما عرف عن عثمان رضي الله عنه أنه كان شديد السخاء من أهل الجود والإنفاق في سبيل الله فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمان بن خباب قال : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : يا رسول الله : علي مئة بعير بأحلاسها و أقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش، فقال عثمان :يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها و أقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقال عثمان : يا رسول الله :علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها و أقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يقول : (**ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء)**[6]. ورواية الترمذي هذه تعضدها الرواية التي سبقتها عند البخاري عن عبد الرحمان السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم وقال: (أنشدكم الله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون رسول

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج3، ص66.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص144.

[3] المرجع نفسه ، ص 145.

[4] مسلم ، صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، ح 26.

[5] جلال الدين السيوطي، المرجع السابق ، ص150.

[6] الترمذي،سنن الترمذي ، المناقب ح 18.

الله صلى الله عليه وسلم قال : (**من جهز جيش العسرة فله الجنة ؟. فجهزتهم. ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها، فصدقوا بما قال)**[1].

كما ذكر السيوطي مجموعة من الأوائل لعثمان رضي الله عنه لم يسبقه بها أحد من الخلفاء نقلا عن العسكري قال: أول من أقطع القطائع ، وأول من حمى الحمى، وأول من خفض صوته بالتكبير ، وأول من خلق المساجد ، وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة، وأول من أمر برزق المؤذنين ، وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال: أيها الناس، إن أول المركب صعب ، وإن بعد اليوم أياما، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطباء ، وسيعلمنا الله ، كما انه اول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة ، وأول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم ، وأول من ولي الخلافة في حياة أمه، أول من اتخذ صاحب شرطة ، وأول من اتخذ المقصورة في المسجد خوفا من أن يصيبه ما أصاب عمر[2].

وعند البخاري في باب فضائل الصحابة: قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه)** [3].

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: **(هذه يد عثمان)**. فضرب بها على يده، فقال: **(هذه لعثمان)**. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.وهذه الرواية فيها إجابة صريحة من ابن عمر لذلك الأعرابي الذي جاء من مصر حاجا ، وفي نفس الوقت طاعنا في الخليفة عثمان رضي الله عنه فمن خلال كلامه يظهر جليا انه أراد أن يأخذ الحجة من ابن عمر ضد عثمان رضي الله عنهما إلا أن ابن عمر رضي الله عنه قد أفحمه بالحجة والدليل وبين له سبب تخلف عثمان عن المواقف الثلاثة التي أراد الخوارج أن يحتجوا بها على عثمان رضي الله عنه.

---

[1] البخاري ،صحيح البخاري ، فضائل الصحابة،ح7.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص161.

[3] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، مرجع سابق ، ص112.

المطلب الثالث : استخلافه رضي الله عنه

عندما طعن عمر رضي الله عنه وعلم أنه هالك اختارا مجلسا مكوننا من ستة أعضاء ، وهم الصحابة الذين مات رسول الله . صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، وهم البقية الباقية ممن بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ليكون منهم خليفة له على شؤون المسلمين ، ثلاثة من الهاشميين وثلاثة من الأمويين ولم يختر من الأنصار وهم : علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمان بن عوف ، وفي هذا الاختيار بيان صريح أن الخلافة في قريش حيث لم يختر من الأنصار من يستخلف. وقد انتقد الشيعة هذا الموقف من عمر . رضي الله عنه مستندين في نقدهم إلى ما ذكرته كتب السنة ، فنقل آل كاشف الغطاء رواية لمسلم عن ابن عمر . رضي الله عنهما أنه قال : دخلت حفصة فقالت : أعلمت أن أباك غير مستخلف ؟ قال: فقلت ما كان ليفعل . قالت إنه فاعل .قال : فحلفت أني أكلمه في ذلك؛ فسكت حتى غدوت ولم أكلمه قال : فكنت فكأنما أحمل بيميني جبلا حتى رجعت ودخلت عليه فقلت له : (**إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك ؛ زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأبت انه قد ضيع ، فرعاية الناس أشد)**[1]. ويروون كذلك ما جاء في كتاب الإمامة والسياسة أن عائشة أرسلت إلى عمر عندما طعن : (**لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عنهم ولا تدعهم بعدك هملا ، فإني أخشى عليهم الفتنة**)[2].

لكن الرواية الأقرب إلى الحقيقة في نظرنا حول تعيين عثمان بن عفان لخلافة عمر ابن الخطاب بعد أن حدد الأشخاص الذين يكون الأمر إليهم من بعده دون تخصيص واحد ، وأمر ابنه أن يكون طرفا في التعيين دون أن يكون أحد المرشحين ، هي الرواية التي ذكرها الطبري في تاريخه والتي مفادها أن عبد الرحمان بن عوف بعث في اليوم الثالث لوفاة عمر رضي الله عنه إلى من حضره من المهاجرين والأنصار من أهل السابقة والفضل ، وإلى أمراء الأمصار فتجمعوا حتى التج المسجد بهم فقال : أيها الناس :إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وهم ، وهم قد علموا أميرهم ، فقال سعيد بن زيد : إنا نراك لها أهلا ، فقال: أشيروا علي بغير هذا ،فقال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا ؛ فقام المقداد بن الأسود وقال : صدق عمار، إن بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا[3].

---

[1] مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الإمارة ،باب الاستخلاف وتركه، ج2،ح1823.

[2] ابن قتيبة أبو عبد الله بن مسلم الدينوري ، الإمامة والسياسة ، تح خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1414هـ -1997م ،ج1 ، ص35.

[3] ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ،مرجع سابق ، ج 4 ، ص 233 .

قال : فقال ابن أبي السرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : صدق ؛ إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا . فشتم عمار ابن أبي السرح وقال: متى كنت تنصح المسلمين .فتكلم بنو هاشم و بنو أمية ، فقال عمار: أيها الناس إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه ،فأنا تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم .فقال رجل من بني مخزوم ورد بكلام جارح عن قول عمار (وما أنت وتأمير قريش لأنفسها) . وكأن الأمر لا يعني المسامين بل يعني بني هاشم وبني أمية وفقط . فقال سعد ابن أبي وقاص : يا عبد الرحمان .أفرغ قبل أن يفتتن الناس . فقال عبد الرحمان: إني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا، ودعا عليا فقال له: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة الخليفتين من بعده ؟ فقال: أرجوا أن أفعل وأعمل بملغ علمي وطاقتي . ودعا عثمان وقال له بمثل ما قال لعلي فقال: نعم. فبايعه فقال علي : حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في شأن....إن الناس تنظر إلى قريش وقريش تنظر إلى بينها فتقول إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا ، وما كانت في غيركم من قريش تداولتموها بينكم[2].

وقد قام بتحليل هذا النص رياض عيسى ووصل من خلال كلام الصحابة إلى أن أنصار علي تكلموا بلسان الإسلام وأنصار عثمان تكلموا بلسان قريش حيث قال : المدهش في هذا النص أن المقداد وعمار تكلما بلسان الإسلام و المسلمين ، في حين أن الآخرين تحدثوا بلسان قريش واعتبروا أن السلطة في قريش ولا يحق لغير القرشيين حتى مجرد الحديث حولها [3] .

أما رواية الإمام أحمد في مسنده عن أبي وائل قال : قلت لعبد الرحمان بن عوف : كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا ؟ قال :ما ذنبي ؟ قد بدأت بعلي فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ؟ فقال فيما استطعت، ثم عرضت الأمر على عثمان فقال: نعم [4]. فهي تحمل معنى غير الذي ذهب إليه رياض عيسى ، فعبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه أراد أن يرفع الحرج واللائمة عليه من حيث تحمل المسؤولية فقد حمل قول علي رضي الله عنه: (**فيما استطعت إن شاء الله**) على التردد ، وحمل قول عثمان رضي الله عنه: (**نعم**) على العزم وعدم التردد ، ولعل الحق أن عليا رضي الله عنه لم يقصد ما ذهب إليه

[1] سورة يوسف ، الآية 18.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] رياض عيسى ، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، دمشق ،ط1 ،1992م ، ص65 .

[4] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 151.

ابن عوف وإنما أراد أن يبين له أن الحمل أثقل مما يتصور ، وأنه قد لا يأخذ بسيرة أبي بكر وعمر في بعض الأمور التي له فيها اجتهاده والله أعلم.

المطلب الرابع : الفتنة في عهده .

من خلال المعطيات والكيفية التي عين بها الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه يتبين للباحث أن الأمر لن يستقر وأنه سيحدث انقلاب على مؤسسة الخلافة ، وأن الأوضاع لن تهدأ لعثمان وذلك لعدة أسباب ، لها أبعادها التي منها ما يمتد إلى بداية الدعوة الإسلامية . منها ما استجد مع التغيرات التي طرأت على البلاد الإسلامية المسلمين.

. يحلل المستشار سالم البهنساوي سبب الفتنة في زمن عثمان رضي الله عنه ويعطي لها بعدا آخر تمتد جذوره إلى زمن النبي صلى الله علي وسلم . ويرجع أصلها إلى المنافقين حين هموا بأن يتخذوا مسجدا ضرارا فمنعهم القرآن الكريم ، وعجزوا بذلك عن إيقاظ الفتنة وتفريق كلمة المسلين ، إلى أن جاء عصر الخليفة الثالث وتوسعت رقعة بلاد الإسلام فعمل هؤلاء القوم على التخطيط لزعزعة الإسلام ووحدة أبنائه خارج أسوار المدينة ، حيث اضطر عثمان رضي الله عنه للسماح للصحابة بالتفرق في الأمصار حتى يعلموا الناس الدين فاغتنم المنافقون الفرصة وخرجوا مع من خرج من الصحابة وبثوا سمومهم في الأمصار .

يقول البهنساوي في تحليله للموقف : ولكن الخليفة الثالث اضطر إلى السماح لهؤلاء الصحابة بالانتقال إلى البلاد التي فتحت ليعلموا أهلها الإسلام ، فاستغل ذلك المنافقون وانتشروا في البلاد وأحدثوا الفتنة التي أدت إلى قتل الخليفة الذي أحسن إليهم والخليفة كما كانوا وراء الحرب التي وقعت بين بعض الصحابة والخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتي انتهت بالتآمر عليه وقتله[1].

وعد سليمان فياض أول أسباب ظهور الفتن سماح عثمان لكبار المهاجرين والأنصار الأولين بالتفرق في الأمصار، وهم الذين منعهم عمر بن الخطاب من مغادرة المدينة إلا لولاية أو لقيادة جيش أو لمهمة رسمية.

هذا التفرق فتح باب الانتقاد للولاة الذين عينهم عثمان رضي الله عنه ، يقول فياض : هذا التفرق فتح بابا لانتقاد الولاة الذين عينهم عثمان رضي الله عنه [2]، ولعل أهم انتقاد هو ما وُجه من طرف أبي ذر الغفاري لمعاوية بالشام حيث كان يقول : (**والله لقد حدث أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه، والله إني لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيا وصادقا مكذبا وأثرة بغير تقى ومالا**

[1] سالم البهنساوي، الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية تفسير سياسي ، مؤسسة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1 ،ص8.

[2] سلمان فياض ، الوجه الآخر للخلافة الإسلامية ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط 1، 1999 م، ص25.

مستأثرا به)[1]. وتمت الوشاية به إلى معاوية الذي شكاه بدوره إلى عثمان حيث أعاده بدوره إلى المدينة ثم نفاه إلى الربدة "[2].

كما عد جماعة من الباحثين سببا آخر في الفتنة تمثل في تولية عثمان لعبد الله بن أبي السرح الأموي على مصر ، وقد أباح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دمه لارتداده بعد الإيمان فهرب منه ثم عاد مسلما وكان ابن أبي السرح يظلم في حكمه أهل مصر ويحرضهم على الخليفة [3].

وذهب بعض المؤرخين إلى أنه من رؤوس الفتنة حيث ذكر سلمان فياض عنه أنه كان يقول بعد وفاة عثمان ـ رضي الله عنه ـ :" والله إني لكنت ألقى الراعي فأحرضه عليه "[4]. و من بين أهم الأسباب في الفتنة أيام عثمان ـ رضي الله عنه ـ ظهور **عبد الله بن سبأ**[5]. الذي شق وحدة المسلمين ودعا إلى مبايعة علي ، وتظاهر بحب آل البيت ، كما أنشأ أول تنظيم سري لينال من شوكة المسلمين ويفرق كلمتهم. هذا ويضاف إلى هذه الأسباب إقدام عثمان ـ رضي الله عنه ـ على عزل بعض الولاة الذين كانوا في عهد عمر إلى أسباب الفتنة كذلك. ولعل من أبرزهم المغيرة بن شعبة الذي كان واليا على الكوفة التي ولاها لسعد بن أبي وقاس .الذي عزل بدوره كذلك وآل الأمر من بعده إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان من أمه[6].

المطلب الخامس: استشهاده ـ رضي الله عنه ـ

سنة خمس وثلاثين للهجرة وصلت الفتنة مداها في عهد الخليفة الثالث وطلب من عثمان ـ رضي الله عنه أن يتنازل عن الخلافة ويعزل نفسه منها فرض ، و قدمت جموع مصر والكوفة والبصرة وكان هوى المصريين مع علي، وهوى الكوفيين مع الزبير، وهوى البصريين مع طلحة ، ودخلوا المدينة وثاروا على عثمان وهو على المنبر، وطالبوه بعدة أشياء ، ويلخص ابن الوردي فتنة مقتل عثمان بقوله أنها خيانة داخلية في البيت الأموي ، ففي أيام الحصار الذي ضرب على بيته ،حيث طالبوه بالتنازل عن الخلافة في بادئ الأمر

---

[1] سليمان فياض ، المرجع السابق ، ص 25.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص26.

[4] المرجع نفسه ، ص 27.

[5] عبد الله بن سبأ رأس الفرقة السبئية ، وقد ذهب المستشرق (ليفي دي لافيدا) إلى أن له عدة أسماء منها: ابن حرب، وابن السوداء، وابن وهب السبائي، ويكاد يجمع أهل السنة أنه يهودي يمني، وتعتبره الشيعة من الغلاة؛ إلا أن سعد بن عبد الله أبوخلف الأشعري القمي ذكر أن ابن سبأ شخصية مستقلة عن ابن السوداء،وابن السوداء هو مساعده وهو الذي أنكر موت علي بن أبي طالب وقد بين هذه الشخصية عمار طالبي فيرجع في هذا إلى كتابه آراء الخوارج الكلامية ، ج1 ، (ص 66-78).

[6] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ، ج2 ، ص229.

فرفض[1]، واتفق مع علي رضي الله عنهما على طلبهم بعزل "مروان بن الحكم " من عن الكتابة وكان كاتبه ؛ وعزل عبد الله بن أبي السرح واليه على مصر فأجاب عثمان ، وفرق علي . رضي الله عنه الناس وولى عثمان محمد بن أبي بكر على مصر خلفا لابن أبي السرح ، فتوجه معه بعض المهاجرين والأنصار من الصحابة ، وفي طريقهم لحق بهم عبد على هجين يجهده فسألوه إلى أين؟ فقال : إلى عامل مصر. فقالوا له : هذا عامل مصر.فقال: لا العامل الآخر ، يعني ابن أبي السرح ، ففتشوه فوجدوا عنده كتابا مختوما بختم عثمان يقول : (**إذا جاءك محمد بن أبي بكر ومن معه بأنك معزول فلا تقبل واحتل لهم واقتلهم ، وأبطل كتابهم وقر في مكانك**)[2] ، هذا الكتاب جعل محمد بن أبي بكر يرجع ومن معه ويجمعوا الصحابة على الكتاب ، وقد سألوا عثمان فاعترف بالخاتم وخط كاتبه وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك فطلبوا منه مروان يسلمه إليهم بسبب ذلك فامتنع فحذقوا وجدوا في قتاله فأقام علي ابنه الحسن ومعه عبد الله بن الزبير يذب عنه ومعهم محمد بن طلحة[3]. لكن المحاصرين له تسوروا على عثمان من دار بجنب داره ودخلوا بيته ووجدوه يتلوا القرآن فقتلوه وهو صائم لثمان عشر خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[4]. ودفن بعد ثلاثة أيام من استشهاده بأمر من علي رضي الله عنه بعدما منع محاربوه دفنه وعمره على الأرجح اثنتان وثمانون سنة ، وباستشهاده . رضي الله عنه . فتح باب آخر للفتنه التي لم تهدأ عواصفها بعده.وما أحسن قول كعب بن مالك فيه حين قال[5] :

وكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار الرياح الحوافل

وقد ذكر السيوطي ما أخرجه ابن عساكر عن الزهري أنه قال قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن

[1] سبب رفض عثمان التنازل عن الخلافة هو ما سمعه من رسول الله . صلى الله عليه وسلم حيث قال له: (يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فإن ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة)، ابن الوردي، مختصر تاريخ البشر،ج1،ص234.

[2] عمر أبو النصر ، سيوف بني أمية في الحرب والإدارة ، مرجع سابق ، ص233.

[3] المرجع نفسه ص233.

[4] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق،ج1، ص232.

[5] المرجع نفسه، ص 234.

المسيب : قتل عثمان مظلوما ، ومن قتله كان ظالما ،ومن خذله كان معذورا، فقلت :كيف كان ذلك ؟ قال : إن عثمان لما ولي كره نفر من الصحابة ولايته ، لأن عثمان كان يحب قومه ، فولي الناس اثنتي عشرة سنة ...فلما كان في الست الأواخر استاثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم[1].

وبمقتل عثمان رضي الله عنه فتح باب للفتن بقي إلى اليوم فقد أخرج ابن عساكر عن حذيفة قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه آمن به في قبره [2]. وقد قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمان عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، قتله . سودان بن حمران . ، وكانت خلافته إثنى عشرة سنة[3].

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق، ص155.

[2] المرجع نفسه ،ص159.

[3] الذهبي ، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق ، ج1،ص9.

المبحث الرابع : الخلافة في زمن علي ـ رضي الله عنه ـ .

لم تأت الخلافة إلى علي رضي الله عنه على طبق ، فالأحداث التي وقعت قبل خلافته كلها تنبيء بعدم صفاء الجو ولعل مقولته رضي الله عنه التي سبق وأن ذكرناها في رثائه وثنائه على عمر رضي الله عنه خير دليل على ما نقول ، فالشيعة فطائفة عظيمة من المسلمين تدعي بأن علي رضي الله عنه طلب الخلافة وأراد ان يكون هو الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الوقائع والحقائق تبين عكس ذلك خاصة بعد وفاة عمر بن الخطاب . فإن سلمنا أنه كانت له رغبة في الخلافة زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فإن هذه الرغبة قد زالت تماما بعدما تقلد زمام الأمور عثمان رضي الله عنه ، فهو أبعد الناس عن تحمل أمانة ملطخة بالدماء ، لكن نحاول معرفة علي بن أبي طالب وما حدث من فتن ونزاع حول الحكم أيام خلافته في هذا المبحث.

المطلب الأول: نسبه وإسلامه .

1 نسبه رضي الله عنه

علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وصهره ، زوج فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، رابع الخلفاء الراشدين ، هو حيدرة علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بمن قصي بن كلاب بن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]. يكنى بأبي الحسن ، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن – رضي الله عنه – ويقال له أبو التراب . ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل عليه يوما في المسجد وهو مضطجع ورداؤه ساقط على الأرض، فجعل رسول الله يمسح عليه التراب و يقول له : (**قم أبا التراب**)[2] ، اختلف في تحديد سنة مولده على أقوال عدة ؛ إلا أن الكثير من علماء الرجال والأنساب يرجح أنه ولد قبل البعثة بعشر سنوات على ما ذكر ابن إسحاق ورجح ابن حجر[3] ، أما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم[4] ، و قال ابن حنبل: ذكر مصعب الزبيري أن أم علي بن أبي طالب هي أول هاشمية ولدت هاشميا ، وهاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم [5]، وماتت وشهدها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلمت وهاجرت[6]، وبهذا يكون عليّ أول خليفة من بني هاشم.

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ،ج3، ص19.

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، ح ر2409.

[3] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة ، مرجع سابق ،ج2 ،ص501.

[4] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ج2 ، ص 555

[5] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[6] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق ،ص 163.

2 إسلامه رضي الله عنه

قد ذكرنا في مبحث سابق اختلاف المؤرخين في إسلام علي رضي الله عنه ، هل كان أول من أسلم أم غيره ؛ إلا أن المجزوم به أنه أول من أسلم من الصبيان [1]، وقد ذكر السيوطي رواية أبي يعلى عن علي رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وأسلمت يوم الثلاثاء ، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل: تسع ، وقيل: ثمان ، وقيل: دون ذلك[2].

المطلب الثاني : بيعة علي رضي الله عنه

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه قيل أن المدينة بقيت خمسة أيام بلا خليفة والغافقي يلتمس من يقوم بالأمر وطلحة في حائط له ،وسعد والزبير قد خرجا من المدينة، وبنو أمية قد هربوا أما قتلة عثمان فإنهم لم يتفقوا على من يلي الأمر ، وفي ليلة الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين بويع علي . رضي الله عنه . فكان أول من بايعه طلحة والزبير رضي الله عنهما [3].

إلاّ أن حسن إبراهيم نقل ما نصه : أنه بعد مقتل عثمان . رضي الله عنه . مال بعض الثوار إلى تولية علي ، ولكن البيعة لم تكن على إجماع من المسلمين فقد كان أكثر الصحابة متفرقين في الأمصار ، ولم يكن بالمدينة سوى عدد قليل على رأسهم طلحة والزبير ، كما تردد في بيعته بعض الأنصار كحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وبني أمية ، وقد لحق بعضهم بالشام ولحق البعض الآخر بمكة[4]، ولكننا لا نعتقد ذلك، فالذين التحقا بمكة هما طلحة والزبير ، والروايات السالفة تدل على التحاقهما بعد البيعة ، والأمر نفسه بالنسبة لسعد الذي التحق بالشام ، وعيه فإننا لا نرجح هذا القول.

ولعل أقرب الروايات إلى الحق ما نقله صاحب العقد الفريد حيث ذكر أن الناس اجتمعوا لمبايعة علي بن أبي طالب عندما قتل عثمان فقال : ليس ذلك لكم ، إنما ذلك لأهل بدر أين طلحة وسعد والزبير، فأقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والأنصار ومن بعدهم سائر الناس ، وكان ذلك في يوم الجمعة لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة 35 هـ ، وكان طلحة أول من بايعه وكانت البيعة في المسجد لأن عليا اشترط ذلك[5].

وعلى كل فالظاهر أن كل من كان من الصحابة في المدينة قد بايع عليا رضي الله عنه سواء تمت البيعة في بعد وفاة عثمان مباشرة او في المجسد كما طلب علي رضي الله عنه ودليل ذلك رواية السيوطي عن ابن

---

[1] المرجع نفسه ، ص164.

[2] الترمذي ، سنن الترمذي ، ح ر3812 ، أنظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 164.

[3] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ، ج1 ،ص235.

[4] حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ،مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط8 ، 1996م ،ج1 ،ص 305 .

[5] ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1420هـ – 1999م ، ج3 ،ص 93 .

سعد قد قال: بويع علي بالخلافة الغد من مقتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة ، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة[1] .

ولا يستغرب أن يبايع علي قبل دفن عثمان رضي الله عنه ، وذلك بالنظر إلى بيعة أبي بكر . رضي الله عنه . إذ لا يمكن ترك المسلمين بلا خليفة يسير شؤونهم مدة خمسة أيام، فأمر البيعة عقد لأبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مازال مسجى بين أهله.فكيف الحال بعد أن مات خيرة صحابة رسول الله ، وتوسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل الأعاجم، في الإسلام وصارت لهم يد في تسيير شؤونه، فالأولى أن يعين خليفة للمسلمين في هذه المرحلة قبل أن تزيد الفرقة ، وهو ما تم فعلا.

المطلب الثالث : أقواله فيمن سبقه من الخلفاء وكراهيته للخلاف.

كثيرا هو من روج الأكاذيب عن علي رضي الله عنه في مسألة علاقته مع من سبقه من الخلفاء ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فكل من الخلفاء كان يجتهد في خدمة الدين من موقعه ، وكل كان يحترم رأي الآخر ويخالفه إن وجد منفذا شرعيا لذلك ، أما ما كان من رأي خاص بكل واحد منهم فالله سبحانه هو الذي ميز بين عقول البشر ، ولأن عليا رضي الله عنه هو أكبر من تعرض من الخلفاء للمخالفة ، وهو أكبر من نسجت حوله الأقوال والأكاذيب ، بأنه كان معارضا لمن قبله من الخلفاء أو محبا للخلاف فهذه بعض الأقوال الثابتة عنه التي زكى فيها سبقه من الخلفاء بالإضافة إلى كراهيته للخلاف في زمنهم وبعدهم.

1 أقواله فيمن سبقه من الخلفاء

لقد أفحم علي رضي الله عنه خصوم الدين بذكره لفضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فقد ذكر ابن الجوزي أن أبي جحيفة قال: سمعت عليا يقول: (**ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر**)[2] .

كما ذكر رواية أخرى عن عبد خير قال : قلت لعلي بن أبي طالب: (**يا أمير المؤمنين: من أول الناس دخولا الجنة بعد رسول الله؟ . قال: أبو بكر وعمر. قلت : يا أمير المؤمنين يدخلونها قبلك. قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهما ليأكلان من ثمارها، ويتكئان عن فرشها**)[3].

ولعل القول الفصل الذي تستقر إليه النفس ، ومما لا يدع مجالا للشك في تقدير علي رضي الله عنه لصاحبيه وتقديمه لهما عن نفسه هو ما نقله ابن تيمية حيث قال : تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال:

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق ، ص170.

[2] جمال الدين بن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، مرجع سابق ، ص36.

[3] المرجع نفسه ، ص37.

(**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر**)[1] ، وعند أحمد بن حنبل عن زر بن حبيش عن أبي جحيفة قال سمعت عليا يقول : (**ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم قال: أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر**) [2]، وعن الحكم بن جحل قال: سمعت عليا يقول: (**لا يفضلني أحد على أبي بكر و عمر إلا جلدته حد المفتري**)[3] ، قال ابن تيمية : وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة كلهم كانوا يفضلون أبا بكر ثم عمر ، وإنما كان النزاع في علي وعثمان حين صار لهذا شيعة ولهذا شيعة ، وأما أبو بكر وعمر فلم يكن أحد يتشيع لهما بل جميع الأمة متفقة عليهما حتى الخوارج[4]. وبقول ابن تيمية هذا يتبين لنا أمران مهمان نحتاج إليهما عند الحديث عن أراء الخوارج والشيعة ومواقفهم من الخلافة فيما يأتي من مباحث قادمة.

2 كراهيته للخلاف

خلاف الصحابة رضوان الله عليهم إنما كان حول فهم نص من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهي أمور أكثرها اجتهادية شبيهة بما كان يحصى أحياناً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما حصل في أمر صلاة العصر حينما توجهوا إلى بني قريضة، وكان أحدهم إذا تبين له صحة وجهة نظر أخيه ترك خلافه، ورجع إلى الحق، بل وربما يرجع عن خلافه في مثل المسائل الاجتهادية؛ حرصاً على جمع الكلمة، وسداً لمنافذ الخلافات أو فتح الثغرات التي يأوي إليها المتربصون بهم.كما كان الخوف من تفرق الكلمة والحرص على وحدة صف المسلمين شعار الصحابة ؛ ولعلي بن أبي طالب مواقف يشهد لها التاريخ في نبذ الخلاف وحب من سبقه من الصحابة خاصة الخلفاء ؛ ومن الأدلة الثابتة على ذلك ما أورده البخاري في صحيحه عنه أنه رضي الله عنه قال: (**اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي**)[5]

و قال ابن حجر في معناه نقلاً عن أيوب: إن ذلك بسبب قول علي في بيع أم الولد، وأنه كان يرى هو وعمر أنهن لا يبعن وأنه رجع عن ذلك فرأى بيعهن قال عبيدة فقلت له رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلى من رأيك وحدك في الفرقة، فقال علي ما قال، قلت وقد وقعت في رواية حماد بن زيد أخرجها ابن

---

[1] اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، مرجع سابق ، ص22

[2] أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، مصدر سابق ، ح ر 40 ، ص 76.

[3] المصدر نفسه ، ح ر 49 ، ص83.

[4] أبو القاسم بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تح أحمد سعد حمدان ، ط2 ، 1411هـ ، م1 ، ص22.

[5] ابن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج7، ص71.

المنذر عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم عنه، وعنده قال لي عبيدة: بعث إلى علي وإلى شريح فقال: **(إني أبغض الاختلاف فاقضوا كما كنتم تقضون)** [1] ، ثم قال ابن حجر في شرح قول علي رضي الله عنه: (فإني أكره الاختلاف) أي الذي يؤدي إلى النزاع. ورغم هذا كله فإنه كان شديد التحري في أخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد يأتيه أحدهم بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يأخذه حتى يستحلفه مخافة الخلاف أو الكذب على رسول الله[2] ، وهو ما جعل الإمام الذهبي يقول : كان إماما عالما متحريا في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث ، قال : ثمان بن المغيرة الثقفي، عن علي بن ربيعة ،عن أسماء بن الحكم الغزاري أنه سمع عليا يقول : (**كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه ، وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفته ، فإذا حلف صدقته**)[3].

ولئن كان علي رضي الله عنه لا يحب الاختلاف مع الصحابة جميعا فإن أشد ما كان يخافه علي رضي الله عنه مخالفة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وخاصة المخالفة التي تؤدي إلى النزاع أو الخصومة ، قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يفيد رجوعه عن خلافه خوفاً من قيام فتنة[4].

لكن لا بد أن نشير إلى نقطة هامة يجب الوقوف عليها وهي أن الخلاف في حياة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لا يراد به إلا الوصول إلى الحق والتمسك به ، ثم جاء من بعدهم أشكال من الناس بعضهم كان منافقاً فأظهر الإسلام والموافقة، ثم عمل في الداخل على تضخيم الخلاف، وفتح ثغرة في مفاهيم المسلمين، وجادل بالتأويل والشبهات، وبعضهم استغل اختلاف الصحابة في بعض المسائل البسيطة التي هي في معظمها من أمور الدنيا أو مما يجوز الاجتهاد فيه، واتخذ منه سبيلاً لتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بتقليب الأدلة ومعارضة بعضها ببعض، وإذكاء التعصب، وزيادة حدة الخلاف ليحقق هدفه في الحقد على المسلمين وهو مما قد نبه إليه الإمام الأشعري رحمه الله[5] . ويا ليتهم توقفوا ، وأخذوا بقول الشاعر :

إني أحب أبا حفص وشيعته كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما وما رضيت قتل الشيخ في الدار

[1] المرجع نفسه ، ص73

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] محمد علي الصلابي، عصر الدولتين وظهور الخوارج، ص121،نقلا عن مصنف عبد الرزاق،م 10 ، ص 152.

[4] ابن الأثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ،ج7، ص218.

[5] الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، مرجع سابق ، ج1 ،ص34.

كل الصحابة سادتي ومعتقدي فهل علي بهذا القول من عار

ويكفي لبيان موقف علي رضي الله عنه من سابقيه أن نورد هذه الرواية عند البخاري عن ابن عباس والتي نصها: حدثني الوليد بن صالح: حدثنا عيسى بن يونس: حدثنا عمر بن سعيد بن أبي الحسين المكي، عن ابن أبي ملكية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

إني لواقف في قوم، فدعوا لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره ، وإذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إني كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرا مما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفت، فإذا هو علي بن أبي طالب**)[1].

المطلب الرابع : موقفه من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ

كان ابن عباس بمكة لما قتل عثمان رضي الله عنه ، وبعد أن قدم المدينة التحق بابن عمه علي ـ رضي الله عنهما ـ فوجده مستخليا بالمغيرة بن شعبة ، الذي أشار عليه بإبقاء ولاة عثمان حتى يبايعوا وتستقر الأمور، فأبى علي ـ رضي الله عنه ـ ثم عاد إليه ثانية وقال له الرأي ما رأيته ، فقال ابن عباس : **إنه نصحك في الأولى وغشك في الثانية ، وإني أخشى أن ينتفض عليك الشام** [2]، فكان كما قال ابن عباس فمعاوية بن أبي سفيان والي عثمان على الشام رفض البيعة لعلي ـ رضي الله عنه ـ حتى يتم الثأر لدم عثمان ، وعلي ـ رضي الله عنه ـ رأى بأن الثأر لعثمان لا يتم وسط الفوضى كما لا يتم إلا بعد استقرار الحكم ، وعودة التفاف الناس حول الخليفة الجديد وهذا ما لم يقبله معاوية . وفي موقف علي رضي الله عنه يوم الجمل دليل بين على موقفه من قتلة عثمان وذلك ما صرح به.

فعن قيس بن عباد قال : سمعت عليا يوم الجمل يقول : (**اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت : والله إني أستحي أن أبايع قوما قتلوا عثمان ، وأني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت: اللهم إني مشقف مما أقدم عليه ، ثم إن جاءت عزيمة فبايعت ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، فكأنما دصع قلبي، وقلت اللهم خذ لعثمان حتى ترضى**)[3].

وفي قول علي رضي الله عنه دليل قاطع على أنه منكر كل الإنكار على من قتل عثمان ، كما فيه دليل على أنه لن يترك الحق في قتلة عثمان وسيقتص منهم، كما فيه دليل على زهده في الخلافة بعد مقتل

[1] البخاري ، صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة حديث رقم 3474.

[2] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ، ج1 ،ص236.[2]

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 159.

عثمان رضي الله عنه . فهو الحاذق الذي يرى أن الأمور لن تستقر له بعد ذلك ، وقد أيقن أن باب الفتنة الذي فتح على عثمان رضي الله عنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤوليته.

وقد دعا علي رضي الله عنه معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه الناس من البيعة بعد فتنة الجمل فأرسل إليه جرير بن عبد الله البجلي ليكلمه وحمل إليه كتابا جاء فيه: (**إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما ، كان ذلك رضا، فإن خرج خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولوه ما تولى)**[1]. وذلك ردا على كتاب معاوية الذي يقول فيه: (**قد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين)**[2]. فإن صدقت هذه المكاتبة فهي دليل على أن معاوية لا يريد من بعدها البيعة لعلي وإنما يريد زج غير أهل الحل والعقد في اختيار الخليفة مهما كان الأمر ، كما يتجلى طمعه في الترشح لمنصب الخلافة ، وإلا لكتب في رسالته : نعرض مسألة استخلافك على أهل الشورى فإن استخلفوك فعلينا السمع والطاعة.

وهناك دليل آخر على موقف علي من قتلة عثمان رضي الله عنهما ، وهو ما أخرجه ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفي، قال : سمعت عليا يقول : (**إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان ، ولا والله الذي لا إله إلا هو ما قلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني)**[3].

ولعل أهم رواية وأرجحها ما ذكره ابن حبان حيث يقول: لما دخلت سنة سبع وثلاثين كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب[4]: (**أما بعد : فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بعلمه وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه،واختار له من المسلمين أعوانا فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، كان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة بعده، وخليفة خليفته، والخليفة المظلوم المقتول . رحمة الله عليهم . وقد ذكر لي أنك تنتفى من دمه، فإن كنت صادقا فأمكنا ممن قتله**

---

[1] علي سليمان يحفوفي، الخلافة والخلفاء، دار العالمية للنشر والطباعة ، بيروت، لبنان، ط1 ،1401هـ-1981م ، ص118، نقلا عن نهج البلاغة،ج2 ،ص122.

[2] ابن أبي الحديد أبو حامد عر الدين بن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، تح محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ – 1998م ، ج3، ص88.

[3] جلال الدين السيوطي ، مرجع سابق ،ص159 .

[4] محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تح سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دط، دت، ص315.

حتى نقتله به، ونحن أسرع إليك إجابة، وأطوعهم طاعة، وإلا فليس لك ولا لأحد من أصحابك عندنا إلا السيف، والذي لا إله غيره، لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال حتى يقتلهم الله أو تلحق أرواحنا بعثمان والسلام)[1].

فردّ عليه علي رضي الله عنه بقوله: (**زعمت أنك جئت ثائرا بعثمان وقد علمت حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالبا)**[2].

وفي تحليلنا لهذه الرسالة يمكن أن نستخلص أن نية معاوية كانت مخالفة تماما لتوجه على رضي الله عنه، وكانت استفزازية، كما أنها تحمل في طياتها عدم التخلي عن الإمارة حتّى ولو تم القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ثم من الذي له الحق في القصاص، هل هو الخليفة أم الوالي على إحدى ولايات الخلافة؟ ولا شك أنّ من تمرد عليك اليوم سيتمرد عليك في أية لحظة، وما قول معاوية لعلي : (**أهل الفضائل الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة المظلوم المقتول**) إلاّ إنتقاص لقدر علي أمام من سبقه من الخلفاء رضي الله عنهم، ويكفي أن هذه الرسالة –كما تذكر الرواية – لم تبتدأ بالسلام، كما حملت التهديد المباشر باستعمال السّيف في وجه الخلافة ، وهذا هو التمرد بعينه ، لذلك كان رد علي عنيفا.وذلك ما نستخلصه من رسالته التي وجهها إليه يقول فيها : (**بسم الله الرحمان الرحيم . من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد: فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك يذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله عليه من الهدى، والحمد لله على ذلك، وأما ما ذكرت من الخلفاء فلعمري إن مقامهم كان في الإسلام عظيما، وإن الجرح بهم عظيم في الإسلام، وأما ذكرت من قتلة عثمان فإني قد نظرت في الأمر، فلم يسعني دفعهم إليك، وقد أتاني أبوك حين ولي الناس أبا بكر فقال لي: يا علي أنت أحق الناس بهذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهات يدك أبايعك فلم أفعل مخافة الفرقة في الإسلام، فأبوك أعرف بحقي منك، فإن كنت تعرف من حقي ما كان يعرفه أبوك فقد قصدت رشدك، وإن لم تفعل فسيغني الله عنك والسلام)**[3]. فلو لم يكن موقف لعلي من قتلة عثمان لدفع بهم إلى معاوية ، ولو لم تكن رسالة معاوية مشفرة لما ردّ عليه علي بهذا الرد ؛ بل وإن من المصادر التاريخية ما يذكر صراحة أن نية معاوية منذ البداية هي الخلافة . وينقل ابن أبي الحديد في شرح البلاغة دليلا قاطعا على ذلك أن معاوية كان طالبا للخلافة العامة[4] ، فقد طرح على جرير بن عبد الله رسول علي رضي الله

[1] المرجع نفسه، ص 315.

[2] نهج البلاغة، ج2 ، ص64.

[3] ابن حبّان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص316.

[4] علي سليمان يحفوفي ، بحوث في نهج البلاغة، مرجع سابق ، ص122.

عنه أن يكتب إلى الإمام حين بعثه لأخذ البيعة : (**أن يجعل الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعة وأسلم له هذا الأمر**)[1]. فكان جواب علي رضي الله عنه بالرفض ولم يسأم إلى معاوية بل كتب إليه ثانية فكان الجواب من علي رضي الله عنه:(**فأما طلبك الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس**)[2]. فكان من نتائج هذا السجال أن توترت العلاقة بين الشام ومؤسسة الخلافة، وحدثت وقعة صفين التي سيتم الحديث عنها في المطلب الموالي.

المطلب الخامس: وقعة صفين ومسألة التحكيم

1 وقعة صفين

في سنة سبع وثلاثين حدثت وقعة صفين بين جيشي علي ومعاوية، وفيها قتل عمار بن ياسر . رضي الله عنهما . الذي كان في صف علي والذي قال فيه رسول الله . صلى الله عليه وسلم : (**تقتل عمارا الفئة الباغية**) ، قيل قتله أبو عادية برمح وشخص آخر و احتز رأسه ودخلا به على عمرو ومعاوية يختصمان، كل يقول أنا قتلته، فقال عمرو : (**إنكما في النار**) ، وفي هذا الكلام بيان واضح أن الأمر لعلي ولكن معاوية ومن معه أرادوا الدنيا ولم يريدوا الآخرة ، و يذكر ابن الوردي أنه بعد قتل عمار أنتدب علي . رضي الله عنه . عشرين ألفا وحمل بهم على الشام فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وعلي يقول [3]:

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العينين العظيم الخاوية

ثم نادى على معاوية علام تقتل الناس ما بيننا ، هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال عمرو : قد أنصفك ابن عمك ، فقال معاوية : ما أنصف إنك تعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله. فقال عمرو: وما يحسن بك ترك مبارزته . فقال معاوية : طمعت في الأمر بعدي ؟. وهذا دليل آخر على أن كلا من عمرو ومعاوية يريد الأمر لنفسه ؛ وإلا لخرجا وبارزا عليا وحسم الأمر للغالب منهما وحقنت دماء المسلمين ، فابن الوردي يذكر أن عليا كبر في تلك الليلة أربع مئة تكبيرة، وكان من عادته أنه كلما قتل كبر ، وشبهت تلك الليلة بالقادسية [4]. كما قاتل الأشتر قتالا عظيما حتى انتهى إلى معسكرهم وأمده علي رضي الله عنه برجال .فلما رأى عمرو بن العاص أن الأمر يسير إلى علي وقد كثرت الدماء رفع المصاحف على الرماح ودعا عليا إلى التحكيم.

[1] المرجع نفسه ، ص123.

[2] المرجع نفسه ، ص124.

[3] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق، ص241.

[4] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر، مرجع سابق ،ج1 ، ص243.

2 مسألة التحكيم

بعد أن دعي علي رضي الله عنه إلى التحكيم، قال أهل العراق لعلي: ألا تجيب إلى كتاب الله ؟ فقال علي : امضوا على حقكم في قتال عدوكم فإن عمرا، ومعاوية، وابن معيط، وابن أبي السرح، والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم والله ما رفعوها إلا خديعة ومكيدة . إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله، فإنهم قد عصوا الله في ما أمرهم [1].

فقال له مسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من الذين صاروا فيما بعد خوارج: يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ونفعل بك ما فعلنا بعثمان بن عفان فقال علي : إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم. قالوا : وابعث إلى الأشتر يأتك فبعث إليه علي يدعوه فلم يجبه في الأولى وأجابه في الثانية وقال له : قد علمت والله أن رفع المصاحف يوقع اختلافا وأنها مشورة ابن العاهرة . يقصد عمرو بن العاص . فقال الأشعث بن قيس وهو من أكبر الخوارج: إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري فقال علي : قد عصيتموني في الأولى فلا تعصوني الآن ؛ لا أرى أن أولي أبا موسى فقالوا : لا نرضى إلا به فقال علي رضي الله عنه : إنه قد فارقني وخذل عني الناس ثم هرب حين أمنته بعد أشهر ولكن ابن عباس أولى منه فقالوا: ابن عباس هو ابن عمك ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، قال علي فالأشتر، فأبوا وقالوا وهل أشعلها إلا الأشتر، فاضطر علي إلى إجابتهم[2].

وخدع علي رضي الله عنه بمسألة التحكيم من طرف عمر بن العاص ذلك لأنه رضي الله عنه كان يميل إلى ابن عباس ، بل وإنه اختار ابن عباس كي يكون الطرف المفاوض لعمرو بن العاص[3] ، ولكن غلب على أمره واختير لهذه المهمة أبو موسى الأشعري الذي خدعه عمرو بن العاص حيث اتفقا على عزل الاثنين فقدم عمرو أبا موسى ليتكلم أولا فنهاه ابن عباس وقال له : ويحك إني أظن أنه خدعك ، إن اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فإني لا آمن أن يخالفك [4].

---

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[2] السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق ، ص 171.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] ابن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر ، مرجع سابق ، ص243.

وكان كما فكر ابن عباس فقد تقدم موسى الأشعري وخلع صاحبه ومعاوية ، ثم قام عمرو بن العاص وثبت صاحبه معاوية وركب أبو موسى ولحق بمكة حياء ، وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة [1].

ويكفي أن نورد في هذا المقام وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ينصر عليا رضي الله عنه ، وكذا بيان أن من خالف عليا كان على باطل ومن وافقه كان على حق. يقول ابن عساكر في تاريخه: روي عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل**)[2]. فهذا الحديث وإن دل فإنما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأ صحابته بما سيقع من بعده من فتنة ،كما نبأ بخلافة علي رضي الله عنه والخلاف الذي سيقع بينه وبين خصومه ، بالإضافة إلى أن ولاية علي رضي الله عنه تتمثل في نصرته وتأييده لا في خلافته والوصية لأبنائه ونسله بالولاية من بعده كما تدعيه الشيعة[3].

المطلب السادس: الانقسام ظهور الخوارج

1 انقسام جيش علي رضي الله عنه

ظهرت بوادر الانقسام في الفئة التي كانت تناصر عليا رضي الله عنه في معركة صفين بعد أن أظهرت جماعة في جيشه العصيان وشقوا عصا الطاعة في معركة صفين التي كانت بعد وقعة الجمل بستة أشهر وسقط فيها من القتلى و الجرحى ما لا يقل عن سبعين ألفا من الطرفين [4]، عاد جيش علي رضي الله عنه إلى الكوفة، وكان علي يخطب في الناس فيقاطعه الذين لم يرضوا بالتحكيم ، وهم الذين خرجوا عليه وهم نواة الخوارج وأصلها حيث كانوا يقولون لعلي: جزعنا من البلية ورضينا بالقضية وقبلت الدنية ولا حكم إلا لله [5].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 244.

[2] أخرجه صاحب كنز العمال برقم32952، عن الطبراني في الكبير، وانظر مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر،تح واختصار وفاء تقي الدين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1410هـ، 1990م، ج22، ص10.

[3] الشيعة، فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في صدر الإسلام يدعي أصحابها نصرة وحب أهل البيت وما هم في ذلك من شيء، وسنقف على بيانها في مبحث لاحق.

[4] عمر أبو النصر ، سيوف بني أمية في الحرب والإدارة، ص42.

[5] محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي العام ، مرجع سابق ، ص262.

2 ظهور الخوارج

يقول صاحب التاريخ العام : نرى أن الذين كانوا مع علي في صفين متوادين هم الذين خرجوا عليه ، وعرفوا باسم الخوارج ،وكان عددهم اثني عشر ألفا ، استطاع علي أن يقنع منهم ثمانية آلاف وبقي أربعة آلاف على عدائهم له وذهبوا إلى بلدة النهروان فاضطر علي لقتالهم ,وكان على رأس الخوارج فيها عبد الله بن وهب ،إلا أن عليا هزمهم هزيمة منكرة وأبادهم[1].

وأهم ما يشار إليه ويؤخذ في الحسبان أن النواة الأساسية للخوارج وأصل فرقتهم قد حسمه علي رضي الله عنه وأبانه في هذه المعركة ، يقول ابن حبان: حين بقيت طائفة من الخوارج من أهل النهروان قال فيهم علي قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾[2].

قال ابن حبان: بعد عبور الخوارج الجسر وقتلهم من أصحاب علي، قال علي: اطلبوا لي المخدع، فطلبوه فلم يجدوه ، فقال: اطلبوا المخدع، فوالله ما كذبت ولا كذبت، ثم دعا ببغلته البيضاء فركبها وجعل يقلب القتلى حتى أتى على فضاء من الأرض فقال قلبوا هؤلاء. وإذا هم برجل ليس له ساعد، بين جانبيه ثدي فيه شعرات إذا مدت امتدت، وإذا تركت قلصت، فقال علي: الله أكبر. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**يخرج قوم فيهم رجل مخدع اليد ولولا أن تتكلوا عن العمل لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم**)[3].

وعلى الرغم من معرفة علي رضي الله عنه لهم إلا أنه لم يكفرهم ، ولم يفسقهم ، ولما سئل عنهم أجاب بقوله: قوم عموا وصموا، فعن معمر عمن سمع من الحسن قال : لما قتل علي رضي الله عنه الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤنين. أكفار هم؟ فقال: من الكفر فروا. قيل فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا. قيل: فما هم؟ قال: (**قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا**)[4].

وكحوصلة لهذا العرض فإن ما نتج عن هذا الانقسام الذي حدث في زمن علي . رضي الله عنه . وبقيت مخلفاته إلى اليوم أنه قد جر معه موقفا بارزا من بعض الولاة و حتى الصحابة الذين ساهموا فيه ، بل

---

[1] المرجع نفسه ، ص263 .

[2] سورة الكهف ، الآية 103-104.

[3] ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص322.

[4] محمد علي الصلابي، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، ص120، أنظر عبد الرزاق ، مصنف عبد الرزاق،ج10 ، ص150.

ومهدوا لتحول الخلافة إلى ملك ووراثة ، وهو ما يتجلى بوضوح في موقف الحسن البصري الذي نقل عنه السيوطي قوله : أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت ، ونال من القراء فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة ، والمغيرة بن شعبة [1]، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولا ، فأبطأ عنه ،فلما ورد إليه قال : ما أبطأك ، قال أمر كنت أوطنه وأهيئه ، قال وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك .قال أوقد فعلت ؟ قال : نعم ، قال : ارجع إلى عملك ، فلما خرج قال له أصحابه : ما وراءك :قال : وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة ، قال الحسن : فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة [2].

المطلب السابع: استشهاده ـ رضي الله عنه ـ

سئم المسلمون الحال التي آلت إليها دولة الإسلام ، من تشتت وفرقة بعدما كان أهلها بدا واحدة على أعدائها ، واختلطت الأمور على أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ وأصبح من يتولاه بالأمس من أشد الأعداء له ، فقد اتفق ثلاثة نفر من الخوارج على وضع حد لهذه الأزمة التي وقع فيها المسلمون فاهتدوا إلى أن الحل يكمن في قتل رؤوس الخلاف في نظرهم . علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ، فانتدبوا إلى هذه المهمة نفر منهم وهم عبد الرحمان بن ملجم المرادي ، والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكير التميمي .

واجتمع الثلاثة في مكة ، وتعاقدوا، وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ، إلا أن من أوكل لهما قتل عمر ومعاوية لم يفلحا في مهمتهما ، واستطاع عبد الرحمان بن ملجم قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

يذكر السيوطي طريقة مقتله رضي الله عنه ويسند قوله إلى ابن سعد حيث يقول: قدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه فكاتمهما يرون ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، فاستيقظ علي سحرا ، فقال لابنه الحسن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ فقال لي : ادع الله عليهم، فقلت : اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم ، وأبدلهم بي شرا لهم مني ، ودخل ابن الذباح المؤذن على علي رضي الله عنه فقال : الصلاة ، فخرج علي من الباب ينادي :أيها

---

[1] هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي . أسلم عام الخندق ، كان موصوفا بالدهاء ولاه عمر البصرة ، وشهد عليه بالزنا فعزله ثم تولى البصرة حتى زمن عثمان ، هو أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من رشا في الإسلام ، وتوفي سنة 50 للهجرة.أنظر أسد الغابة ج4 ، ص471 ،وسيرة ابن هشام ج1 ،ص 313، وفي هذا الكلام نظر فلا يمكن أن يصدق هذا القول عنه ، فلو صحت هذه الأفعال المشينة عنه لما ولاه عثمان بن عفان البصرة بعد أن عزله عمر رضي الله عنها.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق، ص201.

الناس الصلاة الصلاة ، فاعترضه ابن ملجم ، فضربه بالسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه فشد عليه الناس من كل جانب ، فأمسك وأوثق، وأقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد ، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا ، ثم قطعت أطراف ابن ملجم، وجعل في قوصرة ، وأحرقوه بالنار[1] .

إلا أن ابن حبان ذكر لنا أن عبد الرحمان بن ملجم فتنته امرأة من الخوارج يقال لها قطام فولع بها فقالت:لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وقتل على بن أبي طالب. فقال لها: لك ذلك. فتزوجها وبنى بها فقالت: يا هذا قد عرفت الشرط، فحمل سيفا مسموما وأتى مسجد الكوفة، وخرج علي من داره وهو ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة. وكانت تلك الليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، فصادفه عبد الرحمان بن ملجم من خلفه فضربه ضربة بالسيف من قرنه إلى جبهته... فقال علي احبسوه وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو أو قصاص، وإن أمت، فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، فمات علي غداة يوم الجمعة[2].

ولأبي الأسود الدؤولي أبياتا يرثي فيها عليا رضي الله عنه منها :

ألا قل للخوارج حيث كانوا فلا قرت عيون الحاسدينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ؟ بخير الناس طرا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ، ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذها ومن قرأ المثاني والمبينا

وكل مناقي الخيرات فيه وحب رسول رب العالمينا

لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينا

[1] المرجع نفسه ، ص172 .

[2] ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 325 .

خلاصة :

من خلال ما سبق ، يمكن القول أن الخلافة في عصر الخلفاء الراشدين كانت منصبا حساسا ، إلا أن كل من تبوأ هذا المنصب قام بدوره في إرساء قواعد الإسلام واجتهد في خدمته ، كل حسب طاقته وفهمه ، وكل كانت له الظروف التي أحيطت به ، إلا أن قضية أول من يقود الأمة لم يختلف فيها من طرف الرعيل الأول من الصحابة الذين توفي رسول الله وهو عليهم راض، ولا حتى من الخلفاء أنفسهم، إلا بعد ظهور بوادر الخلاف ، وتوسع رقعة البلاد الإسلامية ، وكذا اندساس المنافقين وضعاف الإيمان في صفوف الإسلام ، وخروج الأمر أيدي أهل الحل والعقد، ولم يكن الخلاف عقائديا ، كما أن ترتيب الخلفاء وكيفيات تعيينهم لا يؤثر في هذه المسألة ، فلو أن عمر تولى الخلافة قبل أبي بكر أو علي قبلهما لما حدث خلاف ولما قال أبو بكر أنا أولى منكما، فكل من الخلفاء الأربع كان مخلصا للدين عاملا على قدر الطاقة على خدمته ، ولعل القول الفصل في مسألة الترتيب ما ذهب إليه الأشعري الذي حاول البرهنة على صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقال : إن الأمة قد انقسمت في الرأي بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثلاث فرق : فرقة ترى أن أبا بكر كان هو الأحق بالخلافة من غيره ، وفرقة ترى مثل ذلك للعباس ، وأخرى تقرر أن عليا هو أحق الجميع بها. على حين نرى عليا والعباس قد بايعا أبا بكر وانقادا لأمره وقالا له : "يا خليفة رسول الله " ومعنى ذاك أن الأمة كلها قد بايعته بالخلافة ولا يجوز أن تجمع الأمة على ضلالة[1] .كما يقول :إن الناس قد اختلفوا في تفسير قوله تعالى :﴿ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [2].

فقال بعضهم : هم فارس والروم ؛ وقال البعض الآخر هم أهل اليمامة ، فإن كانوا أهل اليمامة أو الروم فقد قاتلهم أبو بكر رضي الله عنهن فيكون هو الداعي الذي أمروا باتباعه و في ذلك دليل على صحة إمامته، وإن كانوا فارس فقد قوتلوا في عهده وضفر بهم عمر بعد وفاته ،فإن كان المقصود بالداعي من يبدؤ القتال معهم ، فقد صحت خلافة ابي بكر رضي الله عنه ، وغن كان المقصود بالداعي من يضفر بهم فقد صحت خلافة عمر رضي الله عنه ، وفي صحتها صحة لخلافة أبي بكر رضي الله عنه لأنه هو الذي عقدها له ، وليس من شك أن المقصودين في قوله تعالى : ﴿ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ بدليل قوله تعالى بعد ذلك :﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [3].

[1] حموده غرابة ، أبو الحسن الأشعري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، دط ، 1973، ص128.

[2] سورة الفتح ، الآية 16.

[3] سورة الفتح ، الآية 16.

وعليه فخلافة أبي بكر صحيحة بدلالة القرآن والاجماع ، فليس لمدع أن ينكر صحتها بعد ذلك ، كما أنه ليس لإنسان أن يقول : إن النبي قد نص على إمامة غيره ، لأنه لا يجوز إمامة من نص النبي على غيره ليكون خليفة بل من الواجب أيضا أن نعترف بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم ينص على أن يكون أبو بكر خليفة من بعده ،بدليل أنأبا بكر نفسه قال لعمر يوم السقيفة: "ابسط يدك أبايعك" ، وما كان له أن يقول هذا القول إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام قد نص على خلافته ، وإذا كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه صحيحة ، وقد أوصى لعمر رضي الله عنه بالخلافة ، فخلافة عمر لابد أن تكون صحيحة أيضا، لأنها عقدت له بواسطة خليفة شرعي[1]. والذي يستقر عليه الرأي في مسألة الخلافة وما جرى فيها من أحداث للخلفاء الأربع رضي الله عنهم هو ما قرره محمد الغزالي رحمه الله حيث قسم دولة الخلافة الراشدة إلى قسمان فقال: دولة الخلافة الراشدة لها قسمان: قسم معترف بأن لا نظير له دولة أبي بكر وعمر. وأنا أرى أن عثمان وعلي رضي الله عنهما، بالرغم مما حولهما من لغط كثير ، يمثلون فعلا الخلافة الراشدة [2]. أما القسم الثاني من الخلافة فهو ما اتفق عليه أنه خلافة غير راشدة ، فالخلافة التي جاءت من بعد الراشدين – حسب الغزالي – سواء كانت أموية أو عباسية ،كانت غير راشدة لأنها كانت بطريق،كسرى عن كسرى ، الخليفة مات الحكم وراثي؛ ويتحايلون عن ذلك بالمبايعة؛ ما قيمة المبايعة؟ مثلهم في ذلك مثل بني إسرائيل، عندما حظر عليهم الصيد يوم السبت، حجزوه يوم السبت، وأخذوه يوم الأحد[3].

وفيصل القول في خلافة الراشدين الأربعة أنهم لم يخرجوا عن قاعدة الشورى ، وأن مصدر الحكم هو نصوص القرآن الكريم التي بيتنت كيفية إدارة الحكم ، وأن منصب الخليفة ليس مطلبا شخصيا يسعى إليه أحد من الناس ، بل يكون بالاختيار والرضا ، وهذا ما قرره المودودي حيث ذكر أن التغيير بدأ بعدهم رضي الله عنهم فقال: إن أول ما وقع من تغيرات جوهرية كان في تلك المادة الدستورية التي كان يتم وفقها تعيين قائد الأمة وزعيمها ففي ظل الخلافة الراشدة كانت القاعدة الدستورية المتبعة في هذا الأمر ألا ينهض أحد من نفسه ليستولي على الخلافة أو يركب السلطة بسعيه وتدبيره، إنما كان الناس يضعون أعنة الحكم . بعد تشاورهم . في يد من يرونه أصلح لقيادة الأمة أو أكفأ لزعامتها فلم تكن البيعة حصاد السلطة بل

[1] حموده غرابة ، أبو الحسن الاشعري ، 129 – 130.

[2] محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي ، ط 2 ، 1999م ، ص190.

[3] محمد الغزالي، المرجع السابق ، ص191.

كانت البيعة مانحة السلطة وسببها، ولم يكن لجهود المرء أو محاولاته أو تآمره أي دخل في انعقاد البيعة له على الإطلاق... وكل خليفة من الخلفاء الراشدين وصل إلى الحكم وفق هذه القاعدة[1].

ولا بد للإشارة هنا أن عليا رضي الله عنه لم يخرج عن هذه القاعدة ، لأنه وإن كان يرى أنه الأحق بالخلافة إلا أنه لم يطلبها ، يقول المودودي : وأكثر ما يمكن لأحد أن يقوله في سيدنا علي أنه كان يرى نفسه أحق بالخلافة بيد أنه لم يثبت من أي رواية تاريخية ذات اعتبار أنه سعى لنيل الخلافة ، وبالتالي فمجرد رؤيته نفسه أحق بالخلافة لا يمكن اعتباره أمرا مخالفا لهذه القاعدة والحق أن الخلفاء الأربعة كانوا سواء في أن خلافتهم كانت خلافة معطاة لا مأخوذة[2].

الأمر بعد الخلفاء الأربعة لن يستقيم ولن يكون كما يحب المسلمون وإنما ستكون خلافة القوة والسيف والقهر ودليل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نختم به هذا الفصل، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرج البخاري عن قيس عن جرير قال: (كنت باليمن، فلقيت رجلين من أهل اليمن، ذا كلاع وذا عمرو، فجعلت أحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ذا عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك، لقد على أجله منذ ثلاث ، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم، فقالوا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر، والناس صالحون، فقالا: (أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله ، ورجعنا إلى اليمن ، فأخبرت أبا بكر بحديثهم ،قال: أفلا جئت بهم، فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جرير إن بك علي كرامة، وإني مخبرك خبرا: (**إنكم معشر العرب، لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا ، يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك**)[3].

وعليه فإن الأصول التي بنا عليها أصحاب الفرق آراءهم في مسألة الخلافة أو الإمامة وموقعها من أصول الدين ، هل هي أحدى هذه الأصول أم أنها من المسائل الفرعية المتعلقة بها إنما ترجع في معظمها إلى هذه المرحلة المتقدمة من الحكم الإسلامي.

[1] أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك ، ص99 ، ص100 .

[2] المرجع نفسه ، ص100.

[3] البخاري ، صحيح البخاري، باب ذهاب جرير إلى اليمن ، ح ر4359، ص1883.

الفصل الثاني:
تحول نظام الخلافة بعد مرحلة الراشدين والمواقف العقدية التي تبعته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعتبر مرحلة بني أمية منعرجا تاريخيا حاسما للأمة الإسلامية حيث تحول الحكم من نظام قائم على البيعة العامة إلى نظام التعيين داخل الأسرة الحاكمة والقائم على الاستخلاف والوصية. وبهذا صار لبني أمية منهجا معينا يسيرون عليه في تعيين ولاة الأمور.

كما عرف عهدهم ظهور الفرق ، وتبلور فكرة الخروج على الخليفة أو الحاكم مهما كان سواء كان جائرا أم عادلا ، هذه الفكرة التي أرخت بظلالها وسمومها على أهل الإسلام وعملت على نشر الفرقة بين أبناء الدين الواحد ؛ وما زاد في تأزم الوضع تعلق الحكام بمناصبهم والتقاتل عليها بين الابن وأبيه والأخ وأخيه ، سواء كان ذلك في عهد بني أمية أو في عهد خلفهم من بني العباس ، وهو الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تبلور آراء الفرق ونظرتهم إلى نظام الحكم ، وقد كان لكل فرقة من هذه الفرقة كلمتها وأسلوبها ومنهجها العقدي في مسألة ، وصار السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح : من يكون له الحق في قيادة المسلمين ؟ ومن الأولى بالخلافة ؟

اختلفت مواقف معاوية بن أبي سفيان[1] – أول ملوك بني أمية – عن مواقف الخلفاء الراشدين ، كما كانت فروق شاسعة بين تفكير أفراد الأسرة الأموية الحاكمة أنفسهم ، إذ أن فيهم من أراد الحفاظ على ملك الأسرة ، ومنهم من أراد أن يحلل نفسه من الحمل الثقيل ، ويعيد الحق إلى أصحابه مثلما فعل معاوية بن يزيد الذي لم تطل أيامه ، و عمر بن عبد العزيز[2] الذي كان تميز أيامه بارزا عن أيام سابقيه ولاحقيه ، وعده الكثير من المفكرين والباحثين خامس الخلفاء الراشدين[3].

كما نشير كذلك في مقدمة هذا الفصل إلى أنه لا يسعنا الحديث عن جميع ملوك بني أمية ، لذلك سنكتفي ببعض النماذج فقط ، لأن ما يهمنا في فترة حكمهم إنما هو ظهور الفرق وتبلور آرائها ومواقفها في مسألة الخلافة.

أما عهد الأسرة العباسية التي قامت على أنقاذ الأسرة الأموية ، والتي لم تنل قيادة الأمة ولم يستتب لها الأمر إلا بالسيف ، فهي كذلك لم تخرج عن القاعدة التي سنها الأمويون ، واستمر في أيامهم ظهور

---

[1] سيتم الحديث عنه في مبحث قادم ، وسنبين كذلك أن فترة حكمه تميزت بمرحلتين مرحلة معاوية الخليفة ، ومرحلة معاوية الملك.

[2] رغم الجهود التي قام بها عمر بن عبد العزيز حين تولى الخلافة ، وما ذكره المؤرخون والباحثون حول هذه الشخصية البارزة في تاريخ الخلافة إلا أنه لم يستطع أن يعيد مسألة اختيار الخليفة إلى مبدأ الشورى ، والتزم بتطبيق الوصية داخل البيت الأموي ، ولعل ظروف حكمه ومحيط أسرته ، وقصر مدة حكمه كانت من بين الأسباب التي حالت دون ذلك والله أعلم.

[3] ترك معاوية بن يزيد الأمر للناس ولم يعين وليا لعهده كما فعل غيره ، ولما احتضر قيل له ألا تستخلف ؟ قال : ما أصبت من حلاوتها فلماذا أتحمل مرارتها ، أنظر السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص 206 .

الفرق التي أثرت سلبا أو إيجابا في نظام الحكم ، ولعل أهم فرقة ظهرت وكانت لها اليد الطولى في الحكم هي فرقة المعتزلة التي سيكون الحديث عنها في الفصل الموالي ، كما أن المتتبع للمسار التاريخي لدولتهم يجد أن ملوكهم لم يستطيعوا إخضاع جميع البلاد الإسلامية إلى سلطانهم فخلافتهم ناقصة ، وهو الشيء الجديد الذي ظهر على الساحة الإسلامية في أيامهم . وبما أننا سنتكلم عن عصر الخلافة بعد الراشدين، في هذا الفصل فسنخصص مبحثين لكل عصر، وعليه سنقسم العمل على أربعة مباحث حيث سنتناول في المبحث الأول دولة بني أمية ، ليكون المبحث الثاني مخصصا للدولة الأموية بعد خلافة ابن الزبير ، أما المبحث الثالث فنتناول فيه أهم الآراء العقدية التي ظهرت في صدر الخلافة العباسية ، ليكون المبحث الرابع حول حركات الخروج والدول التي انفصلت عن دولة الخلافة ومذاهبها العقدية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الدولة الإسلامية في عصر بني أمية

ترجع جذور الأسرة الأموية في الأصل إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، حيث تلتقي مع بني هاشم نسب رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ، وهم ينتسبون إلى جد معاوية بن أبي سفيان ـ أمية ـ الذي كان له ستة من الذكور منهم – حرب – والد – صخر– الذي لقب بأبي سفيان[1].

هذه العائلة الكبيرة كانت لها يد عظيمة في الحكم والسياسة ، منذ زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم فمن أبناء أمية من سبق في الدخول إلى الإسلام ومنهم من دخل زمن الحديبية ومنهم من دخل يوم الفتح ، ولعل نظرة عن بعض أفراد العائلة الكبيرة تزيل الغبار عن الباقين ؛ فعثمان بن عفان هو صهر رسول الله وثالث الخلفاء ، من أوائل من آمن وهو صاحب الهجرتين ، وقد ذكرنا بعض مزاياه في فصل سابق، ومروان بن الحكم كان كاتب له أيام خلافته ، وهو صاحب خاتمه، أسلم أبوه الحكم يوم الفتح وسماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله ، أما سعيد بن العاص فقد أسلم قديما وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة وابنه أبان هو الذي أجار عثمان ـ رضي الله عنه ـ عام الحديبية وحمله على فرسه، وقد تولى الإمارة في زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث ولاه البحرين ولم يزل قائما عليها إلى أن توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2].

وأخوه عمر حضر الفتح ، وخيبر ، وحنين ، والطائف ، وغزا في مؤتة ، وقد استعمله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تبوك وخيبر وفدك إلى أن تولى الخلافة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فعاد إلى صفوف جيش الفتوح ، واستشهد في يوم اليرموك ، أما عتاب بن أسيد بن أبي العاص الذي أسلم يوم الفتح كذلك فقد استخلفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مكة حين خرج في غزوة حنين فقيل لرسول الله: استخلفت هذا الأعرابي؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (**إني رأيته في المنام أخذ حلقة باب الجنة ففتح له فدخل**)[3].

نحاول في هذا المبحث أن نقف على كيفية وصول الأسرة الأموية إلى الحكم ، وما هو الشيء الجديد الذي أضافوه إلى نظام الحكم الإسلامي الذي سار عليه الصحابة من بعده ، الأمر الذي ترتبت عنه مواقف ومواقف مضادة على المستوى السياسي والعقدي .

---

[1] البلاذري ، أنساب الاشراف ، مرجع سابق ، ج4 ، ص127.

[2] محمد علي الصلابي ، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج، دار البيارق، الأردن ، ط1 ، 1998، ص7.

[3] المرجع نفسه ، ص8.

المطلب الأول : معاوية بن أبي سفيان إسلامه ومهامه قبل توليه الحكم.

1 مولده ونسبه

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الأموي[1] ، فهو بهذا النسب ابن أحد سادات قريش حين بدء الدعوة ، وسيدها بعد غزوة بدر التي قتل فيها سادات قريش ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وقفت مع زوجها في وجه الإسلام حتى جاء يوم الفتح الأعظم . ذلك أن أبوها وعمها . شيبة . و أخوها . والوليد . و ابنها . حنظلة . قتلوا في يوم بدر فانتقمت لهم بقتل حمزة سيد الشهداء في " أحد " و مثّلت به فبقرت بطنه وأخذت كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها[2] .

تزوج معاوية خمسة من النساء ولم تلد له إلا اثنتين وهن : ميسون بنت بحدل الكلبية التي أنجبت له . يزيدا . وكتوة بنت قرظة ، وأختها فاختة ، ونائلة بنت عمارة الكلبية، قريبة بنت أمية المخزومية ، ولم ينجب له بعد الأربعين بعد أن ضربه **البرك بن عبد الله الخارجي** في إليته ضربة مسمومة كادت تقضي عليه لولا الطبيب **السّاعدي** الذي خيره بين الكي وقطع النسل فاختار الثاني فبرئ ولم يولد بعدها[3].

2 إسلامه

كثير من الروايات التي تتحدث عن إسلام معاوية تذكر أنه أسلم عام الحديبية وكتم إسلامه عن أبيه ، ولم يظهر ذلك حتى عام الفتح ، غير أن ابن الأثير ذهب إلى أنه أسلم عام الفتح في عمرة القضاء[4].

كما ذكر رواية أخرى تشير إلى أن إسلامه كان قبل ذلك بثلاث سنوات فهو يروي عن معاوية نفسه أنه قال : **أسلمت يوم القضية . أي في عمرة القضاء سنة سبعة للهجرة ، و لكن كتمت إسلامي من أبي،** ثم علم بذلك فقال لي : **هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه** ، فقلت له: **(لم آل على نفسي جهد ، ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء ، وإني لمصدق به ، ثم كان عام الفتح أظهرت إسلامي ، فجئته فرحب بي ، وكتبت بين يديه)**[5].

---

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ،مرجع سابق ، ص191.

[2] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ، ج4 ، ص 60.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج5 ، ص490.

[4] ابن الأثير، أسد الغابة ، مرجع سابق ، ج4 ، ص432.

[5] ابن الأثير ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص433 ، أسد الغابة ،ج2 ، ص392.

أما الرواية التي نرجحها في إسلامه فهي رواية السيوطي، الذي ذكر أنه أسلم يوم الفتح ، هو وأبوه وكان من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه فكان أحد الكتبة الذين كتبوا القرآن عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة وثلاثة وستين حديثا[1].

3 مهامه في الحكم

و تذكر المصادر التاريخية أن معاوية تولى منصب الولاية على رأس ولاية الشام مدة عشرين سنة وتولى أمر الفتوح في هذه المنطقة[2] ، وهو ما جعل أهل الشام يفتتنون به كشخص وينسون انتماءهم للإسلام كدين وينساقون وراء شخصية معاوية حتى ولو كان ذلك على حساب تعاليم الإسلام .

وقد كان معاوية تحت لواء أخيه يزيد في فتوح الشام ، ولما توفي يزيد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولى أخاه خلفا له فيما كان واليا عليه في ولاية الشام[3].

المطلب الثاني : موقفه من بيعة علي وطلبه الخلافة

1 موقفه من بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كان موقف معاوية بن أبي سفيان صريحا تجاه خلافة علي رضي الله عنه ، فمنذ الوهلة الأولى بدا أنه يرفض أن تؤول الخلافة إليه ، وإن كان هذا الرأي مخالفا لكثير من آراء الباحثين ، حيث نظروا إلى مسألة الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من زاوية كون معاوية هو صاحب دم عثمان رضي الله عنه ، وأن له الحق في أخذ الثأر له ، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك ، فقد اهتم معاوية بقتال علي بعد توليه الخلافة، وأرصد له جيش الشام بأكمله ، وتقاتل المسلمون في معركة الرابح فيها خاسر. نذكر هذا مع تحفظنا من الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما مستندين في ذلك إلى ما ذهب إليه ابن خلدون – وإن كانت نظرته مستندة إلى فكرة العصبية – حيث يقول : **لما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي، أو لإيثار باطل على حق ، أو لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم**[4] ، وقد ذكرنا بعض هذه التفاصيل عند حديثنا عن موقف علي من قتلة عثمان رضي الله عنه ورفض معاوية البيعة

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص191.

[2] المرجع نفسه ، ص192.

[3] محمد علي الصلابي ، عصر الدولتين الأموية والعباسية ، مرجع سابق ، ص14.

[4] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص257.

لعلي حتى يتم الثأر من قتلة عثمان، فلو أن معاوية كان فعلا يريد الثأر لعثمان ولا يريد الخلافة لسار بجيشه لقتال من قتل عثمان ، ثم بايع عليا على الخلافة ، ولكن الأمصار التي جاء منها قتلة عثمان ، هي التي وقفت إلى جانبه ضد الخليفة الشرعي للمسلمين وقد ذكرنا رواية صاحب نهج البلاغة و الرسالة التي بعث بها معاوية إلى علي رضي الله عنهم يطلب فيها جباية مصر والشام[1].

2 طلبه الخلافة

رأى معاوية السياج الأمني الذي يحيط به وعرف موقعه في قلوب أهل الشام ، فطلب الخلافة ، وسخر لذلك القوة العسكرية ، والحنكة الفكرية ، حيث شق عصا الطاعة على علي بن أبي طالب ولم يبايعه ، واهتدى مستشاره عمرو بن العاص إلى فكرة التحكيم التي وصل بها معاوية إلى الحكم ، حيث يقول ابن قتيبة عن الحكمين: اتفقا على خلع علي ومعاوية وانتخاب رجل محايد من قريش هو عبد الله بن عمر ؛ إلا أن أبا موسى خلع عليا ، ونكث عمرو بن العاص بوعده فأقرّ معاوية بن أبي سفيان[2].

وقد يطرح الباحث على نفسه سؤالا: إذا لم يطلب معاوية الخلافة فلم وافق على نتيجة التحكيم التي خلعت عليا ونصبته مكانه ؟ وإذا كانت نيته الثأر لقتلة عثمان وفقط ، فلماذا لم يصرح بعد نهاية التحكيم بغايته بعد توليه أمر المسلمين ؟ هذا من جهة. ومن جهة أخرى نحن نعلم أنه بعد مقتل علي رضي الله عنه بقي من الصحابة من هو أولى من معاوية بالخلافة ، فلماذا لم يعد معاوية الأمر إلى الشورى بعد تحقيق أهدافه ؟ رغم صعوبة هذه الأسئلة وخطورتها إلا الإجابة عنها ترفع كثيرا من الغموض والإبهام حول مسألة تولي معاوية رضي الله عنه لأعلى منصب ديني ودنيوي في الإسلام بعد الخلفاء الأربعة.

أجابنا السيوطي عن بعض هذه الإشكالات بنص الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني عن عبد الملك بن عمير أن معاوية قال: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يا معاوية إذا ملكت فأحسن**)[3].

[1] أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، ص 45.

[2] ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص119.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص192.

المطلب الثالث: خلافة معاوية وتملكه

تميزت فترة حكم معاوية بمرحلتين: الأولى تبدأ بانقلابه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أما الثانية فهي تبدأ بترشيح ابنه لكي يتولى الأمر من بعده.

1 معاوية الخليفة

بعد أن تمت مسألة التحكيم ، وعين عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان خليفة على المسلمين، لكن أهل العراق بايعوا الحسن بن علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين ، حيث بويع في الكوفة بعد وفاة أبيه بيومين[1] ، فكان من أول واجباته أن يواصل حربه مع معاوية لكن ذلك لم يحدث حيث سعى الحسن رضي الله عنه إلى الصلح ، لم يكن هذا الأخير ليترك أحوال الأمة كما كانت عليه أيام القتال بين أبيه ومعاوية رضي الله عنهم، وبعد مفاوضات تنازل عن الخلافة لمعاوية وخطب في أهل الكوفة قائلا: يا أهل الكوفة ، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت : مقتلكم لأبي ، وسلبكم ثقلي ، وطعنكم في بطني ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا[2]. وبذلك تمت البيعة لمعاوية وصار خليفة شرعيا وصدقت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ولده الحسن ، وهو الأمر الذي سرّ به معاوية وكبّر لأجله حين أتاه البشير بصلح الحسن وانقياده ، فذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم :(**إن ابني هذا سيد أهل الجنة ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين)** ، وقال: الحمد لله الذي جعل فئتي إحدى الفئتين[3] ، ومن خلال كلام معاوية رضي الله عنه يتبين لنا أنه كان في هم وغم بعد ما حدث بينه وبين علي رضي الله عنه من قتال وفتن.

فهو الخبير بتسيير الولاية ، والمتمرس بكيفية ترويض الرعية مدة عشرين عاما في الشام ، لذلك عمل على تحقيق الأمن في الجبهة الداخلية بواسطة مجموعة من الإجراءات من أهمها إعادة تعيين الولاة وتصنيف الرعية.

كما اختار نخبة من الولاة الأشداء لتسيير الولايات المشتعلة ، خاصة المدينة و الكوفة والبصرة ومصر فعين بالكوفة المغيرة بن شعبة ودام على رأسها مدة ثمان سنين ، ولعلها أطول مدة يقضيها وال في هذه

---

[1] المسعودي ، ابي الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 1425هـ – 2005 م ، ج3 ، ص5.

[2] المرجع نفسه ، ص9.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الولاية في حكمه ، ثم خلفه بعد ذلك زياد بن أبيه الذي كان واليا على البصرة، ثم خلفه عبد الله بن خالد بن أسيد[1].

أما البصرة فقد تولاها حمران بن أبان، ثم عين بعده يسر بن أرطاة ، ولم يمض عام حتى استخلفه بعبد الله بن عامر، وبعد أن استقر الأمر فيها بعض الشيء عين على رأسها زياد بن أبيه الذي بقي واليا عليها منذ 44 للهجرة حتى سنة 52 للهجرة[2].

أما المدينة التي اجتمع فيها الصحابة وبعض من بقي ممن اعتزل الفتنة فقد عين معاوية على رأسها سهل بن حنيف، ثم عزله وعين مكانه مروان بن الحكم الذي بقي على رأسها حتى سنه 49 للهجرة ، ثم استبدله بسعيد بن العاص إلى سنة 54 للهجرة ، ثم أعاد إليها مروان بن الحكم من جديد، وبعد ثلاث سنوات استخلفه بالوليد بن عتبه بن أبي سفيان الذي بقي واليا عليها إلى وفاة معاوية[3].

أما مصر فقد أعاد إليها عمرو بن العاص ، ثم خلفه عقبة بن عامر وبعده معاوية بن خديج، ثم مسلمه ين مخلد الذي بقي واليا عليها عشر سنين إلى أن توفي معاوية وهو على رأسها، مع الإشارة إلى تولي عقبة بن نافع الفهري لشؤون إفريقية ، وبعد استشهاده تولى قيادة الفتح والولاية أبو المهاجر الدينار الذي واصل الفتح حتى وفاة معاوية[4].

[1] عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ،دار العلم للملايين بيروت ،د ط ،1970 م ، ص127.

[2] زياد بن أبيه تولى البصرة والكوفة معا في نفس الفترة من سنه 50 إلى 52 للهجرة ، وعند عمر فروخ بقي واليا عليها حتى توفي سنة 53 للهجرة ، أنظر المرجع السابق ، ص129.

[3] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ، ج4 ، ص71.

[4] المرجع نفسه ، ص72.

رغم ما قام به معاوية بن أبي سفيان في لم شمل الأمة والقضاء على الفتنة ، إلا أنه يعاب عليه أن كان سببا في المفاضلة بين الصحابة، الأمر الذي مهد لاستفحال فكر الخروج على الحكام ، والطعن في أعراض الصحابة ، بل وتكفير حتى من بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة[1].

2 معاوية الملك

بناء على تقسيمنا لفترة حكم معاوية إلى مرحلتين ، فإنه في نظرنا قد تحول النظام إلى ملك مباشرة بعد أن أعلن صراحة نيته في تعيين ابنه يزيد ليقوم مقامه في الحكم بعد وفاته ، ونستند في ذلك إلى تقسيم ابن الأزرق الخلافة والملك إلى مقامات وبين طبيعتها فالمقام الأول وجود خلافة بلا ملك وهو الذي ينطبق على الخلفاء الأربعة ، والمقام الثاني اختلاطهما وامتزاج الدولة بهما وهو الذي أسقطناه على الفترة الأولى من حكم معاوية، أما المقام الثالث الذي أسقطناه على الفترة الثانية من حكمه فهو الانقلاب الكلي إلى الملك البحت [2]، وهو ما حدث لمعاوية بعد أن رشح ابنه لخلافته ، وبهذا تخضرم معاوية بين المرحلتين الثانية والثالثة.

و لم يشهد المجتمع الإسلامي هذا النوع من الحكم إلا في ولاية معاوية الذي سعى إلى إقناع الحجازيين بفكرته وخاصة أبناء الصحابة الذين أنكروا هذا الأمر، حيث رأى عبد الرحمان بن أبي بكر أن معاوية قد خرج عن سياسة أسلافه، وجعل الخلافة وراثية معتبرا أن معاوية لا يسعى لخير المسلمين، وإنما يريد أن يجعلها هرقلية[3].لكن هناك ملاحظة لا بد من ذكرها حتى نكون منصفين ، وهي أن بوادر تحول نظام الخلافة إلى ملك – وراثي – قد أثاره الكوفيون قبل معاوية رضي الله عنه ، فحينما نعود إلى أحداث الفتنة التي قتل فيها علي رضي الله عنه نجد أنّ بعض الكوفيين استشاروا عليا في البيعة لابنه الحسن رضي الله عنهما ، غير أنه لم يشر عليهم بشيء ، وقد أدخلت البيعة للحسن فكرة الوراثة في الحكم عند المسلمين ؛ إلاّ أنها حصلت دون اتفاق مسبق بين الأطراف العراقية ، ومن دون اختيار

[1] سيأتي تكفير الخوارج والرافضة لعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهما من العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة.

[2] أبو عبد الله بن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح علي سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، دت ، ج1 ، ص92.

[3] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج5 ، ص506.

علي، بل استوجبها الشغور المفاجئ الحاصل على رأس السلطة[1]، ولعل الفارق بين هذه الحادثة وما كان من معاوية رضي الله عنه هو كون هذا الأخير قد خطّط لذلك وهو صاحب الفكرة والعامل على ترسيخها في الواقع ، على عكس ما حدث في استخلاف الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وعليه فيمكن اعتبار نقطة التحول هذه سببا في إثارة حفيظة عبد الله بن الزبير ورد فعله تجاه معاوية حيث خاطبه بقوله: "إذا كنت مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك نبايعه ، أرأيت إن بايعنا ابنك لأيكما نسمع؟ ولأيكما نطيع ؟ لا نجمع لكما البيعة أبدا"[2].

وبيّن السيوطي أن معاوية طلب البيعة لابنه سنة واحد وخمسين للهجرة حيث حج ، طلب له البيعة من ابن عمر، وابن أبي بكر، وابن الزبير [3].

يقول السيوطي : وحج معاوية في هذا العام وطلب البيعة لابنه . فبعث إلى – ابن عمر– فتشهد وقال: أما بعد: يا ابن عمر إنك كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير، ولأني أحذرك أن تشق عصى المسلمين أو تسعى إلى فساد ذات بينهم ، فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد: فإنه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك يخبر من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك[4].

وهذا الكلام الصريح من ابن عمر رضي الله عنهما فيه بيان لفضل عمر وعلي رضي الله عنهما على معاوية، كما فيه بيان لأفضليته هو على يزيد ، والحق أن معاوية ذاته لو عرض أمر الخلافة على ابن عمر لرفضها لأن والده أخرجه منها حين انتخب الستة من أهل الشورى ولم يضم ابنه إليهم ، ومن خلال هذا كله يتضح لنا أن معاوية عرف مكانة عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – بين الناس فخاف أن لا يبايع لابنه فيتبعه في ذلك الناس.

أما الشخصية الثانية التي طلب معاوية منها البيعة ليزيد فهو عبد الرحمان بن أبي بكر، حيث أرسل إليه فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه ، وقال : **إنك لوددت أن وكلناك في أمر ابنك إلى**

[1] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها حتى نهاية العهد الأموي ، مرجع سابق ، ص 54.

[2] خليفة ، تاريخ خليفة ، مرجع سابق ، ص214.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص192.

[4] المرجع نفسه، ص192.

الله وإنا والله لا نفعل ، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لنعيدنها عليك جدعة ، ثم وثب ومضى[1].

وهنا نشير إلى ما توصل إليه محمود شاكر الذي يرى بأن ما تشير إليه كتب التاريخ يحمل في طياته كثيرا من الاختلال في هذا الباب ، فمثلا نجده ينفي التهمة عن المغيرة بن شعبة ، كما يرى بأن معاوية طلب الخلافة لابنه بنفسه ، حيث يقول : هذا ما تشير إليه كتب التاريخ من تزين المغيرة بن شعبة له بذلك . أي بتولية ابنه يزيد . على حين توفي المغيرة بن شعبة سنة تسع وأربعين ، كما يذكر أن معاوية اعتمر سنة ست وخمسين للهجرة لأخذ البيعة من أهل الحجاز فاستساغ الناس هذا الأمر ، غير خمسة نفر هم: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، فكلمهم معاوية جميعا فكل يقول له: **إن اجتمعت الأمة على أحد بعدك بايعت إن لم يبقى غيري**[2].

ولا يهمنا نحن إن توفي المغيرة قبل سنة واحد وخمسين أو بعدها ، المهم أنه هو صاحب فكرة توريث معاوية لابنه الحكم من جهة ،كما نستبعد فكرة مزاحمة عبد الله بن عمر للبقية في طلب الخلافة كما ذكرنا سابقا ، وما يمكن التوصل إليه هو أن معاوية رضي الله عنه قد رأى بأن ابنه أولى بالخلافة من غيره رغم أنهم أفضل منه وأصلح للخلافة.

وبالإضافة إلى ربطنا لهذه المرحلة بأسبابها فإننا نرى بأن التأريخ الحقيقي لها يبدأ في نظرنا من سنة وفاة الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وهو ما ذهب إليه اليعقوبي الذي ذكر أن معاوية بدأ مباشرة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذه الفكرة – فكرة التوريث – بعد وفاة الحسن رضي الله عنه سنة 49 للهجرة[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 194.

[2] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ج4، ص107.

[3] أحمد بن جعفر بن وهب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1960م ،ج2 ، ص133.

وهو ما ذهب إليه السيوطي فقد ذكر في أحداث سنة واحد وخمسين أن معاوية حج في هذا العام ، وأخذ البيعة لابنه ، وفي السنة التي قبلها دعا أهل الشام إلى بيعة ابنه فبايعوه ، هو أول من عهد بالخلافة لابنه وأول من عهد بها في صحته[1].

كما رأى بأن امتداد الحكم في يد الأمويين لن يكون إلا بهذه الطريقة لأنه طلب الحكم ، ولم يختر عن قناعة من طرف الجميع ، فالحقيقة واضحة، إذ لو أن الأمر ترك إلى أهل الحل والعقد في زمن الفتنة بينه وبين علي، واختير بينه وبين علي لكانت الخلافة لعلي رضي الله عنه ، ولو ترك معاوية الأمر شورى لعاد الناس إلى القتال من جديد ، لكن ما يعاتب عليه معاوية رضي الله عنه هو اختياره لابنه رغم وجود من هو أولى منه لقيادة الأمة .

المطلب الرابع : ولاية يزيد مبرراتها وموقف كبار الصحابة منها

1 ولاية يزيد

تعد تولية معاوية لابنه يزيد المنعرج الحاسم في التاريخ الإسلامي وهي النقطة الأساسية في التحول من نظام الخلافة إلى نظام الملك ، وهذا ما جعلنا نحكم على معاوية حكما مزدوجا حيث اعتبرناه خليفة قبل طلبه البيعة لابنه يزيد ، وملكا بعد أن صيّر الرقاب وأذعنها لأمره.

كما نظروا إلى تولية ابنه يزيد بأنه خطأ يضاف إلى الأخطاء الجسام التي وقع فيها معاوية ، إلا أن الحق والموضوعية تدعونا إلى الوقوف على أهم الأسباب التي دعت معاوية إلي توريث الحكم لابنه ولعل منها ما ذكره ابن الأثير الذي التمس العذر لمعاوية بسببين أحدهما : الخوف من الفتن وعودة الخلاف بين المسلمين ، أما السبب الثاني فهو وفاة من يراه معاوية أهلا للخلافة وهو الحسن بن علي رضي الله عنه[2].

أما السيوطي فإنه يذكر روايتان عن تولية معاوية لابنه يزيد الأولى عن ابن سيرين قال : وفد عمرو بن حزم على معاوية فقال له: أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها ، فقال : نصحت وقلت برأيك وإن لم يبقى إلا ابني وأبناءهم، وابني أحق. أما الرواية الثانية فهي عن عطية بن قيس قال :خطب معاوية فقال : اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص193.

[2] ابن الأثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ،ج8 ، ص227.

وأعنه ، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده ، وانه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك[1].

2 مبررات تولية يزيد

لخّص السيوطي مبررات تولية يزيد في أمرين: أحدهما تمرس يزيد بالسلطة وخبرة أساليبها ، وممارسة جوانب من مسؤولياتها وقيادته للجيوش في أيام أبيه ، أما الأمر الثاني فهو خوفه على الرعية من بعده وقد استدل على ذلك بقول معاوية لابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع[2].

وقد توصل محمود شاكر في تحليل بليغ حول هذه المسألة خاصة إلى بيان موقف أهل الحجاز من البيعة ليزيد حيث قال: كان أهل المدينة غير راضين على بني أمية عامة وعلى بيعة يزيد خاصة ، وما أعطوها إلا كرها وتجنبا للفتن ، وكان أهل مكة مثل أهل المدينة لا يرغبون في يزيد وينظرون إلى أحد أبناء الصحابة ليكون على أمر المسلمين ، وخاصة الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، ولكنهم قد سكتوا بعد بيعة عبد الله بن عمر[3]، وبالتالي فتجنب الفتنة وعودة القتال كان مبررا آخر لولاية يزيد.

كما أن محمد علي الصلابي وبعد استقرائه للحوادث التاريخية ، خلص إلى موقف مشابه لموقف شاكر حيث يقول: أن البداية الفعلية لبيعة يزيد كانت بعد وفاة المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ، فقد عزم معاوية في سنة ست وخمسين للهجرة على ذلك وأرسل إلى عبيد الله بن زياد بأخذ البيعة لابنه من أهل العراق وكان واليا عليها، ثم أرسل إلى باقي الأمصار بذلك فجاءته بيعتهم إلا أهل المدينة ومكة مما دفعه إلى الشخوص إليهم بنفسه لأخذ البيعة[4].

وقد تعذر لمعاوية بأمرين: أحدهما تمرس يزيد بالسلطة وخبرة أساليبها ، وممارسة جوانب من مسؤولياتها وقيادته للجيوش في أيام أبيه؛ أما الأمر الثاني فهو: خوفه على الرعية من بعده .وقد استدل

[1] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص 201.

[2] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص9.

[3] محمود شاكر، المرجع نفسه، ج4، ص118.

[4] محمد علي الصلابي، عصر الدولتين ، مرجع سابق ، ص18.

على ذلك بقول معاوية لابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع[1].

ونحن لا نرى عذرا لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في تولية ابنه ونستند في ذلك إلى ما نقله الذهبي عن الإمام أحمد قوله: أعظم الخطب أنه ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبع وأربعين سنة والعهد قريب من ، والصحابة موجودون كابن عمر الذي كان أولى بالأمر من منه ومن أبيه وجده[2]. كما لا نوافق الصلابي في ما ذهب إليه ، بل نرى بأن طلب الخلافة الفعلية ليزيد كان مباشرة بعد تصفية الحسن بن علي رضي الله عنه سنة تسع وأربعين أو واحد وخمسين للهجرة.

3 موقف كبار الصحابة من ولاية يزيد

ما يميز مواقف جل كبار الصحابة رضي الله عنهم من بيعة يزيد بن معاوية هو معارضة بيعة يزيد جملة وتفصيلا ، وهو الأمر الذي نبهه إليه والده من قبل ، وما إن توفي معاوية حتى كتب يزيد إلى عامل أبيه في المدينة يطلب منه أخذ البيعة من كبار الصحابة ولو بالقوة ، ويدل على ذلك قوله : وليكن أول من يبايعك الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة ، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها ، وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم على الثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم[3] ؛ إلا أن ذلك لم يجدي نفعا ، وهذه مواقف كل من كل من الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

3 – 1 موقف الحسين بن علي رضي الله عنه

بعد وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه كانت آمال المجتمع الإسلامي وخاصة أهل الحجاز العراق منعقدة على تعيين أخيه الحسين خليفة بعد معاوية ، إلا أن القرار الذي اتخذه معاوية قلب كل الموازين فأعرض الحسين رضي الله عنه عن بيعة يزيد ، وبعد وفاة معاوية مباشرة أعلن الحسين رضي الله عنه عن نيته في تولي شؤون المسلمين ، فرفض البيعة ليزيد ولجأ إلى مكة ثم خرج إلى العراق بعد أن كتب إليه

[1] المرجع نفسه ، ص9.

[2] شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج4 ، ص35.

[3] ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص175.

يحثونه على القدوم [1]، إلا أن جيش يزيد قتله في كربلاء مع أهل بيته في العاشر من محرم سنة 61 للهجرة[2] ، وعلى كل فقد فصل الباحث محمد بن رزان كل ما جرى حول هذه المعارضة من أحداث ، فبين مواقف الحسين رضي الله عنه من خلافة يزيد ، وعدّها أول معارضة تخرج بشكل عملي على خلافة يزيد بن معاوية [3]، وإن كنا لا نتفق معه في بعض ما قاله عنها، خاصة في قوله أن هذه الحادثة أخذت أكثر من واقعها ، وأن هذا الأمر يقصد من ورائه اتهام الخلافة الأموية – التي أصبحت في نظر الكثيرين لا تعترف إلا بمنطق العنف مع أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم [4].

والواقع بين حقيقة هذا العنف ، وما زاد في وضوحه هو الموقف السلبي الذي اتخذه الخليفة من واليه الذي قتل الحسين رضي الله عنه مع جماعة ليست بالقليلة من أهل بيته خاصة وأنه تتبع الرواة الذين نقلوا حادثة مقتل الحسين رضي الله عنه ، والإخباريين الذين ألفوا عنها من أمثال البلاذري ، والواقدي ، وابن سعد وغيرهم[5] والذين تحرجوا من ذكر بعض الرواة خاصة أبو مخنث. وقد عاد وأقر أن أهل الحجاز وأبناء الصحابة قد اتخذوا موقفا من يزيد بعد مقتل الحسين رضي الله عنه فقال: عندما قتل الحسين رضي الله عنه بتلك الصورة الشنيعة ومعه إخوته وأبناء عمه ، على يد عبيد الله بن زياد – وهو ابن عم يزيد بن معاوية – أحس الكثير من أبناء الصحابة بحجم الاستبداد والتسلط الذي بدأت تمارسه الدولة ، الأمر الذي جعل أهل الحجاز يتعاطفون مع ابن الزبير[6]. وقد تبين لنا بعد قراءتنا للأحداث التاريخية لتلك الفترة أن موقف الحسين رضي الله عنه من البيعة ليزيد كان عقديا بالدرجة الأولى إذ أنه يعرف تمام المعرفة سيرة الأسرة الحاكمة كما أنه كذلك محيط بسيرة الخلفاء الأربعة ، لذلك خشي على ضياع الدين بأيدي السلطة الأموية الحاكمة وعودة الناس إلى الجاهلية ، وتقديم الدنيا على الدين.

---

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، م3 ، ص365.

[2] ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص04.

[3] محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني ، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (60-64 هـ) ، رسالة ماجستير مطبوعة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط2 ، 1430هـ – 2009 م ، ص191.

[4] المرجع نفسه ، ص192.

[5] أنظر مواقف المعارضة في عهد بني أمية ، ص 194 وما بعدها.

[6] المرجع نفسه ، ص 456.

3 – 2 موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه

تميز موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن مواقف غيره من كبار الصحابة من توريث معاوية بن أبي سفيان للحكم ، فقد استفاد من دروسا من الأحداث والفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فرأى أن اعتزال الأمر وتركه للمؤمنين خير له من اتخاذ موقف قد تكون له عواقب وخيمة بعد ذلك، فكان جوابه لمعاوية أن بايع مكرها خوفا من العودة إلى الفرقة والقتال بين المسلمين من جديد ، وقد حمله معاوية على البيعة بالقوة ، وإلا فإن موقفه في بادئ كان شبيها بمواقف ابن الزبير وعبد الرحمان بن أبي بكر والحسين بن علي رضي الله عنهم حيث قال لمعاوية: : أما بعد: فإنه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك يخبر من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك[1] ، وذهب ابن خلدون إلى أنه لم يبايع[2]. وعلى الرغم من أن قرار ابن عمر كان فرديا إلّا وزنه كان ثقيلا حيث بايع أهل المدينة وسكتوا بعد بيعته كما ذكرنا سابقا ، إلا أنه اعتزل نهائيا الأمر والمشورة بعد وفاة معاوية وإعلان عبد الله بن الزبير خلافته ، وسنذكر أنه حج بالناس في حصار الحجاج لابن الزبير بأمر من ابن الزبير[3].

3 – 3 موقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

اختلف موقف عبد الله بن الزبير تماما عن المواقف السابقة التي ذكرناها ، حيث رفض هذه الولاية من بداية أمرها ، فهادن معاوية ولم يثر عليه ، لكنه بعد وفاة معاوية مباشرة أعلن معارضته وموقفه من حكم يزيد ، وتجسدت هذه المعارضة على أرض الواقع بعد استشهاد الحسين بن على رضي الله عنهما في موقعة كربلاء ، حيث طلب البيعة ودعا لنفسه خليفة للمسلمين في بلاد الحجاز ؛ الأمر الذي سنعرضه عند حديثنا عن خلافته ، ويكفي أن نستدل هنا على موقف ابن الزبير بما ذكره خليفة في تاريخه قوله: لم يقبل عبد الله البيعة ليزيد ورفضها بقوله لأبيه: أرأيت إن بايعنا لابنك لأيكما نسمع ، ولأيكما نطيع ،

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 192.

[2] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص623.

[3] البلاذري ،أحمد بن يحي ، أنساب الأشراف ، تح سهيل زكار ورياض زركلي ،دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ،ج 4 ، ص118.

لا نجمع البيعة لكما أبدا[1]. حتى أن البلاذري قد ذكر أن من شدة تصلب عبد الله في رأيه قال معاوية: **من يكفيني ابن الزبير فوالله ما أردت أمرا إلا عاندني فيه**[2]. هذا قبل وفاة معاوية ؛ ومن خلال ما ذكره خليفة والبلاذري يتبين أن عبد الله بن الزبير يرى عدم جواز عقد بيعتين في زمن واحد ، كما أنه يرى كذلك بعدم أهلية يزيد لتولي الحكم ، ومن جهة أخرى نلحظ أن معاوية كان يريد تمرير الحكم لبنه ولو كان ذلك على رقاب خيرة أبناء الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الخامس: الفراغ السياسي وخلافة ابن الزبير

حكم يزيد بن معاوية مدة أربع سنوات بعد وفاة والده سنة 60 للهجرة[3]، وخرج عليه أهل المدينة سنة ثلاث وستين ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري ، وفعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، وسار جيشه إلى مكة لقتال ابن الزبير مطلع سنة أربع وستين ، وعلموا بوفاة يزيد أثناء حربهم مع ابن الزبير ، فنادى فيهم بقوله: **يا أهل الشام إن طاغيتكم قد هلك ودعا ابن الزبير إلى نفسه وتسمى بالخليفة أما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد**[4].

1 الفراغ السياسي

من الناحية السياسية أسفرت المرحلة التي تحدثنا عنها عن وجود موجة من عداء بالغة تجاه نظام الحكم القائم ، وأصبح الأمويون موضع سخط العامة باعتبارهم حكاما غاب عنهم جوهر المبادئ الدينية في غمرة تعطشهم للسلطة الدنيوية ، وقد تطلع الضمير الإسلامي القلق بحثا عن خلاصه والعودة إلى سياسة التقوى والصلاح التي جرى عليها الخلفاء الراشدين ، الذين صار ينظر إليهم في مقابلة من جاء

[1] خليفة ، تاريخ خليفة ، مرجع سابق ، ص214.

[2] البلاذري، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ج4 ، ص77.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص195.

[4] المرجع نفسه ، ص205.

بعدهم من الخلفاء على أنهم هم الراشدون[1]. توفي معاوية بن يزيد ولم يعين من يخلفه من بني أمية وقد كانت مدة خلافته على ما يذكر ابن الأثير أربعين يوما[2].

ونحن إذ نسمي هذه الفترة بمرحلة الفراغ السياسي في دولة بني أمية فإننا نستند إلى ما ذكره الطبري ، وابن الأثير ، والبلاذري ، الذين تكلموا عن هذه الفترة الحرجة من الحكم الأموي وما أعقبه من انقلاب داخل هذا البيت ، حيث تحولت الزعامة من البيت الأموي السفياني إلى البيت الأموي المرواني ، وتجدد الانشقاق في صفوف الأمة بإعلان ابن الزبير خليفة في الحجاز[3] ، وهو ما علق عليه الطبري بقوله: ظهر الخلاف في صفوف الأمة من جديد حول موضوع الخلافة ومن يتولاها[4].

وقال ابن الأثير: برزت العصبيات القبلية ، وعمت الفتن ، وظهر الانقسام بين القبائل من جديد[5].

وأمام توسع المناطق التي بويع فيها عبد الله بن الزبير تحرك أهل الأردن ورشحوا خالد بن يزيد بن معاوية لمنصب الخلافة حتى لا تنتقل إلى الحجاز من جديد وبذلك تضيع المكتسبات التي حصلوا عليها خلال الحكم الأموي[6].

وأمام هذه الأوضاع التي تنذر بنهاية حكم بني أمية كان لا بد من تحرك مروان بن الحكم شيخهم وصاحب الخبرة بينهم ، والذي عاد إليه الأمر بعد أخذ ورد ، وعين كلا من خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص وليا عهد له[7] ، لكن سرعان ما نقض العهد وعين مكان خالد ابنه عبد الملك بحجة عدم قدرته على تحمل المسؤولية[8] ، فكانت نتيجة ذلك ان دبرت له أم خالد وانتقمت لخلع ابنها من ولاية العهد[9].

---

[1] ج ن كولسون، في تاريخ التشريع الإسلامي ، تر محمد أحمد سراح، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص61.

[2] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج4 ، ص129.

[3] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص132.

[4] الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ، ج5 ، ص503.

[5] البلاذري ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 132.

[6] جمال جودة ، دور الأمة في تنصيب الخليفة في صدر الإسلام، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة، م15، العدد الأول ، ص81

[7] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ص133 ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ،ج8 ،ص 240.

[8] ابن سعد ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج5 ، ص42.

[9] الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ، ج5 ، ص610.

وقد أنهى عبد الملك بن مروان الصراع داخل البيت الأموي بقتله لعمرو بن سعيد بن العاص سنة 70 للهجرة [1]، وبرّر ذلك بقوله: ما اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه[2] ، ثم تفرغ بعد ذلك لقتال ابن الزبير من جهة ، وحركتي الشيعة والخوارج في كل من الكوفة والبصرة[3].

وإن كان ذلك كله قد تحقق لعبد الملك بن مروان فإن الخلافة لم تتحقق له في نظرنا بل نعده خارجا عن خلافة بن الزبير ، والغريب في معالجة الذين كتبوا عن الخلافة قديما وحديثا هو موقفهم من حكمه ، حيث صنفوه باغيا خارجا عن خلافة بن الزبير، ثم خليفة شرعيا بعد تغلبه عليه [4]، وهذا كله بسبب نظرية الغلبة التي صنفوا بها الحكام الخوارج والحكام الشرعيين ، فالخارج في نظرنا يبقى خارجا وغن عدل بعد خروجه عن السلطان العادل ، أما إن كان الخروج عن السلطان الجائر فقد نلجأ في هذه الحالة إلى نظرية القهر والغلبة التي سيتميز هبا الفكر السني فيما بعد.

2 خلافة عبد الله بن الزبير

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان رفض عبد الله بن الزبير أن يتولى يزيد الخلافة ، ويذكر المسعودي أن عبد الله بن الزبير كسب عطف الناس وتأييدهم ، وساعده في ذلك مواقف بعض المناطق كالعراق الذي كان موقفه المسارعة للتخلص من حكم الأمويين [5]، وخلع أهل الكوفة كذلك ولاية بني أمية وإمارة ابن زياد[6].

وقد خضعت له الحجاز واليمن والعراق وفارس حتى خراسان ، كما تذكر بعض المصادر أن مصر خضت له كذلك ، فقد أوفد الخوارج ووفدا منهم إلى ابن الزبير يطلبون منه أن يرسل إليهم واليا من قبله، كما جاء أناس من مصر من غير الخوارج يطلبون من ابن الزبير إرسال حاكم لهم ، فأرسل عبد الرحمان بن عتبة الفهري فقدم مصر في طائفة من الخوارج ، وخرج إليها سعيد بن زيد وأصبحت مصر تابعة لابن الزبير[7].

---

[1] خليفة ، التاريخ ، مرجع سابق ، ج1 ، ص337 ، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، مرجع سابق، ج2 ،ص270.

[2] الدينوري أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، تح عبد المنعم عامر ، مكتبة المثنى بغداد ، دط ، دت ، ص286.

[3] اليعقوبي ، التاريخ ، مرجع سابق ، ج2 ، ص74.

[4] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص210.

[5] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 92.

[6] أحمد حسن أبو شبيكة ، خلافة بني أمية عند علي بن الحسين المسعودي (41- 132هـ) دراسة تاريخية منهجية ، رسالة ماجستير ، ، قسم التاريخ ، جامعة غزة ، 2007 م ، 1428 هـ ، ص69.

[7] ماجد لحام ، عبد الله بن الزبير العائذ بالبيت الحرام ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1415 هـ ، 1995 م ، ص121 .

ورفض ابن الزبير عرض الحصين بن نمير بالذهاب معه إلى الشام واخذ البيعة له بالخلافة ، وأعلنت الحجاز بيعتها لابن الزبير سنة 65 للهجرة [1]، وقد ساعده في ذلك أمل الحجازيين في عودة مركز الخلافة إلى موطنها الأول وهو ما بينه ماجد لحام بقوله : خسرت بلاد الحجاز هذه المكانة – مركز الخلافة – التي كانت لها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مما جعل أهل الحجاز فيما بعد ينضمون إلى ابن الزبير عندما أعلن دعوته لأنه أعد لبلاد الحجاز مكانتها السياسية[2].

ثم أخذت له البيعة في الشام ، واستوثق له الأمر وخطب له على المنابر ، إلا منبر طبرية من بلاد الأردن[3].

المطلب السادس: حرب بني مروان على ابن الزبير وعودة الحكم إلى بني أمية

1 حرب بني مروان على ابن الزبير

بعد وفاة يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد من بعده ، الذي ذكرنا أنه لم يعهد لغيره بالخلافة قام البيت المرواني في وجه ابن الزبير وأعلنوا الحرب عليه حتى يستردوا الملك الذي رأوا أنه حقهم الشرعي، وتم اجتماع بني أمية في الجابية وأعلنوا بيعتهم لمروان بن الحكم [4]، ثم تولى ابنه عبد الملك الأمر من بعده ، حيث يذكر البلاذري رواية عن الواقدي وغيره أنه لما بويع عبد الملك وهو بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أنيف بستة ألاف من أهل الشام ، وأمره أن لا ينزل على أحد و أن لا يدخل المدينة ، كما أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي وحاصر مكة ، وحاصر ابن الزبير في المسجد ، وألح عليه بالمنجنيق ، سير على رماتها رجلا من خثعم فجعل يمري البيت ويقول:

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها عواذ هذا المسجد[5]

---

[1] المسعودي ، مروج الذهب ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 91.

[2] ماجد لحام ، عبد الله بن الزبير العائذ بالبيت الحرام ، مرجع سابق ، ص55.

[3] المسعودي ، المرجع السابق، ج 3 ، ص95.

[4] المرجع نفسه ، ج3 ، ص84.

[5] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ،ج2 ، ص118.

وكان عبد الملك ينكر رمي البيت في أيام يزيد بن معاوية ، ثم أمر بذلك فكان الناس يتعجبون منه ويقولون خذل في دينه [1].

وحج بالناس عبد الله بن عمر ، ومنع المنجنيق الناس من الطواف ، فأرسل إلى الحجاج أن اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس واتق الله فإنك في شهر حرام وفي بلد حرام [2]، فكف عن الناس حتى قضوا ما يجب عليهم بمكة ثم عاد إلى رميها من جديد ، قال ابن الكلبي وغيره لما صدر الناس عن الحج أعاد الحجاج الرمي بالمنجنيق فلقد كان الحجر يقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا يبرح[3].

وقد استشار عبد الله بن الزبير أمّه في الخروج إليهم وقتالهم وقال لها : يا أمّه إني أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبونني ، فقالت: **يا بني: إنّ الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ ، فامض على بصيرتك واستعن بالله ربك فخرج**[4].

ونقل البلاذري أن ابن إسحاق بن عبيد الأسلمي قال : شهدت حصار بن الزبير الأخير فكان يباشر القتال بنفسه ، ولقد رأيته يقتل بيده مثل جميع أصحابه ، ورأيته اليوم الذي قتل فيه وهو يوم الثلاثاء[5].

وقال الواقدي حصر ابن الزبير في غرة ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل يوم الثلاثاء في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكان الحصار ستة أشهر و سبع عشرة ليلة ، وقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة[6].

ومهما تكن كيفية قتل ابن الزبير وعودة الملك إلى بني أمية ، فإن صحت الروايات حول ما حدث من استحلال حرمة بيت الله من عبد الملك وجيشه ، فهي تعد سابقة لم يعرف لها الإسلام مثيلا ، ولعل الغريب في أمر الخلافة والحكم أن أعمال بني أمية تنفي المبدأ الذي قام عليه حكمهم ، الذي كان الثّأر من قتلة عثمان ، ذلك أن ابن الزبير رضي الله عنه كان من حماة عثمان رضي الله عنه ، ولم تشفع له هذه السابقة أمام موقف بني أمية . وهو الذي يقول عن نفسه: "والله لقد استخلفني أمير المؤمنين على الدار فكنت أنا الذي أقاتل بهم ، لقد كنت أخرج من الكتيبة وأباشر القتال بنفسي فجرحت بضعة

---

[1] المرجع نفسه ج7 ، ص565.

[2] المرجع نفسه ،ج 4 ، ص119.

[3] المسعودي ، مروج الذهب ، المرجع السابق ، ج3 ، ص119.

[4] المرجع نفسه ، ص123.

[5] المرجع نفسه ، ص 126.

[6] المرجع نفسه ، ص128.

عشر جرحا ، وإني لأضع اليوم يدي على بعض تلك الجراحات التي جرحت مع عثمان فأرجو أن تكون خير أعمالي"[1].

2 عودة الحكم إلى الأسرة الأموية

بعد بيعة مروان بن الحكم في دمشق انقسمت البلاد الإسلامية بين خليفتين ، عبد الله بن الزبير في مكة وتخضع له الحجاز واليمن والعراق وفارس حتى خراسان ، ومروان بن الحكم في دمشق وتخضع لسلطته بلاد الشام ومصر ، وكانت هذه المرة الأولى التي يدعى فيها لخليفتين في آن واحد [2]. ونحن نرى أن الأمر مخالف تماما لكل ما كان من أمر الحكم في الإسلام ، حتى في كيفية تعيين معاوية بن أبي سفيان نفسه ، فهو لم يدعى بالخليفة حتى تم التحكيم واستشهد علي بن أبي طالب ، وتنازل الحسن رضي الله عنه ، وقد تكون من أقوى الأسباب والحجج التي ستفتح المجال للتمرد على الحكم في المستقبل ، وهو ما حدث فعلا قبيل انتقال الحكم من بني أمية إلى بني العباس.

وبعد أن تم القضاء على ابن الزبير عاد الحكم من جديد إلى الأمويين ، لكنه استقر بشكل خاص في بني مروان ، واعتبر المسعودي مروان بن الحكم أول من أخذ الخلافة كرها بالسيف على غير رضا من الناس، وكان ذلك سببا في رد ملك بني أمية[3]. وهي سابقة خطيرة في الحكم الإسلامي أن يتولاه أحد الطلقاء الذين ليس لهم تاريخ في الإسلام على الإطلاق ؛ بل إن أباه قد ارتكب ذنبا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ قرارا بنفيه من المدينة[4]. يقول المودودي : لا بد أنه ارتكب ذنبا – أي الحكم – كبيرا أصدر الرسول – على أساسه – أمره بإخراجه من المدينة ، وكان مروان وقت ذاك في السابعة أو الثامنة من العمر ، فسكن الطائف مع أبيه ، فلما تولى أبو بكر الخلافة التمس منه السماح له بالعودة إلى المدينة فأبى ، كذلك لم يسمح له عمر – بعد استخلافه – فلما تولى عثمان رضي الله عنه أعاده إلى المدينة[5].

[1] ماجد لحام ، عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام ، مرجع سابق ، ص 47.

[2] المرجع نفسه ، ص132.

[3] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص244.

[4] أبو الأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، مرجع سابق، ص63.

[5] المرجع نفسه ، ص64.

كما أن عودة الحكم إلى بني أمية ونهاية ابن الزبير لم تكن إلا بعد استحلال بيت الله الحرام وبلده الحرام التي لم تحل للقتال حتى لرسول الله إلا ساعة ، ودخلها فتحا لا قتالا وهو الذي قال عنها: (**لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، فإذا استنفرتم فانفروا ، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السماوات والأرض ، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها**)[1].

ولعل أهم ما ميز فترة الحكم الأموي بعد هذه الأحداث هو عودة الاستقرار والفتوح الإسلامية في بلاد المغرب زمن عبد الملك بن مروان ، دون أن ننسى الإشارة إلى تميز فترة حكم عمر بن عبد العزيز الذي عده بعض الباحثين خامس الخلفاء الراشدين ، فعلى الرغم من أن فترة حكمه لم تدم طويلا إلا أنه استطاع أن يجمع شمل جميع الأمة واعترفت حتى الخوارج بولايته ، ولم تطعن في خلافته ، أما مواقف الفرق من خلافتهم فسنرجئها إلى فصل لاحق.

وفي ما يلي نعرض أسماء حكام بني مروان ومدة حكمهم حتى آخر ملوكهم – مروان بن محمد – التي نقلناها من دراسة عبد الشافي محمد عبد اللطيف[2].

1 – مروان بن الحكم تولى الحكم من 64 إلى 65 للهجرة
2 – عبد الملك بن مروان تولى الحكم من 65 إلى 86 للهجرة
3 – الوليد بن عبد الملك تولى الحكم من 86 إلى 96 للهجرة
4 – سليمان بن عبد الملك تولى الحكم من 96 إلى 99 للهجرة
5 – عمر بن عبد العزيز تولى الحكم من 99 إلى 101 للهجرة
6 – يزيد بن عبد الملك تولى الحكم من 101 إلى 105 للهجرة
7 – هشام بن عبد الملك تولى الحكم من 105 إلى 125 للهجرة
8 – الوليد بن يزيد بن عبد الملك تولى الحكم من 125 إلى 126 للهجرة
9 – إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك تولى الحكم سنة 126 للهجرة
10 – مروان بن محمد بن مروان تولى الحكم من 127 إلى 132 للهجرة

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، بتعليق مصطفى البغا ، باب لا يحل القتال بمكة ، ح ر 1834 ، ص806.

[2] عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العلم الإسلامي في العصر الاموي دراسة سياسية ، دار السلام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2007 م ، ص101.

المبحث الثاني: الحكم الأموي بعد وفاة ابن الزبير مواقف بعض الحركات منها

بعد أن استقر الأمر في يد بني أمية وتم القضاء على عبد الله بن الزبير ، عادت الفتوحات في بلاد المغرب ، وفتحت الأندلس ، ولما توفي عبد الملك ، تولى الخلافة من بعده ابنيه الوليد ، وسليمان الذي عهد بالحكم من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز ، الذي خالف سيرة أهله وسار على نهج الخلفاء الراشدين ؛ إلا أن من خلفه لم يستطع أن يجاريه في عدله وحسن تسييره لرعيته ، وهو الأمر الذي أدى إلى عودة الاضطراب وظهور الحركات المناوئة لحكم بني أمية من جديد ، وهذا ما سنقف علية بالتفصيل في هذا المبحث.

المطلب الأول : خلافة عمر بن عبد العزيز وموقف الحركات منها

يعد الكثير من الباحثين حكم عمر بن عبد العزيز نموذجا أمثلا للخلافة الإسلامية الراشدة حيث لقبه بعض العلماء والباحثين خامس الخلفاء الراشدين.

يقول سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز[1].

ويقول السيوطي: عمر بن عبد العزيز بن مروان ، الخليفة الصالح ، أبو حفص ، خامس الخلفاء الراشدين[2].

1 خلافته

بويع عمر بن عبد العزيز الحكم بعهد من سليمان في صفر سنة تسع وتسعين[3] ، وقد ذكر المسعودي كيفية عقد البيعة له فقال: لم تكنتكن خلافة عمر في عهد تقدم، وكان السبب فيهاأن سليمان لما حضرته الوفاة في مرج دابق ، دعا رجاء بن حيوة ، ومحمد بن شهاب الزهري ، ومكولا وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ، فكتب وصيته واشهدهم عليها وقال : أذا أن مت فأذنوا بالصلاة

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق ، ص223.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

جامعة... فقرأ الزهري الكتاب ، فإذا اسم عمر بن عبد العزيز ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك ، بايع الناس من بعده ، ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين[1] ، وقال: والله إن هذا الأمر ما سألته قط[2]، وقد مات عمر بن عبد العزيز بالسّم بعد سنتين وأشهر من خلافته ، سمّه بنو مروان خوفا أن يخرج الخلافة منهم ، ويضعها في غيرهم[3].

وقال الطبري: مات عمر بالسّم بعد سنتين وأشهر من خلافته ، وعالجه بنو مروان بالسّم قبل أن يعالجهم بالإقصاء[4] ، ونحن لا نستبعد هذه الخطوة من الخليفة العادل ، لما عرف عنه من إحياء السنن وإماتة البدع ، وعمله على جمع كلمة المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، ومن الأعمال التي تشهد له بحسن سيرته في الحكم نذكر ما يلي:

- أنه صرف عمال من كان قبله من بني أمية واستعمل أصلح من قدر عليه ، فسلك عماله طريقته ، ترك لعن علي عليه السلام على المنابر[5] ، وكتب إلى عماله بإبطالها[6]، وقد سن سب علي والسبطين في زمن بني أمية ، فلما جاءتهم أوامر عمر بن عبد العزيز بترك هذا[7] ، فوجده الشريف الرضي أهلا في ذلك للثناء فقال فيه:

يابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتى من أميـة لبكيتك

أنت أنقذتنا من السب والشتـ ـم فلو أمكن الجزا لجزيتك

وأنشده كثير عزة:

[1] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص151.

[2] جلال الدين السيوطي ،المرجع السابق ، ص227.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج6 ، ص556 ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، مرجع سابق ، ج 2، ص308.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] المسعودي ، المرجع السابق ، ص 151.

[6] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص236.

[7] صائب عبد الحميد ، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي ، مسار الإسلام بعد الرسول ، ص706.

وليت فلم تشتم عليا، ولم تخف بريّا ولم تتبع مقالة مجرم[1]

– ساوى في العطاء بين الناس، فلم يفضل قرشيا على أحد ، ولا فرق بين عربي وغيره في رزق أو كسوة أو معونة أو عطاء[2].

قال الأوزاعي: قال عمر بن عبد العزيز لأشراف بني أمية وهم جلوس عنده: ترون بساطي؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى وفناء ، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم ، فكيف أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم؟ هيهات لكم هيهات ! فقالوا: لم؟ أما لنا قرابة؟ أما لنا حق؟ قال: ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين في في هذا الأمر إلا سواء إلا رجل من المسلمين حسبه عني طول شقته[3].

– تدوينه الحديث : ويشهد بذلك الإمام الزهري حيث يقول : أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث إلى كل أرض دفترا[4]. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: عليكم بابن شهاب الزهري فإنه أعلم بالسنة الماضية منكم[5].

– عدله بين رعيته وزهده: ويكفي أن أكابر علماء زمانه وزفقائه يشهدون له بذلك ، بل حتى الرعاة ؛ يقول حسن القصاب وموسى بن أعين. قالت رعاء الشاء: من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة؟ عدله كف الذئاب عنا[6].وبعث إليه الجراح بن عبد الله يشكو أهل خرسان ويقول : لا يصلحهم إلا السيف ، فأجابه بقوله: قد كذبت . بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم[7].

وعن زهده قال مالك بن دينار: الناس يقولون مالك زاهد ، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها[8]. ولعل هذه أهم الخصال التي جعلت الحركات المناوئة لحكام بني أمية تتخذ مواقف نبرزها في العنصر الموالي.

---

[1] اليعقوبي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص305.

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج5 ، ص375.

[3] جلال الدين السيوطي، المرجع السابق ، ص229.

[4] صائب عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص705.

[5] المرجع نفسه ، ص704.

[6] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص227.

[7] المرجع نفسه ، ص235.

[8] المرجع نفسه ، ص227.

2 موقف بعض الحركات من خلافة عمر بن عبد العزيز

يمكن القول أن عمر بن عبد العزيز قد قضى على كل أسباب الفرقة في الدين بن المسلمين وجمع بين الإخوة المتخاصمين ، والدليل على ذلك هو مواقف أهم التيارات الفكرية والعقدية التي ظهرت قبله من خلافته ، ونستدل على ذلك بعرضنا لثلاثة مواقف بارزة وهي: موقف الحركة العلوية ، وموقف الخوارج ، وموقف القدرية .

2 – 1 موقف الحركة العلوية

توقف نشاط الحركة العلوية التي كانت تطالب بضرورة عودة الحكم إلى البيت العلوي ، وتسعى إلى الحياة الكريمة دون أن يمارس عليها تعسف من السلطة الحاكمة ، وذلك بفضل تحقق غاياتها الأساسية التي كانت تصبو إليها وأهم هذه الغايات .

توقف بني أمية عن مطاردة أهل البيت وسبهم في المنابر: وتحقق لهم ذلك حين تولى عمر بن عبد الخلافة وأمر ولاته بالكف عن سب علي والسبطين ، وقد أبدل سبهم رضي الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[1].

رده لأرض فدك إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، حيث جمع بني مروان حين استخلف وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ينفق منها على صغير بني هاشم، ويزوج منها أيمهم وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى ، فقال حين جمعهم: رأيت أمرا منعه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت عليه[2]؛ إلا أن اليعقوبي ذهب في هذه النقطة غير ذلك حيث قال أن عمر بن عبد العزيز رده فدكا إلى ذرية فاطمة ، وقد كان معاوية منحها لمروان بن الحكم[3].

---

[1] سورة النحل ، الآية 90.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص226.

[3] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، مرجع سابق ، ج 2، ص305.

– توعد بني مروان إن أصروا على رغبتهم في الاستئثار على الناس بالانتقال إلى المدينة وجعل الخلافة شورى[1]، وكيف لا وقد قال لهشام بن عبد الملك حين بايعه مكرها: إنا لله وإنا إليه راجعون حين صار يلي هذا الأمر أنا وأنت[2]. وهذا ما جعل أهل البيت يتوقفون عن دعوتهم لأنفسهم.

2 – 2 موقف القدرية

انتشر قبل عمر بن عبد العزيز القول بالقدر ، ومن أهم الشخصيات التي دعت إليه غيلان الدمشقي، فدعاه عمر واستتابه ، فتاب وقال: لقد كنت ضالا فهديتني ، فدعا عليه عمر وقال: اللهم إن كان صادقا وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه ، فنفذت فيه دعوته في خلافة هشام بن عبد الملك ، وصلب في دمشق في القدر[3].، ويكفي أن نذكر كذلك أن عمرو بن عبيد كان يقول: أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ، ولا استحقاق لها ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها[4].

2 – 3 موقف الخوارج

اشتد بأس حركات الخوارج قبل ولاية عمر بن عبد العزيز وقد قامت بينهم وبين ولاة بني أمية عدة ثورات ؛ إلا أن عمر بن عبد العزيز غير من أسلوب من سبقه تجاههم فأثمرت جهوده في هدنة لو أحسن حكام بني أمية من بعدهم لما ثار في وجههم ثائر ، فبعد أن كان من سبقه يستعمل السيف في وجههم استعمل عمر أسلوب الحوار والمجادلة ، فقد خرج بسطام اليشكري في خلافته سنة (100هـ)، فلما علم بخروجهم أرسل إلى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمان أن يختار قائدا كفئا لقتالهم ولا يهيجهم ولا يقاتلهم إلا إذا قاتلوه[5]. ثم دعاهم إلى المناظرة فأرسل إلى بسطام كتابا جاء فيه: إنه بلغني أنك خرجت غضبا لله ولرسوله ولست بأولى بذلك مني فهلم أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص236.

[2] شمس الدين الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج6 ، ص193 ، ولمزيد من التفصيل أنظر ، صائب عبد الحميد،تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي ، مرجع سابق ، ص 700 وما بعدها.

[3] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص236.

[4] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص160.

[5] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج 6 ، ص 556.

دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا ، فلم يحرك بسطام شيئا وكتب إلى عمر أن قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يناظرانك[1].

وقد دارت مناظرة بين الطرفين حيث مثّل الخوارج فيها كل من مخودج مولى بين شيبان ، ورجل من بني شيبان يقال له عاصم ، وكانت النقطة الجوهرية التي تعلق بها الخارجيان هي طلبهم من عمر بن عبد العزيز التبرؤ من أهله ولعنهم ، لأنه سمى ما أخذوه من عامة الناس مظالم ، وحاججهم بقوله: قد علمت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها[2] ،كما رد عليهم عمر : إن الله لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعّانا[3] ، كما ذكر لهم عدم براءتهم من أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – رغم اختلافهما في الحكم بعد حروب الردة حيث قاتل أبو بكر رضي الله عنه المرتدين فسفك الدماء ، و سبى الذراري ، وأخذ الأموال ، وقام عمر رضي الله عنه بعده برد تلك السبايا إلى عشائرهم ، فتاب الحبشي ، ورجع الشيباني[4] ، و نجح عمر بن عبد العزيز في إخماد حركتهم، وتوقف بسطام عن خروجه حتى وفاة عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ، ونحن نرى أنه لو تمسك بنو مروان بسيرة عمر بن عبد العزيز في الحكم لما خرج عليهم خارج.

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ص 557.

[2] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج4 ، ص317.

[3] المرجع نفسه ، ص 319.

[4] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ج 8 ، ص211 وما بعدها مع اختصارنا للرواية وقف حاجتنا ، دون المساس بجوهرها.

المطلب الثاني : حكم هشام بن عبد الملك وحركات الخروج على بني أمية

1 حكم هشام بن عبد الملك

بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز عاد حال كل شيء أموي إلى حاله ، وكأن تلك الصحوة القصيرة هدأة مصروع[1] ، حيث تولى الأمر من بعده يزيد بن عبد الملك ، ثم بويع لهشام بن عبد الملك سنة خمس ومائة في اليوم الذي توفي فيه أخوه ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة[2] ، وقد تمادى حكام بني أمية في ظلمهم وبعدهم عن الحق والعدل في هذه المرحلة ، ما جعل حركات الخوارج تثور في وجههم من جديد ، وهذه أهم حركات الخروج التي ثارت بعد وفاة عمر بن عبد العزيز بشيء من التفصيل.

2 حركات الخروج على بني أمية

ما كان لبني أمية أن يهنئوا بالحكم وتستب لهم الأمور بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وذلك بعد عودتهم إلى ممارسة سلطتهم على الناس وعلى حساب المبادئ الدينية ، وهو ما أعاد نشاط حركات الخروج إلى الظهور ، لكن هذه المرة بشكل منظم ومستمر ، ومن بين أهم هذه الحركات ما يلي:

2 – 1 حركة بسطام اليشكري

ذكرنا هذه الحركة في المطلب السابق وقلنا أن نشاطها قد توقف عند مناظرة عمر بن عبد العزيز لهم ؛ إلا أنّ الهدنة التي كانت بين البيت الأموي والخوارج قد قضي عليها بوفاة عمر، فقد أرسل يزيد بن عبد الملك من يقاتلهم ، فقالت الخوارج ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح[3] ، يعنون بذلك عمر بن عبد العزيز ، وقد أنفذ إليهم يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك فعقد لسعيد بن عمرو

[1] صائب عبد الحميد ، تارخ الإسلام الثقافي والسياسي ، مرجع سابق ، ص710.

[2] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص169.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق، ج4 ، ص73.

الحرشي في عشرة آلاف مقاتل ، وحمل عليهم حملة عظيمة ، فحملوا عليهم و طحنوهم ولم يبقوا منهم أحدا ، وقتل بسطام وهو شوذب وفرسانه[1] .

وقد ذهب الطبري إلى أن بسطام خرج بالموازاة مع حركة سعيد بن بهدل الشيباني ، الذي كان معه الضحاك بن قيس[2] ، وكان هدف هذه الحركة الأول هو السيطرة على منطقة الجزيرة والقضاء وتخليصها من حكم مروان ، إلا أن الخلافات المذهبية بين المجموعتين جعلت المواجهة تقع بين الخوارج ، وكان نتيجتها مقتل بسطام[3].

2 – 2 حركة خروج وزير السجستاني

تتبعت الباحثة أسماء إبراهيم الصوفي حركات الخروج عن الخلافة الأموية في العراق ، ومن بين الحركات التي ذكرت وزير السجستاني بالحيرة سنة 119 للهجرة[4] ، والذي قال عنه النويري أنه أرعب الناس ، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها[5] ، وهو ما جعل الخليفة يرسل إليه خالد القسري ، فقضى جيشه على عامة أتباعه ، وأثخن القسري بالجراح ، فأتي به خالد فجعل ينصحه ويعضه ، فأعجب بوعظه فلم يقتله وحبسه عنده[6]. وهو ما أثار هشام فبعث إليه يذمه ويأمره بقتله ، ففعل خالد ذلك حيث قتله واحرقه بالنار مع نفر من أصحابه وهو يتلو القرآن[7].

[1] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج4 ، ص333 ، أنظر، أسماء فتحي إبراهيم ، حركات الخروج على الخلافة الأموية ، مرجع سابق ، ص45 وما بعدها.

[2] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج7 ، ص317.

[3] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 259.

[4] أسماء فتحي إبراهيم الصوفي ، حركات الخروج على الخلافة الأموية في العراق (41- 132هـ) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة ، 1436هـ – 2015م ، ص 47.

[5] النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب ،ج21 ، ص 273 ، نقلا عن أسماء فتحي ، المرجع السابق ، ص48.

[6] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج4 ، ص431.

[7] النويري ، المرجع السابق ، ج21 ، ص48.

2- 3 حركة المختار بن عوف الأزدي

ظهرت هذه الحركة في حكم مروان بن محمد بن مروان ، ورغم ما حدث من فتن في زمانه إلا أنه حفظ ملك بني أمية الذي انتهى بوفاته على قول ابن كثير: لما مات هشام بن عبد الملك ، مات حكم بنو أمية وتولى وأدبر الجهاد في سبيل الله ، واضطرب أمرهم جدا ، وإن كانت تأخرت أيامهم بعده نحو سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس ، فاستلبوهم نعمتهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقا ، وسلبوهم الخلافة[1].

2 – 4 ثورة يزيد بن الوليد

لم تكن ثورات الخوارج وحدها التي قامت قبيل نهاية عهد بني أمية ، بل قام بعض أفراد الأسرة نفسها بالثورة على من حكم منهم ، ومن أهم تلك الثورات ثورة يزيد بن الوليد التي عدها بعض الباحثين ثورة تصحيحية ، استعملت الأفكار الاعتزالية وغيرها لتجنيد الناس ، وليس لتطبيقها على أرض الواقع بعد النجاح[2]

المطلب الثالث: حكم الوليد بن يزيد وموقف بني أمية منه

1 حكم الوليد بن يزيد

ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة تسعين للهجرة وتسلم الأمر سنة خمس وعشرين ومائة[3]. وذلك في اليوم الذي توفي فيه هشام[4] ، وتعد فترة حكمه أسوء فترة في حكم بني أمية على الإطلاق قال عنه

---

[1] ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 369.

[2] أحمد بوق جاني ، وقف الفرق الإسلامية من سياسة بني أمية ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية ، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر – 1 – ، السنة الجامعية 1435 1436 هـ ، 2014 – 2015م ، ص322.

[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص242.

[4] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 176.

السيوطي الخليفة الفاسق[1] ، وكان شاعرا ، ومن شعره ما صرح فيه بالإلحاد في القرآن العزيز والكفر بمن أنزله ومن أُنزل إليه[2] ، حيث يقول في بعض شعره الذي يخاطب فيه القرآن:

تهدد كل جبار عنيد فها أنا ذا جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد[3]

ثم أخذ يرمي القرآن الكريم بالسهام[4].

وقال المعافي الجريري جمعت شيئا من أخبار الوليد في شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقة وسخافته، وما صرح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله[5].

كما ذكر محمد بن يزيد المبرد – النحوي – أن الوليد ألحد في شعر له ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الوحي لم يأته عن ربه ، كذب أخزاه الله ومن ذلك الشعر :

تلعب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمها بعد قوله إلا أياما حتى قتل[6]. وقد ذكر المسعودي من أفعاله وزلاته ما يستحي المرء أن يذكره بينه وبين نفسه[7].

وقال ابن الفضل في المسالك : الوليد بن يزيد الجبار العنيد لقبا ما عداه ، ولقما سلكه فما هداه ، فرعون ذلك العصر الذاهب ، والدهر المملوء بالمعائب يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار ،

[1] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ص243.

[2] ابن الأثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج10 ، ص8

[3] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص180.

[4] ابن الأثير ، المرجع السابق ، ص9.

[5] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، المرجع السابق ، ص243.

[6] المسعودي ، المرجع السابق ، ص180.

[7] من بين ما ذكر المسعودي قصته مع سميره ابن عائشة القرشي ، وهو مغنيه ومغني أبيه ، أنظر المرجع السابق ، ص179 وما بعدها.

ويرديهم العار ، وبئس الورد المورود في ذلك الموقف المشهود ، رشق المصحف بالسهام ، وفسق ولم يخف الآثام[1]. وكان ذلك سبب خروج يحي بن زيد عليه ، حتى قتل وصلب ولم يزل مصلوبا حتى ظهر أبو مسلم الخراساني – داعية العباسيين- سنة 130 للهجرة ، فأنزله وصلى عليه ودفنه[2].

2 موقف بني أمية منه

عدت لطيفة البكاي حكم الوليد بداية عهد الفتنة الثالثة وقررت أن بوادر الأزمة السياسية التي شهدتها الدولة الأموية تعود إلى نهاية خلافة هشام بن عبد الملك[3] ، وذهب العديد من المؤرخين إلى أن سوء سيرة يزيد جعلت إخوانه وأبناء أبناء عمومته ينقلبون عليه ، وقد أوضح هذا الموقف ابن الأثير في قوله: تمادى فجوره حتى انقلب عليه أهل بيته أنفسهم فخلعوه[4].

بينما نجد الصلابي يرجع السبب في الفتنة والثورة ضده إلى قوله بالقدر حيث يقول: أصابته بدعة القدر ودعا الناس إليها ، وقرّب غيلان الدمشقي الذي طلبه هشام بن عبد الملك لبدعته الشنيعة[5] ، وهو ما ذكره المؤرخون قديما ، إلاّ أننا لا نميل إلى قوله ، والأرجح هو ما ذهبت إليه لطيفة البكاي حيث توصلت إلى أنّ السّبب الرئيسي الذي دفع عناصر من البيت الأموي إلى الثورة ضدّه هو تمسك أبناء الوليد بن عبد الملك بحقهم في الخلافة واعتبار أنفسهم الأقرب لها ، فقام بأعمال على عمال هشام ، بل تجاوزهم ليشمل عناصر من البيت الأموي نفسه منهم سليمان بن هشام[6] ، ومن الأعمال التي قام مباشرة بعد توليه الحكم عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان ، ودعا الشاميين إلى البيعة ، ثمّ طالب الولاة

---

[1] المرجع نفسه ، ص244.

[2] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج5 ، ص272.

[3] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37 – 132هـ) ،رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2001م ، ص 254.

[4] ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج10 ، ص9.

[5] محمد علي الصلابي ، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج ، مرجع سابق ، ص 67.

[6] لطيفة البكاي ، المرجع السابق ، ص255.

والعمال بأخذ البيعة من مسلمي الأمصار[1]، كما أنه لم يكن يحض بتأييد العديد من الأطراف داخل البيت الأموي وفي صفوف الجيش الشامي[2].

و إن كان يزيد يرجع سبب انقلابه على الوليد إلى فجوره حسب الرواية التي يذكرها السيوطي : لما قتل يزيد الوليد قام خطيبا فقال: أما بعد والله إني ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا طمعا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجت غضبا لله ولدينه ، وداعيا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حين درست معالم الهدى ، وطفئ نور التقوى ، وظهر الجبار المستحل الحرمة الراكب البدعة ، فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم عن كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثير من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه[3].

وقد انتهت حركة الأمويين بقتل الوليد ومبايعة ابنه يزيد الذي لم تكد تهدأ له الأمور بالشام حتى مات في السنة نفسها التي تولى فيها الحكم[4].

المطلب الرابع: حكم مروان بن محمد ونهاية العصر الأموي

1 حكم مروان بن محمد

يعد مروان آخر خلفاء بني أمية ، واسمه أبو عبد الملك ابن محمد بن مروان بن الحكم ، يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ، وبالحمار لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه[5] ، بويع في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، فكان أول ما فعل أن أمر بنبش يزيد الناقص ، فأخرجه من قبره وصلبه لكونه قتل الوليد[6]. وذكر المسعودي أنه ظهر سنة سبع وعشرين ومائة ، وظفر بإبراهيم فقتله

[1] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 256.
[2] المرجع نفسه ، ص 254.
[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 245.
[4] الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 298.
[5] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص 246.
[6] المرجع نفسه ، ص 247.

وصلبه وقتل من مالأه ووالاه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد بن خالد القسري ، وبدأ أمر بني أمية يؤول إلى الضعف[1].

2 نهاية العصر الأموي

اجتمعت عدة أسباب لإنهاء الحكم الأموي ولعل أهمها في نظرنا هو طمع كل منهم أن يكون حاكما دون مراعاة أحوال الدولة التي توشك على الانهيار ولا مبادئ الإسلام وأصوله في الحكم ، فقد قضى الطمع في الحكم على كل المبادئ التي قام عليها نظام الخلافة في الاسلام ، فعند تولي مروان بن محمد الأمر قام ضده أهل الشام بقيادة سليمان بن هشام الذي انظم إلى صفوف الخوارج وشارك مع الضحاك في حربه ضد مروان[2] ، وهو ما يثبت في نظرنا عدم قيام الحكم الأموي بعد عمر بن عبد العزيز على مذهب عقدي ثابت ، إنما تقلب حكامهم بين المذاهب العقدية التي انشرت في تلك المرحلة وقف ما يخدم المصلحة الشخصية لكل منهم ، وهو ما يبرز مدى الضعف والتمزق صارت إليه السلطة الأموية ، وبعد مقتل الضحاك بايع أهل عسكره الخيبري الذي انظم إليه وبايعه بعض من كان يشغل مناصب هامة خلال الحكم الأموي مثل عبيد الله بن عباس عامل عبد الله بن عمر على الكوفة[3].

وبعد مقتل الخيبري حاول سليمان بن هشام أن ينال مكانة عالية بين الخوارج خاصة وأنّ الذي تولى أمرهم هو شيبان اليشكري الذي صاهره سليمان بتزويجه لأخته له عند قدومه على الخوارج[4].

هذه العوامل في نظرنا ساعدت العباسيين بشكل كبيير في القضاء على الحكم الأموي وتولي أمور المسلمين من بعدهم.

[1] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 188.
[2] الطبري ، تارخ الطبري ، مرجع سابق ، ج7 ، ص346.
[3] خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص397.
[4] الطبري ، المرجع السابق ، ص347.

المبحث الثالث: الآراء العقدية التي ظهرت في صدر الخلافة العباسية وأهم الدول التي انفصلت عنها .

كان إعلان الخلافة العباسية سنة 131 للهجرة على يد أبي جعفر المنصور الملقب بالسفاح ، ولعل هذا اللقب بالذات يدل على كثرة سفك الدماء وهذه التسمية دليل على أن خلافة بني العباس لم تخرج عن السياق الذي قامت عليه دولة بني أمية وأن التحول الذي طرأ على الحكم من طرف بني أمية لن يختلف عليه من سيأتي بعدهم ، وأعلن العباسيون ثورتهم على بني أمية وهب الناس لمعاونتهم ،ولكن خيبة هذا الأمل كانت منذ بداية حكمهم الذي بدأ برجل يدعى (السفاح) لكثرة ما أراق من الدماء في سبيل تكميم أفواه من يقوم في وجهه ، أو المطالبة بالحقوق حتى ولو كان من أبناء عمومته ، في رسالة واضحة أن الإسلام وحكمه قد ولى، وأن الدولة ملك لمن يستولي عليها. وهو ما فتح الباب على مصراعيه لأتباع الفرق لإنشاء دول مستقلة عقديا وإداريا عن الحكم فيما بعد ، عليه سيكون الحديث في هذا المبحث حول جذور الخلافة العباسية وموقف العلويين منهم ، ونظريتهم في الحكم وكذا أهم الدول التي انفصلت عنها مع إبراز مذاهبها العقدية ومواقفها من الخلافة الأم (دولة بني العباس) .

المطلب الأول : جذور الخلافة العباسية وموقف العلويين منها

1 جذور الخلافة العباسية

ظهور ما يصطلح عليه بالخلافة العباسية كان سنة 132 للهجرة على يد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبو العباس السفاح) أول خلفاء بني العباس [1]؛ ينتمي إلى بني هاشم ،

ويرجع بعض الباحثين في الملل والنحل أصول الخلافة العباسية إلى محمد بن علي بن عباس و أولاده، فبعد وفاة محمد بن الحنفية الذي استغل المختار الثقفي اسمه ومكانته بين أهل البيت في إنشاء حركته الخارجية والدعوة إليها ونشر أفكارها بين الناس، اعتقد بعضهم أن محمد بن الحنفية نقل الأمر إلى ابنه بعد موته أبو هشام عبد الله بن محمد الذي احتك بالخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ونشر دعوته

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، 249.

سرا ، ثم التحق بمحمد بن علي بن عباس وعرض عليه دعوته فلاقت قبولا واستحسانا منه ومن أبنائه وذلك سنة 98 للهجرة .

ويمكن اعتبار دولة بني العباس دولة خارجة عن الخلافة الأموية ، عن طريق الخيانة والمراوغة ، وهذا قول لأحد خلفائهم خير دليل على مكرهم ودهائهم فهم الذين بدءوا دعوتهم بآل البيت ثم انقلبوا عليهم، ولعل خير شاهد على ما نقول هو ما ذكره السيوطي أن ابن عساكر أخرج عن عبد الصمد بن علي أنه قال للمنصور : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو، قال : لأن بني أمية لم تبل رماحهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء فليست تمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو، واستعمال العقوبة ، يقول السيوطي: تولى المنصور الخلافة فكان أول ما فعل أن قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم[1].

وهناك من الباحثين من يرجع جذور حكمهم إلى فكرة العصبية التي عدها أحمد أمين أهم عامل حرك بني هاشم إلى طلب الخلافة وهو ما أشار إليه بقوله : "لما ولي الأمويون الخلافة عادت العصبية إلى حالها كما كانت في الجاهلية ، وكان بينهم وبين بني هاشم في الإسلام كالذي كان بينهم في الجاهلية ؛ ففخر الأمويين بالدهاء والحلم وكثرة الخطباء والشعراء ، ورد عليهم بنو هاشم يكاثرونهم في ذلك ، وكان جدالهم ومفاخرتهم صورة صادقة للمنافرة في الجاهلية"[2].

واعتمد محمد بن علي على نظام النقباء حيث وجه اثني عشرة منهم إلى خراسان ، وأن ثلثهم من غير العرب ، وهو ما سيؤثر مستقبلا على نظام الخلافة ،وقد رجح محمود شاكر أن سبب اختيار خراسان على الكوفة يرجع إلى عدة عوامل أهمها : بعدها عن مركز الخلافة الأموية وكثرة الفرس فيها ، أما الكوفة فهي تحت رقابة ولاة بني أمية ، بالإضافة إلى السمة التي طبعت شعبها ، حيث كان مصير كل دعوة من أهل البيت الخذلان بعد الانضمام إلى دعوتهم . ولعل أهم شخصية فاعلة في ظهور الخلافة العباسية هو أبو مسلم الخراساني الذي كان له الدور الكبير في إضعاف بني أمية ونزع الهيبة من سلطانهم في خراسان .

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص253.

[2] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، دط ، د ت ، ص 79.

2 موقف العلويين منها

يذكر السيوطي أن البيت العباسي والبيت العلوي يعد بيتا واحدا ، وتم التخطيط لإعادة الخلافة إلى العباسين من كلا الطرفين إلا أن الخلاف بدأ بعد مقتل أبي مسلم الخراساني ، وكان المنصور أول من أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيئا واحدا[1]. غير أن بعض المتأخرين يرى أن العباسيون طوال مدة دعوتهم السرية التي سبقت ثورتهم على الخلافة الأموية كانوا لا يذكرون للناس أنهم طلاب خلافة ، إنما يذكرون أنهم يطلبون إسقاط الدولة الأموية الجائرة ، ويوظفون في ذلك كل الوسائل المتاحة لهم ، حتى أبناء عمومتهم من العلويين ، وهذا ما ذهب إليه ... حيث يقول: كانوا لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة وإنما يأخذونها للإمام الرضا من آل البيت النبوي حتى لا يثيروا أبناء عمهم العلويين عليهم[2]، وهذا ما يعتبر خيانة في حق العلويين ، ولعله السبب في عدم صفاء الجو بين أبناء العمومة.

كما تذكر الروايات التاريخية أنه لما تولى أبو العباس السفاح الخلافة ، وفد إليه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأخوه الحسن ، فوصلهما وخص عبد الله ، وآخاه وآثره ،وذكر أنه عما ووالدا ، ثم سأله عن سبب تخلف ولديه محمد وإبراهيم وتمنّعهما من أن يفدا إليه[3].

ومع ذلك فإن السفاح لم يشأ أن يتخذ موقفا عدائيا تجاه العلويين من آل الحسن ، بل إنه حاول أن يخلق جوا من الوفاق الهاشمي العباسي العلوي ، وجعل فترة حكمه قصيرة رمزا لانتصار الحق الهاشمي رغم إدراكه بوجود تحركات موالية للعلويين[4].

إلاّ أن مواقف من بعده من الخلفاء ومواقف العلويين ضد خلافتهم تغيرت تماما بعد إدراك العلويين أن ما يخطط له بنو العباس هو إقصاء أبناء عمومتهم تماما من الحكم والانقلاب عليهم.

---

[1] المرجع نفسه ، ص254.

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف ، القاهرة ، ط16 ، 2004م ، ص13.

[3] أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين، تح أحمد صقر ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، إيران ، ط2 ، 1416هـ ، ص 164.

[4] حورية عبده سلام ، الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العهد العباسي الأول 132- 232هـ ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1430هـ – 2009 م ، ص .16

وكرر المنصور موقفه تجاه البيت العلوي فسأل عبد الله ابنيه فواصل انكاره ، فأمر المنصور بحبسه ومصادرة أمواله وأملاكه ، فحبس في دار الإمارة مدة ثلاث سنوات بمفرده[1].

و تمت الدعوة إلى محمد بن عبد الله (النفس الزكية) واستطاع أن يتغلب على المدينة ، وتحرك أخوه إبراهيم في البصرة ، فحاصرها أبو جعفر ليحد تحركاته فيها[2].

ولم تنتهي هذه الأحداث إلا بعد أن تمكن أبو جعفر المنصور من محمد بن عبد الله وأخوه إبراهيم حيث ظفر بهما و قتلهما وجماعة كثيرة من أهل البيت[3].

ولا بد من الإشارة في هذا الموقف إلى أن الإمام مالك بن أنس- حسب ما ذكر السيوطي- أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور ، وقيل له : إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال: إنما بايعتم مكرهين و ليس على مكره بيعة[4].

قد نقلت الباحثة حوريه عبده سلام فتوى التجاء أهل المدينة إلى الإمام مالك بن أنس ، وقت ذاك، حيث استفتوه في إمكانية الانضمام إلى محمد وفي أعناقهم بيعة مسبقة لأبي جعفر المنصور ، فأفتى ببطلانها بقوله: **إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين**[5] ، هذه الفتوى فتحت الباب لمبايعة أهل المدينة له و الإقرار بإمامته[6].

وهذا الموقف من الإمام مالك له ما يؤيده حيث هذا الرأي الإمام أبو حنيفة من قبله فقد عذب على يد حكام زمانه لأنه كان يرى أن الخلافة انتهت بمقتل علي رضي الله عنه[7]، وقد رفض رفضا قاطعا

---

[1] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج 7 ، ص523 ، و الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، مرجع سابق ، ص 215.

[2] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، مرجع سابق ، ج5 ، ص535. والطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، المرجع السابق،ج 7 ، ص555.

[3] جلال الدين السيوطي ، تايخ الخلفاء ، مرجع سابق ، 254.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] من بين ما ذكرت حورية عبده سلام،مخطوطة العصامي ، سمط النجوم الغوالي ، الحرم المكي رقم 22 ، ورقة 45 ، ومخطوطة عبد القادر الفاكهي ، عقود اللطائف في مجالس الطائف ، الحرم المكي م 22، ورقة 35 ، والأربلي في خلاصة الذهب المسبوك ، ص77.

[6] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج 7 ، ص571.

[7] مناقب المكي ،ج2 ، ص83.

تولي القضاء ، حيث يذكر ابن خلكان أنه وقع حوار بين أبي حنيفة وأبي جعفر المنصور في هذه المسألة فقال له أبو حنيفة: لو اتجه الحكم عليك ثم تهددني أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق و لك حاشية تحتاج إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك ، فقال له المنصور: كذبت ، فرد عليه أبو حنيفة قائلا: قد حكمت علي من نفسك ، كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو كذاب[1].

المطلب الثاني : تأسيس الدولة وأهم خلفاء بني العباس

1 تأسيس الدولة

الذي يقرأ ما كتبه السيوطي بعين المتفحص للأحداث يتبين له أن الخلافة العباسية قامت على شقين: الشق الأول هم أئمة أهل البيت، أما الشق الثاني فهم شيعة بني العباس من الموالي وسكان الأمصار.

فأبو مسلم الخراساني الذي ذكرناه تقول عنه المصادر التاريخية أنه هو من مهد الحكم لبني العباس، بل ويصفه المحقق لتاريخ الخلفاء ، بأنه هو المؤسس الميداني للدولة العباسية وأحد كبار القادة [2]، فقد اتصل بإبراهيم بن الإمام محمد فأرسله إلى خراسان داعية فأقام بها واستمال أهلها ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور، فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بإمارتها، فخطب باسم السفاح العباسي، ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد، ففر إلى مصر ومات هناك، فزالت الدولة الأموية سنة 132 للهجرة، واتجه أبو العباس إلى المسجد الجامع بالكوفة فبايعه الناس ، وارتقى المنبر ، واشرأبت له الأعناق ، وأصغت له الآذان فإذا هو يحتج بالقرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين[3].

وحين خلفه أخوه المنصور رأى من أبي مسلم ما أخافه ، أن يطمع بالملك ، وكانت بينهما ضغينة، فقتله في مكان يسمى رومة المدائن سنة 137 للهجرة ، وعليه فإننا نعتقد أن بني العباس قد خانوا كل

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، دط ، دت ، ج5 ،407.

[2] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، أنظر كلام المحقق على الهامش ، ص 250.

[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 13.

من وقف إلى جانبهم وآزرهم ، خاصة أئمة أهل البيت الذين وظفوهم حتى صارت الخلافة إليهم ، ثم أداروا إليهم ظهورهم وسيوفهم ، وأبو مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم[1].

ومن هنا يتبين أن الخلافة لم تقم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، إلا على السيف ، فكل من يحكم رقاب الناس ثم يظهر فساده، يأتيه من يخرج عليه بالسيف. وأما قضية الحمية لأهل البيت ومشايعتهم فهي مجرد مطية اتخذها الطامعون في الملك لتأليف العامة حولهم، وعلى كل فإن الذي جاء بعده لم يكن ليصفو له الجو حتى يستعمل السيف كسابقيه.

بعد السفاح جاء المنصور الذي كنى نفسه بأبي جعفر ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الذي ولد سنة خمس وتسعين ، وولي الخلافة بعهد من أخيه [2]، ويكفي أن نذكر عنه أنه أول ما تولى الخلافة سنة سبع وثلاثين ومائة ، قام بقتل أبي مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد خلافتهم. بل ولم يتوقف عند هذا الحد فقد فرق أبناء الأسرة الواحدة وزرع الفتنة ، وآذى العلماء. يقول السيوطي: **وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، وكانوا قبل شيئا واحدا، وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك** [3].

2 أهم خلفاء بني العباس

تولى الخلافة من بني العباس سبعة وثلاثون خليفة في العراق ، وخمس عشرة خليفة في مصر فبالإضافة إلى كل من أبي العباس السفاح[4] ، وأبي جعفر المنصور[5]، قام على رأس مؤسسة الخلافة من بني العباس:

- المهدي أبو عبد الله بن محمد بن المنصور
- الهادي أبو محمد موس بن المهدي
- الرشيد هارون أبو جعفر

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 253.
[2] المرجع نفسه ، ص 252.
[3] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص254.
[4] المرجع نفسه ، ص 249.
[5] المرجع نفسه ، ص 252.

– أبناء الرشيد: الأمين محمد ، أبو عبد الله ، والمأمون عبد الله أبو العباس ، والمعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، وهو الذي أدخل الأتراك.

هذا و قد جمع السيوطي في قصيدة له جميع أسماء الخلفاء ، ذكر فيها أهم مناقبهم ، وكيفيات مصرعهم منها قوله[1]:

ثم ابن الواثق المالي الورى رعبا وفي ثلاثين من ثنتين قد غبرا

وذو التوكل ما أزكاه من خلف ومظهر السنة الغراء إذ نصرا

في عام سبع يليها أربعون قضى قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا

فلم يقم من بعده إلا اليسير كما قد سنه الله فيمن بعضه غدرا

والمستعين ، وفي عام اثنتين تلي خمسين خلع وقتل جاءه زمرا

المطلب الثالث: الخلفاء الذين تأثروا بالاعتزال

بدأت علاقة المعتزلة بالأسرة العباسية منذ أيام المنصور كما ذكرنا سابقا لكن اجتمع ثلاثة خلفاء على اعتناق مذهب الاعتزال ودعوا إليه ، وجعلوه المذهب الرسمي للدولة ، وهم المأمون والمعتصم والواثق

1 المأمون بن هارون الرشيد

هو عبد الله أبو العباس بن هارون الرشيد ، ولد سنة سبعين ومائة للهجرة في ليلة الجمعة لخمس عشرة خلت من ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الخليفة الهادي واستخلف أبوه الرشيد، وعن الليلة التي ولد فيها قال الصولي هذه الليلة ولد فيها المأمون [2]، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام فيها خليفة وولد فيها خليفة إلا هذه الليلة [3].

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص473.

[2] المرجع نفسه ، ص293.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

تولى المأمون الخلافة بعد أن قتل أخاه الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة[1] ، وعمل على قلب موازين الفكر في البلاد الإسلامية حيث حارب أهل السنة ودعا إلى الأخذ بآراء الشيعة ، ثم عدل عنهم بعد ذلك وتحول إلى الاعتزال ، وقرب من مجلسه علماءهم وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن[2].

وقد أخذ موقف الدولة في عصر المأمون منعرجا خطيرا حيث من الجانب العقدي المتعلق بالتدين على مستوى الفرد والدولة ، حيث أعلن المأمون الاعتزال كمذهب رسمي . يقول مصطفى شاكر: أعلن المأمون تبني الدولة رسميا للمبدأ الاعتزالي في خلق القرآن .. حتى أضيف القول إلى الشهادة بالوحدانية (لا إلاه إلا الله صاحب القرآن المخلوق) ، وعزل من لا يقول بذلك من القضاة وأهين[3] ، ثم علق على هذا الموقف بقوله: " **لأول مرة يتدخل خليفة المسلمين في أمر العقيدة هذا التدخل الأساسي العنيف ، ولأول مرة يصدر أمر من أمير المؤمنين باعتناق فكرة معينة واعتبارها مذهب الدولة الرسمي الذي يعاقب مخالفوه**" [4].

ويكفي أن نستدل على ما نذهب إليه بقول فهمي جدعان: الخليفة القوام على الدين المنوط به تنفيذ الشريعة قد تبنى مذهب المعتزلة وجعله المذهب الرسمي لدولة الخلافة[5].

2 المعتصم بالله

هو أبو إسحاق ، محمد بن الرشيد ، بويع له بالخلافة بعد المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين لم تتوقف مواقف الدولة الرسمية من مذهب الاعتزال عند المأمون ، بل تابع المعتصم وسار على نهج المأمون في الالتزام بمذهب الاعتزال وامتحان الناس[6].

يقول عنه السيوطي : **سلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب إلى البلاد بذلك ، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، وقاسى الناس منه مشقة في ذلك ، وقتل عليه خلقا من العلماء**[1].

---

[1] المرجع نفسه ، ص294

[2] المرجع نفسه ، ص295.

[3] مصطفى شاكر ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دط ، دت ، ج1 ، ص412.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] فهمي جدعان ، بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام ، ص 59.

[6] المرجع نفسه ، ص60.

3 الواثق بالله

الواثق بالله هارون ، أبو جعفر- وقيل أبو القاسم - بن المعتصم بن الرشيد ، ولي الخلافة بعد موت والده في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائة[2] ، **وكانت سياسة الواثق استمرار لسياسة عمه وأبيه فكان يحب الاعتزال واقتفى أثر عمه في الاعتزال وحاول نشر مبادئه**[3].

المطلب الرابع: الخلفاء الذين حاربوا الاعتزال

1 المتوكل

المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، بويع بالخلافة في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق ، فأظهر الميل إلى أهل السنة ونصر أهلها[4] ، وفي هذا يقول المسعودي: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر و المباحثة في الجدال ، والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون ، وأمر الناس بالتسليم والتقليد ، وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة الجماعة[5].

وبهذا أعاد الاعتبار للاتجاه السني وأقصى المعتزلة من الحياة الدينية عكس سابقه المعتصم الذي كان معتزلي المذهب ، والذي شجعهم وانتصر لهم في خلافهم مع أحمد بن حنبل حول مسألة خلق القرآن[6].

ويعد الخليفة المتوكل أول من قضى على فتنة المعتزلة بعد أن أقام المأمون صرحا لها ، **فقد أعلن المتوكل سنة 234 للهجرة إبطال القول بخلق القرآن وأزال المحنة بصفة رسمية ، وأقصى المعتزلة عن المراكز الهامة في الدولة ، وقرّب المحدّثين ، وطارد علماء الاعتزال ، ففرّ جلهم إلى المناطق النائية صحبة دعاتهم للترويج لأفكارهم بعيدا عن مركز الخلافة**[7].

كما أنه عمل على تقريب العلويين ورد إلى آل الحسين فدك فقال المهلبي[8] في ذلك:

---

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص317.

[2] المرجع نفسه ، ص 321.

[3] فهمي جدعان ، المرجع السابق، ص60.

[4] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص326.

[5] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج4 ، ص71.

[6] زاير أبو هداج ، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط – فلسفة السلطة وحركة التاريخ- ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2012- 2013م ، ص51.

[7] بلقاسم غالي، أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية ، دار التركي للنشر، المطابع الموحدة، تونس،1989، ص 38.

[8] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص 335.

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا

ذكر السيوطي أنه لما احتضر قال: يا أمّاه ذهبت مني الدنيا والآخرة عاجلت أبي فعوجلت[1]. وفي كلامه هذا دليل على أنه مدبر قتل أبيه.

2 المهتدي بالله

الخليفة الصالح محمد ، أبو إسحاق – وقيل أبو عبد الله – بن الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين[2].

قال عنه جعفر بن عبد الواحد: ذاكرت المهتدي بشيء فقلت له: كان أحمد بن حنبل يقول به ولكنه كان يخالف – أشير إلى ما مضى من آبائه فقال: **رحم الله أحمد بن حنبل. والله لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه**[3] ، وفي هذا القول دليل على نبذه لحكم أبيه وسيرته ، وميله إلى أهل السنة وتقريبهم.

ولما استفحل أمر الأتراك قام في وجههم وأراد أن يبسط العدل والأمن في الرعية ، فثاروا عليه وأجمعوا على قتله وساروا إليه ، فقاتل عن المهتدي المغاربة والفراعنة والآشروسية[4] ، ولما ثارت الأتراك عليه ثار العوام وكتبوا رقاعا وألقوها في المساجد جاء فيها: يا معشر المسلمين ، ادعوا لخليفتكم العدل الرضا المضاهي لعمر بن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه[5].

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[2] المرجع نفسه ، ص 339.
[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[4] المسعودي ، مروج الذهب ، مرجع سابق ، ج4 ، ص99.
[5] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ، ص240.

المبحث الرابع: حركات الخروج والدول التي لم تخضع للخلافة أو انفصلت عنها في المغرب الإسلامي

إذا كانت مرحلة الحكم الأموي قد تميزت بالصراع على السلطة بين أبناء العمومة ، وخروج عبد الملك بن مروان على السلطة الشرعية لعبد الله بن الزبير، فإن المرحلة العباسية قد أخذت منعرجا آخر، فهي لم تشمل جميع البلاد الإسلامية من جهة ، كما تميزت جهتها الغربية خاصة بانفصال بعض الدول عن السلطة الأم في بغداد ، وقد قام الدكتور ياسر الخزاعلة ببحث حول الدول المستقلة عن الخلافة العباسية ذكر جمع فيه جميع الدول التي انفصلت في المغرب[1] .

وإن كنا نرجع أسباب الانفصال إلى سببين رئيسيين: أولاهما انشغال الخلافة العباسية بمشاكل المشرق، أما الثاني فهو بعد البلاد المغربية عن مقر الخلافة في بغداد ، وهو الأمر الذي مهد لتعشيش الفرق وتكوينها لدول وإمارات مستقلة بعيدا عن مقر الخلافة كما ذكرنا.

نقف في هذا المبحث على أربعة نماذج في الحكم الذي خرج عن الدولة العباسية ، حيث سنتناول في المطلب الأول الدولة الأموية في بلاد الأندلس ، وفي المطلب الثاني دولة الرستمية، ليكون المطلب الثالث لدولة الأغالبة في القيروان ، أما المطلب الرابع فسنخصصه للحديث عن الدولة الصفرية ليأتي الدور في المطلب الأخير على دولة الأدارسة .

المطلب الأول: الدولة الأموية في الأندلس وعلاقتها ببني العباس

1 تأسيس الدولة

لما استقر أمر الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذهبوا في كل وجه أفلت عبد الرحمان بن معاوية الأموي – الداخل – وقصد المغرب فاجتاز القيروان وبها عبد الرحمان بن حبيب فارتاب به وعزم على قتله فنجا الأموي إلى الأندلس[2].

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائة استولى على جزيرة الأندلس وانتزعها من يد أميرها يوسف بن عبد الرحمان الفهري ولقبه الخليفة العباسي بصقر قريش لأنه قطع البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا منفردا[1].

---

[1] ياسر طالب الخزاعلة ، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين ، دار الخليج للصحافة والنشر ، الأردن ،ط2 ، 2017م.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، دط ،1418هـ - 1997م ، ص175.

2 علاقتها بالخلافة العباسية

تميزت العلاقة بين الدولة الأموية في الأندلس بموقفين : الموقف الأول هو الدعوة للعباسيين على المنابر وعدم الخروج عليهم ، وهو الأمر الذي سار عليه عبد الرحمان الداخل فقد كان يدعو للمنصور العباسي وهي الفترة التي لم يكتمل فيها توحيد الدولة [2].

أما الموقف الثاني فيأتي بعد أن استطاع عبد الرحمان ترسيخ أسس الدولة ووفد عليه جماعة من أهل بيته حيث قطع دعوته للمنصور ومهد الدولة بالأندلس وخرجت يومئذ عن صاحب القيروان وعن نظر الخليفة بالمشرق[3].

وفي زمن هشام بن عبد الرحمان الداخل توحدت أركان الحكم ، فسار على نهج والده ، **واستطاع تثبيت فكرة توارث العرش على أساس رغبة الأمير الحاكم هي القاعدة ، وأعلى مذهب مالك بن أنس وجعله هو السائد في الأندلس كمذهب وحيد**[4] ، هو ما يدل في نظرنا على أن توجه الدولة كان سنيا خالصا.

أما الخروج الرسمي عن الخلافة العباسية على يد عبد الرحمان الثالث **فهو أول من اتخذ لقب أمير المؤمنين في الأندلس ، ودعوا له في المنابر بلقب الناصر لدين الله وأعلن الخلافة سنة (312هـ)**[5].

---

[1] محمد عبد الحميد الحمد ، الطريق من دمشق إلى قرطبة استعادة تاريخ ضائع ، الهيئة السورية العامة للكتاب ، دط ، دت ، ص111.

[2] أبو العباس الناصري ، الإستقصا ، مرجع سابق ، ص177.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة ، ص178.

[4] محمد عبد الحميد الحمد ،الطريق من دمشق إلى قرطبة ، مرجع سابق ، ص113.

[5] المرجع نفسه ، ص117.

المطلب الثاني: الدولة المدرارية مذهبها العقدي وموقف الخلافة العباسية منها

1 نشأة دولة بني مدرار

اقتطع المدراريون إقليم تافيلالت عن سلطان العباسيين و أنشئوا دولة الخوارج سنة 140 للهجرة، ولم يستطع ولاة الخلافة في المغرب استرداد هذا الإقليم ، واستمرت دولتهم حتى أواخر القرن الثالث الهجري[1].

يقول أبو العباس الناصري: لما حصل الاضطراب بالمغرب اجتمعت الصفرية من مكناسة بناحية المغرب الأقصى فنقضوا الطاعة من العرب وولوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة من الهجرة ، ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم واقتطعوا سجلماسة وأعمالها عن نظر الولاة بالقيروان ، ومن هذا الاجتماع نشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة[2].

وقد ارتبطت هذه النشأة بما كان يدور من الأحداث والمستجدات ، ففي ظل الاضطرابات التي حصلت والحروب بين أبي الخطاب وعبد الملك بن أبي الجعد اليفرني ، اجتمعت الخوارج الصفرية في مكناسة في المغرب فنقضوا طاعة العرب ، وولوا عليهم عيسى بن يزيد بن الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج[3].

و يعتبر اليسع بن أبي القاسم بن سمعون هو المؤسس الحقيقي لدولة المدراريين وتولى الأمر من بعده ابنه مدرار[4].

وقد فصل محمود إسماعيل في قضية نشأة الدولة المدرارية ومؤسسها ومكانها بقوله: **كان الخوارج الصفرية سباقين إلى إنشاء دولتهم في سلجماسة سنة (140 هـ)**[5]، وكان زعيمهم أبو القاسم سمكو

---

[1] أبو عبيد البكري ، المسالك والممالك ،تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، تر سعد غراب ، دار الغرب الإسلامي والدار العربية للكتاب ، درمك ، دط ، 1992 م ، ج2 ، ص837.

[2] أبو العباس الناصري ،الإستقصا ، مرجع سابق ، ص180.

[3] ياسر طالب ،الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة بالمغرب ، مرجع سابق ، ص58.

[4] المرجع نفسه ، ص59.

[5] محمود إسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،رسالة دكتوراه ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1406 هـ – 1985م ، ص112.

على صلة بعكرمة منذ وصوله إلى القيروان ، وهو من أشهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الاطلاق[1].

2 مذهبها العقدي

كان الخلاف المذهبي بين الإمارتين الأغلبية والمدرارية يحول دون أدنى تقارب بينهما ، ولا غور فقد هادن بنو مدرار جيرانهم الرستميين كيما يتفرغوا لمواجهة الأغالبة عدوهم المشترك[2].

والمجزوم به عند جميع الباحثين أن المذهب العقدي لدولة بني مدرار هو مذهب الخوارج الصفرية، لأن الذي اختط مدينتهم هو عيسى بن يزيد الأسود الذي أصبح أميرا عليهم نحو خمس عشرة سنة[3].

وكان اعتناق المذهب الصفري تهمة تصم صاحبها بالمروق والعصيان والزندقة ، وتعرض الصفرية بوجه خاص لاضطهاد شديد بعد تولي سحنون القضاء في مدينة القيروان ، فقد حضر عليهم الصلاة في المسجد الجامع وبدد حلقاتهم[4].

3 موقف الخلافة العباسية منها

لما تولى أبو جعفر المنصور كتب إلى عبد الرحمان بن حبيب يدعوه إلى الطاعة والولاء للخلافة العباسية ، فأرسل إليه بهدية وكتب إليه : **إن إفريقية اليوم إسلامية كلها ، وقد انقطع منها السبي والمال، فلا تطلب المال مني**[5].

لم يرق هذا الرد للخليفة المنصور فأرسل يتوعد عبد الرحمان بن حبيب، لكن هذا الأخير كان متأكدا من أن الخليفة لن يقدر على فعل شيء ، فبدل أن يكون الإجراء من الخليفة فقد حدث العكس وأعلن عبد الرحمان خلع خليفته . يقول ابن عذارى: **قام عبد الرحمان بن حبيب بخلع الخليفة أبي جعفر**

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،المرجع السابق ص114.

[2] المرجع نفسه ، ص38

[3] ياسر طالب ، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة بالمغرب ، مرجع سابق ، ص58.

[4] ياسر طالب ، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة بالمغرب ، مرجع سابق ، ص63.

[5] أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 1434هـ - 2013 م ،ج1 ، ص67.

المنصور إذ قال في خطبته أما الناس: وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هاتين وقذفهما وهو على المنبر، وأمر بخلع أبي جعفر المنصور وعدم طاعته وأمر بتخزيق وخرق سواده وهو أول سواد لبس في إفريقية[1].

المطلب الثالث : الدولة الرستمية مذهبها العقدي وموقف العباسيين منها

1 قيام الدولة الرستمية

تنسب هذه الإمارة إلى عبد الرحمان بن رستم الفارسي الأباضي، وكان عبد الرحمان تابعا للزعيم الأباضي أبي الخطاب المتملك للقيروان على عهد أبي جعفر المنصور[2].

وعبد الرحمان بن رستم وهو الأمير المؤسس لهذه الدولة يعود أصله إلى فارس ، بويع بالإمارة والإماة بعد وفاة إمامهم أبي حاتم سنة 144 للهجرة[3].

وتكاد تجمع المصادر على أنه فارسي الأصل فالبكري يرفع نسبه إلى أكاسرة الفرس[4] ، وابن خلدون نسبه إلى أمير جيش الفرس في معركة القادسية حيث يقول: هو من ولد رستم أمير جيش القادسية[5]. وقد استبعد هذا النسب محمد عيسى الحريري معللا على قوله ببعد التاريخ بين معركة القادسية التي وقعت سنة (16هـ) ووفاة عبد الرحمان بن رستم سنة (171هـ)[6] ، إلا أننا نرى عكس ذلك تماما فابن خلدون لم يقل بأنه ابن رستم ؛ وإنما قال: هو من ولد رستم ، وعليه فقد تكون رواية ابن خلدون من أصح الروايات ، وتعضدها ورواية روايتي الطبري والسّمعاني الذين ذهبا إلى أن رستم هو ميمون بن عبد الوهاب بن رستم وهو من الفرس[7].

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى ، البيان المغرب، المرجع السابق ، ص 68.

[2] رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، مرجع سابق ، ص27.

[3] المرجع نفسه ، ص28.

[4] أبو عبيد البكري ، المسالك والممالك ، مرجع سابق ، ص73.

[5] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ج6 ، ص246.

[6] محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم ، الصفاة، ط3 ، 1408هـ – 1987م ، ص74.

[7] ابن جرير الطبري ، التاريخ ، مرجع سابق، ج4 ، ص294.

2 المذهب العقدي للدولة الرستمية

تتفق المصادر على أن مذهب الدولة الرستمية هو مذهب الخوارج ، وقد انعقدت آمال الخوارج على الدولة الرستمية في تاهارت لتكون ركيزة لدولة كبرى تشمل المغرب والمشرق على حد سواء ، ولهذا تفانى خوارج المشرق في دعم حكم الرستميين بإرسال الأموال وتقديم المساعدات إليهم[1].

وقد كان المذهب العقدي الرسمي للدولة الرستمية هو المذهب الأباضي ، ذلك أنه كانت معظم القبائل الأمازيغية آنئذ تدين بالمذهب الأباضي[2] .

3 موقف الخلافة العباسية منها

يعتبر العباسيون بلاد المغرب كلها ميراثا شرعيا تركه الأمويون لهم ، وعلى هذا نظروا إلى الرّستميين نظرة عداء وأصبحت هذه النظرة تسيطر على العلاقات بينهما.

و لم يكن هذا العداء نابع من كون الدولة الرستمية قد انشقت عن صف الدولة الأم فحسب ، فبالإضافة إلى هذا يوجد الخلاف التقليدي عقدي فالخلافة العباسية سنية والأباضية فرقة من الخوارج.

كما أن هناك جانب مهم تجدر بنا الإشارة إليه وهو كون هذه الدولة قامت على عصبية ، فهم أنشأوا الدولة إلا أنها لم تكن تخلو من تأثيرات العصبية إذ أن اختيار عبد الرحمان بن رستم بن بهرام الفارسي لمنصب الإمامة فيها جاء نتيجة لما كانوا يعرفونه عن نسبه وفضله ، فدخل – بهذا الاعتبار– في إطار النصاب الملكي لأنه منسوب إلى الأكاسرة[3].

---

[1] محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 76.

[2] بوزياني الدراجي ، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دط ، 2007م ، ص96.

[3] المرجع نفسه ، ص 98.

المطلب الرابع : دولة الأغالبة مذهبها وعلاقتها بالخلافة العباسية ودول الجوار

1 ظروف النشأة

تتبع محمود إسماعيل الظروف التي كانت تسود المنطقة الغربية من البلاد الإسلامية أيام العباسيين وتوصل إلى أن دولة الأغالبة قامت كرد فعل ضد أطماع دولة الأدارسة ، وذلك بتدبير من الخلفاء العباسيين ، فالخلافة العباسية لم يتعدى سلطانها الأصلي ولاية مصر، بينما كان سلطانهم شكليا على بلاد المغرب[1] ، ولعل الدليل الذي يمكن أن نسوقه هنا هو عدم تغيير الحكام العباسيين للولاة والقادة الذين تولوا إدارة شؤون بلاد المغرب أيام بني أمية ، ونستند في رأينا إلى قول ابن عذارى: **الخليفة السفاح اكتفى بمبايعة عبد الرحمان بن حبيب إياه وأقره على ولايته**[2].

كما أن المنصور لما ولي الأمر ، كتب إلى عبد الرحمان يدعوه إلى الطاعة كذلك ، فاستجاب له بشرط الاكتفاء بالدعاء له في الخطبة دون الالتزامات المالية ، **ولما كتب إليه المنصور يتوعده انشق عليه وخرج عن طاعته**[3].

وينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي – عربي من تميم – الذي أسهم في القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وكان الأغلب بن سالم من أصحاب أبي مسلم الخراساني[4].

وفي ظل قيام الدولة الإدريسية كان وتوسع أطمعها ، كان على الخلافة العباسية أن تلتمس حلا فلم تجد خيرا من تولية إبراهيم بن الأغلب[5].

ولما صار أمر الخلافة العباسية إلى هارون الرشيد كتب إليه إبراهيم بن الأغلب بن سالم وطلب منه الإمارة ، وشفع طلبه بأن يدفع أربعين ألف دينار سنويا على أن تكون له إمرة إفريقية ولولده من بعده ، فكتب له الرشيد بولاية عهد إفريقية في المحرم من عام 184 للهجرة[6]، وعليه فإننا نعتبر أن هارون

---

[1] محمود إسماعيل ، الأغالبة ، مرجع سابق ، ص 13.

[2] ابن عذارى ، البيان المعرب ، ج 2 ، ص63.

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا ، مرجع سابق ، ص172.

[4] المرجع نفسه ، ص19.

[5] محمود إسماعيل ، الأغالبة ، مرجع سابق ، ص11.

[6] المرجع نفسه ، ص25.

الرشيد قد ارتكب خطأ كبيرا وساهم بشكل أو بآخر في انفصال الإمارات المغربية عن الخلافة ، إذ أنه أغلق باب تعيين الولاة والأمراء على الخليفة وترك الأمر بيد أمير المغرب الذي يعين خليفته في الإمارة من أهله ، وبذلك صارت حكما ملكيا مصغرا داخل الحكم الملكي العام.

2 المذهب العقدي للدولة

يعد المذهب الخارجي الصفري المذهب الرئيسي لدولة الأغالبة ، لأنه أكثر المذاهب انتشارا ، وهو ما ذهب إليه محمود إسماعيل الذي يقول: أن دولتي المدراريين والبورغواطين[1] تأسستا انطلاقا من إيديولوجيا صفرية[2]، إلا أننا نرى عكس ذلك ، ونرجح أن يكون المذهب السّني هو المذهب الرسمي لدولة الأغالبة بالنظر إلى الدولة الفتية ، و تزعزع مذهب الاعتزال على يد الخليفة العباسي المتوكل.

ولسنا فقط من يقول بهذا الرأي ، بل هو ما ذهب إليه أبو هداج حيث يقول: على الرغم أن دولة الأغالبة قد خرجت عن الخلافة العباسية إلا انها نجحت في إدارة الصراعات المذهبية والعقيدية وفق مصالح دولتهم ، **وليس غريبا أن الهدف البعيد من استعانة القاضي سحنون – المالكي – بسليمان بن عمران – الحنفي – هو تقوية التيار السني بإنشاء تحالف بين الحنفية والمالكية لمواجهة خطر الاعتزال**[3].

3 علاقة الأغالبة بالخلافة العباسية ودول الجوار

قامت العلاقة بين الخلافة العباسية والإمارة الأغلبية على مبدأ الاستقلال الذاتي مع الولاء للخلافة فكان أصدقاء الخلافة هم أصدقاؤها ، وأعداء الخلافة هم أعداؤها[4].

---

[1] أسسها صالح البورغواطي الذي قال عنه ابن خلدون أنه كان من أهل العلم والخير ثم انسلخ عن آيات الله وادعى النبوة، وقال : فرض على أتباعه عشر صلوات ، وصيام رجب ، وأحل زواج النساء ، وجاءهم بقرآن من ثمانين سورة ، وادعى النبوة في المغرب الأقصى بمدينة تامسنا الواقعة بين سلا وآسفى،كما زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وكان ظهوره في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 127 للهجرة ، رحل إلى المشرق وقال لأتباعه سأعود بعد سبعة أمراء عليكم. أنظر أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا ،ج1 ، ص170 وما بعدها.

[2] محمود إسماعيل ، الأدارسة حقائق جديدة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1411هـ - 1991م ، ص45.

[3] زاير أبو هداج ، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط – فلسفة السلطة وحركة التاريخ- ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الإجتماعية ، قسم الفلسفة ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2012- 2013م، ص 51.

[4] محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص41.

وتجلى ذلك في حرص الأغالبة على الكيد للدولة الرستمية وإثارة المتاعب في وجه أئمتها ، وكانت تلك العلاقة تذكيها الاختلافات الدينية والمذهبية ، فالأغالبة كانوا سنة ومذهب مالك ساد دولتهم ، والمالكية أشد أرباب المذاهب بغضا للنحل المتطرفة ، بينما انتمى الرستميون إلى مذهب الخوارج الأباضية الذي يقول بتكفير مخالفيه[1].

المطلب الخامس: دولة الأدارسة مذهبها وموقفها من الخلافة العباسية

1 نشأة الدولة الإدريسية

بنا الأدارسة حقهم في الملك على أنهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحفاده وأقنعوا أهل المغرب بهذا الحق[2] ، ولم يكن تأسيس دولتهم حدثا عفويا ، بل كان تتويجا لنضال الشيعة الزيدية في الشرق ودعوتهم التي احتوت دعوة المعتزلة في المغرب ، إذ كانت الإيديولوجية الزيدية الاعتزالية قد اضطلعت بأمور الدعوة ، فإن قبيلة أوربة شكلت العصبية التي اتخذت طموحها مع أهداف الدعوة في إقامة دولة الأدارسة[3].

وأوجز رابح بونار ذكرهم وأفاد فقال: استقر الأدارسة في المغرب الأقصى منذ سنة (172) هـ ، وانتهى ملكهم على يد العبيديين أبناء عمومتهم ومخافيهم في العقيدة والاتجاه السياسي سنة (311 هـ) وعدد ملوكهم عشرة ، أشهرهم إدريس بن عبد الله الأكبر حكم بين (172 – 177هـ) وإدريس بن إدريس (177 – 213هـ) والحسن بن الحجام الذي سقطت في عهده دولتهم سنة (311هـ)[4].

2 المذهب العقدي للأدارسة

تلقب الأدارسة بالأئمة ولم يتلقبوا بالخلفاء ، لأنهم اعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة من غيره مع شرط أن الإمامة غير المعصومة والخلافة واحدة[5]، **وعلى هذا الأساس كان المذهب الرئيسي للدولة هو**

---

[1] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ،ج1 ، ص103.

[2] سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في بلاد المغرب العصر الذهبي 172- 223هـ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1، 1408هـ - 1987م ، ص115.

[3] محمود إسماعيل ،الأدارسة ، مرجع سابق ، ص64.

[4] رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، مرجع سابق ، ص35.

[5] سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ، ص115.

المذهب العلوي ، وتنعقد الإمامة عندهم من وجهين ، الأول هو اختيار أهل الحل والعقد وركزوا على شرط القرشية، وهي التي تم بها بيعة إدريس الأول والثاني ، والوجه الثاني هو العهد من الإمام إلى من يليه من بعده[1].

وعن مذهبهم العقدي يقول محمود إسماعيل: كانوا شيعة زيدية ، يحكمون حشدا من عناصر شتى ومذاهب متفرقة[2].

3 موقف الخلافة العباسية منها

بالعودة إلى موقف الخلفاء العباسيين من أهل البيت، وبحكم أن المؤسس للدولة منهم فمن الواضح أن تكون العلاقة بينهما علاقة عداوة وتنافر، ويكفينا دليلا على ذلك أن الكثير من الباحثين يعتبرون قيام دولة الأغالبة كان كرد فعل لقيام دولة الأدارسة.

وقد أرجع محمود إسماعيل أسباب العداوة إلى عاملين : أولهما طموح العباسيين إلى إخضاع كافة العالم الإسلامي وتحقيق وحجة دار الإسلام باعتبارهم الخلفاء الشرعيين خصوصا أن الخلافة – نظريا وفقهيا – لا يمكن أن تتجزأ وهذا ما يفسر عدم إقدام أمراء الدول المستقلة على تنصيب أنفسهم خلفاء في الشرق والغرب على السواء ، أما العامل الثاني فهو أن الأدارسة الذين نجحوا في تأسيس دولتهم في المغرب الأقصى راودتهم فكرة الانتقام لما حل بالعلويين من مجازر في الشرق على أيدي أبناء عمومتهم ، هذا فضلا عن تحقيق أطماعهم في الخلافة التي اغتصبها بنو العباس برغم من جهود العلويين التي أسفرت عن سقوط الخلافة الأموية سنة 132 للهجرة[3].

ويعتبر قيام دولة الأدارسة نهاية للنفوذ العباسي في المغرب ، وهو الأمر الذي دفع بالرشيد على إلى الاعتراف بدولة الأغالبة[4].

كما يتجلى هذا الموقف بتدبير هارون الرشيد أمر قتل إدريس ، حيث تذكر الروايات أنه بازدياد خطر الأدارسة بعد فتحهم تلمسان ، **عول الرشيد على قتل إدريس بن عبد الله واختار لهذه المهمة**

---

[1] المرجع نفسه ، ص116.

[2] محمود إسماعيل ، الأدارسة ، مرجع سابق ، ص 68.

[3] المرجع نفسه ، ص 104.

[4] ابن عذارى ، البيان المغرب ، مرجع سابق ، ج1 ، ص67.

– بمساعدة إبراهيم بن الأغلب – سليمان بن جرير المعروف بالشّماخ فادعى حب آل البيت وظل يتقرب من إدريس حتى خلى به يوما فدس له السم[1].

وبعد نهاية حكم الرشيد وبنيه افترقت الدولة الإسلامية ودخلت منعرجا آخر تجلى في نظام حكم المماليك وهو في نظرنا بعيد كل البعد عن الأنظمة السابقة حيث لم يبقى للخلفاء سلطة على الرعية وصار اسم الخليفة لقب مجرد من معناه إلى أن قامت الإمبراطورية العثمانية.

[1] محمود إسماعيل ، الأغالبة ، مرجع سابق ، ص110.

خلاصة

من خلال عرضنا لأهم المحطات التي مرت بها الخلافة الإسلامية بعد مرحلة الراشدين ، وأهم الأحداث التاريخية ، والمواقف العقدية التي صحبتها تبين لنا أن نظام الحكم قد تغير جذريا ، وخرج عن الأصول التي أرساها الخلفاء الراشدون ، وأن المؤثرات التي عملت على تغييره لم تكن عقدية في بادئ الأمر، وإنما كانت عصبية ، وحتى عند النظر من الجانب السياسي الشرعي فلم تكن تحمل معاني القيادة المثالية للأمة، وقد تم هذا التغير بفعل اتصال ملوك بني أمية بالأجناس والحضارات ، ومحاولتهم حصر الخلافة وتحصينها في البيت القرشي الأموي ؛ إلا أن جذور الفرق و الحركات المناوئة للخلافة انطلقت من فكرة دينية عقدية خالصة ، والدليل على ذلك إصدار جل من ثار على البيتين الأموي أو العباسي حكم التكفير على الملوك ولم يستثنى من هذا الحكم إلاّ عدد قليل منهم كأمثال عمر بن عبد العزيز الذي استطاع أن يعيد مجد جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كما أن تحويل نظام الحكم الإسلامي من الشورى والاختيار في أوساط الأمة إلى نظام الملك والاستبداد داخل الأسرة الواحدة ، قد ساهم في امتداد العنف والأزمات وابتعد عن أصوله القرآنية والسنية ، لذلك رأى بعض أبناء الصحابة أحقيتهم في تقلد أمر المسلمين ، ووجدوا تأييدا وقبولا من طرف عامة الناس ، كما هو الأمر بالنسبة للحسين بن علي رضي الله عنهما الذي نكل به بنو أمية وقضوا عليه و على من معه في كربلاء ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، والذي يعد في الخليفة الشرعي للمسلمين بعد يزيد بن معاوية إذا نظرنا إلى شروط وكيفية اختيار الحاكم التي وضعها أهل السنة.

وبالتالي ففكرة الخروج عن صف الأمة قد جسدها الأمويون مرّتين في صدر الإسلام ، الأولى على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، والثانية على يد عبد الملك بن مروان ، حيث قدمت المصلحة الشخصية ومصلحة العائلة على مصالح الأمة .

ولم تشذ العائلة العباسية عن القواعد التي وضعتها العائلة الأموية، حيث خرجت عليها بالسيف والقوة ، ولما آل الأمر إليهم – أي العباسيين – بنفس الطريقة التي حكم بها أسلافهم من بني أمية ، وعليه بالرغم من تغير الزمان والمكان فإن الأحداث التاريخية والواقع لم يتغير ، فقد أباد بنو العباس الأمويين ،

ولم يبق منهم إلا بعض من فر إلى بلاد المغرب والأندلس ، وغيروا مبادئ الحكم الإسلامي حسب ما يخدم مصالحهم.

وقد ساهمت هذه الأحداث في تطور فكر الفرق ، فالخوارج أخذوا الفكرة الدينية القائمة على تطبيق النصوص الشريعة على ظاهرها على الحكام على مر العصور، واستغل رجال المعتزلة هذه الأوضاع فتقربوا من بعض حكام بني العباس فصارت لهم اليد الطولى في الحكم ، وفرضوا مبادئهم العقدية على مؤسسة الخلافة ، وأجبروا الناس على اعتناق مذهبهم.

أما بلاد المغرب فقد تغير فيها نظام الحكم جذريا بعد أن أرسى فيها الإسلام قواعده ، حيث صارت هذه البلاد ملجأ للفارين من اضطهاد الحكام ، أو الحاملين لطموحاتهم ، سواء ممن كانت له يد في الحكم أو غير ذلك ، وخير دليل على ذلك ما قام به عبد الرحمان الداخل ، الذي استطاع أن يبقي حكم الأسرة الأموية في الأندلس ، وأعطي الولاء للعباسيين في بادئ الأمر ، إلى أن وصل حكم الإمارة إلى عبد الرحمان الثالث الذي انفصل تماما عن الحكم العباسي ، وهو ما فتح المجال لانتشار أفكار الفرق بين سكانه ، وتشكلت مجموعة من الإمارات انفصلت عن مركز الخلافة العباسية ، واعتنقت كل إمارة مذهبا عقديا معينا ، وبذلك تعتبر بلاد المغرب المنطقة الوحيدة في بلاد الإسلام التي استطاع فيها كل تيار أن يقيم فيها خلافة إسلامية مستقلة على مذهبه.

الفصل الثالث:

أصول الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام ومواقفها من الخلافة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد أن تحول نظام الحكم الإسلامي بشكل كلي إلى نظام ملكي ، واستحوذت عليه أسر محددة ، تحركت الطبقة الفكرية وتهافتت إليها الرعية ، حيث رأت بأن الشريعة الإسلامية قد غيّبت بشكل أو بآخر وأن الحق في تعيين القائد الأعلى في البلاد الإسلامية تتصرف فيه طبقة معينة من الناس ، صار من الضروري أن تكون للرعية يد في التغيير ، ولا شك أن بوادر التغيير تأتي أولا من طرف المنظرين الذين لهم رؤى محددة حول المسألة ، وفعلا فقد تنظمت الفرق الإسلامية وصارت تنظر إلى نظام الحكم من زوايا عقدية وتؤثر فيه .

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف على أصول الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام ومواقفها من الخلافة الإسلامية ، ولذلك وزعنا العمل فيه على أهم الفرق الأولى التي ظهرت في صدر الإسلام وكان لها تأثير مباشر على الخلافة ، أو بالأحرى كانت لها زاوية عقدية تنظر منها في مسألة الخلافة ، حيث سنتناول فيه بالدراسة أصول كل من الخوارج ، والشيعة ، المعتزلة ؛ هذه الفرق التي كانت لها آراؤها ومواقفها ودورها ، بل وقد صار لكل فرقة منها أصولها العقدية التي تميزها عن غيرها ما جعلها تستمر إلى اليوم . لنختم هذا الفصل بالوقوف على فرقة أهل السنة ، التي وإن كانت مواقفها متقدمة ؛ إلاّ أن ظهور أقطابها الثلاثة كفرق متميزة تأخر إلى عصر الخلافة العباسية رغم ظهور المصطلح في زمن مبكر يعود إلى أيام الجماعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الخوارج

ظهرت فرقة الخوارج في صدر الإسلام ويعدها الباحثون في الفرق أولى الفرق ظهورا حيث تبلورت كفرقة مباشرة بعد حادثة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنها – وإن كنا نرى أن فرقة الشيعة هي أقدم منها حضورا في الساحة الإسلامية – وكانت لهذه الفرقة آراؤها العقدية الخاصة حول مخالفيها من المسلمين كما كان لها موقفها الخاص من الخلافة الراشدة على وجه الخصوص ومن مسألة الخلافة الإسلامية بشكل عام ، رغم أن مبادئهم بنوها على أسس إسلامية خالصة إلا أن إطلاقهم العنان للعقل وحشره في ما لا طاقة له به ، وكذا لي النص الديني وفهمه وفق هواهم جعلهم يقعون في ما لا يحمد عقباه ، فمن مبادئ الخوارج عقيدة الولاء والبراء ، والحب والبغض في الله حيث التزم بها الخوارج وبنوا عليها فكرهم ومواقفهم تجاه الخلافة وكان لها الأثر السلبي إلى اليوم، لذلك نرى بأن الباحث في مسألة الخلافة لابد له من الوقوف عند التعريف بهم ومعرفة أصولهم وأصول اعتقادهم في هذه المسألة ، وذلك ما سنتناوله بإذن الله في هذا المبحث.

المطلب الأول : الخوارج تعريفهم وأصول نشأتهم

يمكن معرفة الخوارج، وأصول نشأتهم من خلال الوقوف على بعض التعريفات التي ساقها بعض المؤرخين في الفرق التي سيقت على اعتبارات عدة منها: الاعتبار اللغوي لهذا المصطلح ومنها الاعتبار التاريخي والواقعي إذ أن العديد ممن عرفهم إما ربطهم بأحداث الفتنة التي مرت بنا ، أو بالمواقف العقدية تجاه الخلفاء الراشدين ، أو ببعض النصوص ، فمن هم الخوارج؟ وكيف كانت نشأتهم الأولى وما هي أصولهم ؟.

1 تعريفهم

1– 1 لغة

الخوارج في اللغة جمع خارج وخارجي وهو مشتق من الخروج ، وله عدة معان منها ما اشتق من القرآن الكريم وبخاصة الآيات التي ذكرت فيها لفظة الخروج وما يشتق منها ومن ذلك :

قولهم بأن الخروج يعني يوم القيامة : وهو اشتقاق من قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1]

ويأتي بمعنى البعث يوم القيامة . قَالَ تَعَالَى:﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ ﴾ [2] كما يطلق الخروج ويراد به نقيض الدخول.

---

[1] سورة ق ، الآية 42.

[2] سورة القمر ، الآية7.

ويأتي بمعنى يوم العيد ، كما يأتي الخروج بمعنى القعود عكس الخروج إلى الحرب والجهاد ، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1]

وقد قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا[2].

كما يأتي بمعنى الهجرة كما في قوله تعالى﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [3]

أما جمع خارجي فهو خوارج ، قال صاحب المصباح المنير : ويقال : الدواخل والخوارج ما خرج من أشكال البناء مخالفا لأشكال ناحيته وذلك تحسين وتزيين[4]، يعرفهم ابن منظور والفيروز والأزهري بنفس التعريف حيث يربطونهم بالمعنى الذي نصبوا إليه يقول الأزهري: الخوارج هم قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة[5]، وقال الزبيدي : وقيل الخارجي هو من فارق جنسه ونظائره ، قال ابن جني في سر الصناعة : ثم قال : وبهذا يتم حسن قول البنية :

خذو حذركم من خارجي غداره فقد جاء زحفا في كتيبته الخضراء[6]

والخارجي مشتق من الخروج قد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى المجاهد في سبيل الله حيث قال : (**أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج**) [7].

وقال ابن حجر: الخوارج جمع خارجة أي طائفة ، وهم قوم مبتدعون، سموا بذلك لخروجهم عن الدين ، وخروجهم عن خيار المسلمين[8] ، وهو التعريف الأنسب لبحثنا بالإضافة إلى تعريف الأزهري الذي ذكرنا.

1-2 الخوارج في الاصطلاح

يربط مؤلفو الفرق هذا المصطلح بمسألة الخروج عن الإمام أو الخليفة سواء كان الخروج مطلقا أو عن إمام معين فيعرفهم الشهرستاني بقوله: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى

---

[1] سورة التوبة ، الآية 83.

[2] ابن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ج4 ،ص 481.

[3] سورة النساء ، الآية ،100.

[4] المصباح المنير، ج1 ، ص179.

[5] الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج7 ، ص50، وابن منظور، لسان العرب ،ج 1،ص 808 ، والفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج 1، ص 192.

[6] تاج العروس ،ج 2، ص31 ، ومعجم متن اللغة ، ص 248 ، والقاموس المحيط ،ج1 ،ص 191.

[7] صحيح مسلم ،ج6 ، ص42، وسنن أبي داود ج2 ، ص12.

[8] ابن حجر العسقلاني ، هدي الساري ، ص459.

خارجيا سواء كان ذلك الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان أو الأئمة في كل زمان[1] ، ويرى ابن حزم أن كلمة خارجي وهذا الاسم لا يقتصر على من خرج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإنما يشمل كل من خرج على علي و شارك الخوارج في معتقدهم حتى وإن كان في غير زمان علي رضي الله عنه ، ومما ذكر في كتابه الفصل في الملل والنحل قوله: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر، و القول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار ، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، و إن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فليس خارجيا[2].

وإذا كان الإمام مالك قد فرق بين الخوارج والمحاربة فإن ابن تيمية جمعهم جميعا في تعريفه لهم حيث يقول: الخوارج على الأمة إما من العداة الذين غرضهم الأموال كقطاع الطرق ونحوهم ، أو غرضهم الرئاسة ، كمن يقتل أهل مصر الذين هم تحت حكم غيره مطلقا ، وإن لم يكونوا مقاتلة ، وإما الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقا كالحرورية الذين قاتلهم علي رضي الله عنه.[3]

2 أصول الخوارج

من خلال ما سبق ومن خلال تتبع بعض النصوص فإن النواة الأولى للخوارج ظهرت في زمن الرسول الكريم حين دخل عليه رجل يقال له ذي الخويصرة، فقد روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما، إذ أتاه ذي الخويصرة وهو رجل من بني تميم .فقال يا رسول الله . اعدل ، فقال صلى الله عليه وسلم : (**ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر: يا رسول الله .إيذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال** صلى الله عليه وسلم: **دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**)[4].كما روي عن أبي سعيد أيضا قال : بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبية في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل بين أربعة نفر... فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل كث اللحية ،مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال : اتق الله يا محمد.، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**فمن**

[1] أبو الحسن الاشعري،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1، ص207.

[2] ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق ، ج2، ص113.

[3] أحمد عبد الحليم بن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تح ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، دط ، دت ، م1 ، ص223.

[4] البخاري، صحيح البخاري ج2 ، ح ر281 ، ومسلم ، صحيح مسلم ،ج 2 ، ح ر744- 745 .

يطع الله إن عصيته ، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟). قال .ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إن من ضئضئ هذا يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، هم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)**[1].

ويرجع الكثير من الباحثين سبب نشأة الخوارج إلى أيام الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ومسألة التحكيم حيث رفضوا رفضا مطلقا تحكيم الرجال واختيار حكمين لإخماد نار الحرب التي تكاد تشتعل بين الطرفين حيث أنهم قالوا:" لا حكم إلا لله " واعتبروا كل من رضي بذلك منشقا من الدين واتهموه بالكفر؛ يقول الأشعري في تعريفهم: أن السبب الذي سموا به خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم[2].

وتعد هذه الحادثة وانحياز جمع غفير من المقاتلين إلى القائل بهذا القول النواة الأولى للخوارج ، والتي سميت من طرف باحثي الفرق باسم الخوارج. لأنهم خرجوا عن صف علي . رضي الله عنه . ثم أضافوا إلى ذلك البراءة من عثمان وأهله وقتالهم ،ومنه عرفهم الحافظ بن حجر بقوله: الخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم ، وتبرءوا من عثمان وذريته وقاتلوهم ،فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[3] ، ومنها تفرقت باقي الفرق الأخرى التي أوصلها البغدادي إلى عشرين فرقة منها خمسة أساسية والأخرى تفرعت عنها وما كثرة فرقهم إلا دليلا على عدم استقامة مذهبهم[4].

ويتفق البغدادي مع الأشعري في كون فرق الخوارج الأصلية قليلة، فالأشعري يعد فرقهم الأصلية خمسة ، وذلك ما سيأتي بيانه في المطلب الموالي.

يقول البغدادي : وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة ، والإباضية ، والصفوية ، والنجدية ؛ وكل الأصناف سوى الأزارقة ، والإباضية ، والصفرية ، والنجدية ، فإنما تفرعوا من الصفرية[5].

ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج- ولاسيما الأزارقة- المتعلقة بتكفير العصاة لا يزال لها أتباع يمثلون تنطع الخوارج وتشددهم في وقتنا الحاضر، مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة، وما أنتجت من

---

[1] البخاري، صحيح البخاري،ج 2 ، ح ر 232 ، ومسلم ، صحيح مسلم، ج 2 ، 741-742.

[2] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين،مرجع سابق ، ج1 ،ص207

[3] ابن حجر العسقلاني ،هدي الساري في مقدمة شرح البخاري مع فتح الباري ، ص459.

[4] البغدادي ، الفرق بين الفرق ،مرجع سابق، ص17.

[4]أبو الحسن الأشعري ، المرجع السابق ، ج1 ،ص207

[5] المرجع نفسه، ج1 ، ص183.

آراء وأفكار، وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين .وذلك سر تعريف الشهرستاني لهم باعتبار الخروج على الحاكم مطلقا حيث يقول: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل مكان[1].

وهذا الرأي قريبا إلى رأي ابن حزم فيهم؛ حيث وضع مجموعة من المبادئ التي بها يعرف الخارجي من غيره ، ولا يقتصر الخروج عنده على من خرج عن علي رضي الله عنه وإنما يتعداه إلى من أخذ بمبادئهم العقدية فيقول: **من وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فيما ذكرنا فهو ليس خارجيا**[2].

إلا أننا نرى أن أصول الخوارج هم شيعة علي رضي الله عنه ، ونستند في ذلك إلى ما ذهب إليه الطبري حيث أثبت أن أصولهم شيعة علي ، وسبب خروجهم هو مسألة التحكيم ، ويقول عن ذلك في تاريخه: كان التحكيم سببا في خروج فرقة في جيش علي كانت في الأصل تناصره ، وهي التي أشارت عليه بقبول التحكيم واختيار أبي موسى الأشعري حكما عن أهل العراق ، ولكنها ناقضت نفسها وتنصلت من هذا التحكيم ، فاضطر علي إلى محاربتها في النهروان حيث انتصر عليها[3].

وقد استفاد أحد المعاصرين – سليمان معروف – من البحوث الأولى عن أصول الخوارج وتتبع آثارهم فعرفهم بقوله : هم صعاليك الإسلام ورثوا الخلق الصعلوكي وأضافوا إليه جاء به الإسلام من قيم السماء ، فعملت على صقله وتهذيبه وتنقيته من شوائب الجاهلية ، وربما كان أول صوت سمع للخوارج – في الإسلام – وفي وجه النبي نفسه – صوت من أسمته كتب التاريخ . **المخدج ، أو ذو الخويصرة ، أو ذو الثدية**[4].

ومما يجدر ذكره بالنسبة لكتب الخوارج الأوّل أنها تكاد تكون مفقودة تماماً إذا ما استثنينا الأباضية منهم ، فلم تعرف لهم مؤلفات موفورة كبقية الفرق، وأكثر ما نرجع في ذلك إلى ما كتبه العلماء من أهل السنة، مع ثقتنا بصحة ما نقلوه عنهم لمعايشتهم لهم ، وكذلك لاحتمال أنهم عثروا على كتب للخوارج لم

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل، مرجع سابق ، ج1 ،ص114.

[2] ابن حزم ، الفصل في الأهواء والملل والنحل، مرجع سابق ،ج2 ،ص113.

[3] الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ، ج3 ،ص 123.

[4] سليمان معروف ، قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط1، ص23.

تصل إلينا، على أن ما وصل من كتب الأباضية تدل على صدق أولئك في نقلهم لمذهب الخوارج والله أعلم.

المطلب الثاني : فرقهم الأساسية ومبادئ كل فرقة في الخلافة

1 فرقهم الأساسية

قال الإسفراييني: **اعلم أن الخوارج عشرون فرقة**[1] ، ذكر الشهرستاني أن كبار فرقهم ستة: **الأزارقة ، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والأباضية، والثعالبة**[2] ، وذهب غيره إلى أنها خمس فرق أساسية منها ما اندثر ومنها ما بقي امتداده إلى اليوم . نحاول الوقوف على مبادئها ومواقفها حول مسألة الخلافة على حسب التسلسل الزمني لظهورها.

ويمكن العودة في ذلك إلى الملطي حيث يقول: قال أبو الحسن : وأنا أذكر للشراة الخوارج وعددهم في هذا الجزء ، وعند تفسيري قوله عليه السلام (**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**). أبينهم بأسمائهم إن شاء الله تعالى: فأما الفرقة الأولى من الخوارج فهم الذين كانوا بسيوفهم في الأسواق فيجتمع الناس فيقولون: **لا حكم إلا لله** ، ويضعون سيوفهم فيمن يلقون من الناس فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا، وكان الواحد منهم إذا خرج لتحكيم لا يرجع أو يقتل ، فكل الناس منهم في وجل وفتنة، ولم يبق منهم أحد على وجه الأرض بحمد الله ... والشراة كلهم يكفرون أصحاب المعاصي ومن خالفهم في مذاهبهم وأقاويلهم[3].

أما الفرقة الثانية و الثالثة فهم الخوارج الأزارقة والعمرية ، قال الملطي : **وهؤلاء هم أقل الخوارج شرا لأنهم لا يرون إهراق دماء المسلمين، ولا غنم أموالهم ولا سبي ذراريهم**[4] .

وأما الفرقة الرابعة فهم النجدية **أصحاب نجدة الحروري ، خرج من جبال عمان فقتل الأطفال وسبى النساء وأهرق الدماء واستحل الفروج والأموال وكان يكفر الخلف والسلف ويتولى ويتبرأ، وكان رديا مرديا حتى قتل**[5].

---

[1] أبي المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين ،تح ،محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط1 ، 2010م ، ص38.

[2] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج 1، 172.

[3] ابن عبد الرحمان الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح محمد زينهم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1، 1993-1413 هـ ، ص38.

[4] المرجع نفسه ، ص39.

[5] المرجع نفسه ، ص 40.

أما الصفرية ، **فهم أصحاب المهلب بن أبي صفرة ، خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب ، فقاتلوا الحجاج ، ولم يؤذوا الناس، ولا كفروا الأمة ، ولا قالوا بشيء من قول الخوارج، هزمهم الحجاج وأبادهم**[1].

وأما الإباضية فهم أصحاب أباض بن عمرو، خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا الناس ، وسبوا الذرية ، وكفروا الأمة ، وأفسدوا في البلاد والعباد[2].

وفي ما يلي نحاول أن نقف على هذه الفرق الأساسية بشيء من التفصيل.

2 مبادئ الفرق الأساسية للخوارج

2-1 المحكمة الأولى

هي الفرقة الأولى التي تشكلت وتعد الجيش الأول للخوارج وأول من حمل السيف علنا في وجه الإسلام وخليفة رسول الله ـ علي بن أبي طالب ـ والتي لم يكن في صفها ولا معدها أحد من الصحابة على كثرتهم، وأول ما قامت به هذه الفرقة هو قتل الصحابي الجليل عبد الله بن خباب بن الإرت وزوجته ، وقد جرت بينهم وبين علي ـ رضي الله عنه ـ جولات ومعارك فبعد رفضهم للتحكيم ورفعهم لشعار " لا حكم إلا لله " جادلهم بالتي هي أحسن واستطاع ابن عباس أن يستميل عددا ليس باليسير منهم ويعيده إلى صف الخليفة أما الغلاة منهم فقد نزلوا بالنهروان[3].

يقول عنهم البغدادي: ر**كبوا رؤوسهم واتبعوا ما زين لهم الشيطان، ولم يبقوا على معارضتهم للتحكيم بل غلوا وتطرفوا حينما قتلوا عبد الله بن خباب وزوجته وقد قاتلهم علي في معركة النهروان ولم تنطفئ جمرتهم حتى قتلوا عليا رضي الله عنه**[4] ، وقال الشهرستاني: **هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام حين جرى أمر الحكمين واجتمعوا بحارواء من ناحين الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكواء**[5].

ولهذه الفرقة آراء بني عليها فكرهم حول الخلافة وهي: أن الإمامة حق مشترك بين الأمة تكون في قريش وغيرهم، ويشترط في الإمام أن يكون عادلا، ووجوب قتل الإمام إذا جار، وجواز أن لا يكون للأمة

---

[1] المرجع نفسه ، ص41.

[2] المرجع نفسه ، ص41- 42.

[3] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق،ج3 ،ص218.

[4] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 17.

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق، ج1 ، ص172.

إمام أصلا، وكذا تكفير كل من علي وعثمان وأصحاب الجمل و معاوية وأصحابه[1]، والحكمين وتكفير كل صاحب ذنب أو معصية، وقد تفرعت عن هذه الفرقة معظم الفرق الأخرى، وأسباب افتراقهم قد ترجع لبعض الآراء كالاختلاف في القعدة ، والتقية ، والهجرة من دار المخالفين، وحكم أبناء مخالفيهم، أو لأتفه الأسباب[2] .

وقد بسط غالب بن علي عواجي الحديث عن هذه الآراء والفرق والأسباب التي دعت إلى فرقتهم، وخلص في النهاية إلى أنه لا يمكن حصرها في عدد معين لكثرة اختلافاتها، وخروج بعضها على بعض لأمر قد يكون بسيطا[3]. وأول الفرق التي انشقت عن الصف هي فرقة الأزارقة[4].

2 –2 الأزارقة

الأزارقة أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز[5]، انشقت هذه الفرقة عن صف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد نتائج التحكيم مباشرة وهي أول من شق المحكمة الأولى **وهم أصحاب راشد بن نافع بن الأزرق الحنفي، وهم أكثر الخوارج عددا، دخلوا في قتال مسلم بن عقبة إلى جانب عبد الله بن الزبير** [6]، حيث يذكر البغدادي ، أنهم قاتلوا معه ضد مسلم بن عقبة ولكنهم لم يدخلوا معه البيعة ، وكانوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام[7].

كما تذكر المصادر التاريخية أنهم هم الذين انظموا إلى عبد الله بن الزبير ثم افترقوا عنه، وسبب افتراقهم فيما بعد عن ابن الزبير هو اختبارهم له في عقيدته في الخلفاء الراشدين الأربعة ، فلما تبين لهم أن ابن الزبير لا يكفر واحدا منهم فارقوه إلى البصرة حيث جهروا بمذهبهم وبايعوا لنافع بن الأزرق سنة خمس وستين للهجرة[8] ، يقول ابن الأثير : في هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الأزرق وهو الذي ينتسب إليه الأزارقة

---

[1] الإسفراييني ، التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية ، مرجع سابق ، ص38.

[2] البغدادي ، المرجع السابق ، ص22.

[3] غالب بن علي عواجي، الخوارج وآراؤهم الإعتقادية، ،ج1، ص166.

[4] المرجع نفسه ، ص 164.

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، 179.

[6] وهذا لا يعني أن عبد الله بن الزبير واحدا منهم أو أنه تبنى مذهبهم ، حيث أنهم بمجرد ما اختبروه في عقيدته تجاه علي وعثمان وعرفوا موقفه انشقوا عن صفه وسيأتي بيان ذلك.

[7] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 54.

[8] المرجع نفسه ، ص55.

من الخوارج ، وكان سبب قوتهم اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله، وكثرة جموعهم [1].

وهذا ما دفع بعبد الله بن الزبير إلى قتالهم، حيث اختار المهلب بن أبي صفرة فبقي في حربهم تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج[2] ، **فأمّروا بعده عبد الله التميمي فقتله المهلب كذلك ، فأمّروا بعده قطري بن الفجاءة المازني التميمي ولقبوه بالخليفة وأمير المؤمنين** [3].

وهذا وإن دل – حسب رأينا – على شيء فإنما يدل على مخالفتهم لمبادئهم واستحالة تطبيقها وهو الأمر الذي دفع بهم إلى الانشقاق والانقسام ، و الخروج على بعضهم ، وأهم عقائد هذه الفرقة في مسألة الخلافة بنيت على تكفيرهم لعلي وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، وكذا سائر المسلمين ممن خالف عقيدتهم في هؤلاء الصحابة.

2-3 النجدات

هي فرقة خرجت من ضلع الأزارقة وهم أتباع نجدة بن عامر الذي تخلف عن نافع بن الأزرق عند العودة من قتال ملسم بن عقبة إلى جانب عبد الله بن الزبير، حيث يذكر ابن الأثير أنه سار بأصحابه إلى صنعاء فبايعه أهلها ، وكان للحرب بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان الأثر البالغ في تقوي شوكتهم ، **إلا أنهم لم يشذوا عن سابقيهم من الخوارج حيث**[4]**، حيث انقسموا إلى عطوية ، وفديكية**[5].

ومن أهم أصول أقوالهم في مسألة الخلافة جواز القعود عن الجهاد، وإجازة التقية للقعدة ، وإباحة دماء أهل الذمة مثل إباحة دماء من يعيش معهم من المخالفين ، وأهم بند عندهم على ما يذكر عبد القادر بن شيبة الحمد في قضية الخلافة هو: **أن الناس ليسوا بحاجة إلى إمام قط وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم على الحق فأقاموه جاز**[6].

إلا أن الغريب في أمرهم ، **أنهم حين انحازوا إلى اليمن وفارقوا نافع ابن الأزرق ، أمّروا نجدة بالمقام وبايعوه وسموه أمير المؤمنين**[7]. ولم يعرف عنهم أنهم بقوا بلا أمير عبر العصور إلى يوم الناس هذا.

---

[1] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج4 ،ص15.

[2] الشهرستاني ، المرجع السابق ، ص183.

[3] عبد القادر بن شيبة الحمد، الأديان والفرق المعاصرة ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط1، ص161 - 162.

[4] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، مرجع سابق ، ج1 ،ص176.

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص193.

[6] عبد القادر بن شيبة الحمد ، الأديان والفرق المعاصرة، مرجع سابق ، ص 168 .

[7] الأشعري، مقالات الإسلاميين ج1، ص182، والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص78-90، والشهرستاني، الملل والنحل،ج1، ص137.

2-4 الصفرية

هي رابع فرقة من فرق الخوارج ، وهي على الرغم من قلة أتباعها إلا أنها نفثت بسمها في جسد الأمة الإسلامية منذ زمن عبد الملك بن مروان وأسالت العرق البارد علي خلفاء بني أمية وهددت كيانهم، وهي فرقة تنسب إلى زياد بن الأصفر على قول الأشعري[1] ، إلا أن البغدادي نسبها إلى شبيب بن يزيد صاحب صالح بن مسرح[2] ، ولكن المتأخرين خالفوا المتقدمين في أصل هذه الفرقة ، حيث قال نسبها أحمد محمد جلي إلى عبد الله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج[3].

بينما يرى عبد القادر بن شيبة أن أصل تسميتهم تعود إلى صفرة وجوههم بسبب كثرة العبادة ويعلل ذلك بقوله: فهذا الوصف ثابت لهم قبل تزعم عبد الله بن صفار ، أو زياد بن الأصفر ، لاسيما أن هذين الرجلين لم يقوما بشأن خطير في هذا التفريق بين الخوارج وقولهم في الجملة يشبه قول الأزارقة[4].

2-5 الأباضية

ينتسبون إلى **عبد الله بن أباض الذي خرج أيام مروان بن الحكم**[5]، ويرى بعض الباحثين في أصولهم أنهم يعودون إلى مجموعة من التابعين وتابعيهم فالأشعري يرى أن أصولهم تعود إلى جابر بن زيد رضي الله عنه[6] ، الذي أخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وقال عنه عبد الله بن عباس : (**لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما من كتاب الله**)[7] ، والبغدادي **يرى أنهم ينتسبون إلى أبي عبيدة الذي روى الحديث عن العديد من الصحابة مسلم**[8] .

و يرى الشهرستاني **أنهم أتباع الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي آلت إليه رياسة المذهب بعد أبي عبيدة في بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة** [9].

---

[1] الأشعري ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص182 .

[2] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، المرجع السابق، ص 75 .

[3] أحمد محمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات،ط1، 1985،ص72.

[4] عبد القادر بن شيبة الحمد ، الأديان والفرق المعاصرة ، مرجع سابق ، ص171 .

[5] الشهرستاني، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص212.

[6] ابو الحسن الأشعري ، المرجع السابق، ج1، ص177-178.

[7] الذهبي ، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج4 ،ص481.

[8] البغدادي ، المرجع السابق، ص93-96.

[9] الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص128-129.

وعلى الرغم من أن عبد الله بن أباض يعتبر نفسه امتداد للمحكمة الأولى، إلا أن الأباضية اليوم ينفون انتماءهم إلى الخوارج إطلاقا ، وقد تمت مجموعة من الدراسات الحديثة ممن ينتمي إلى مذهبهم أو غيرهم توصل أصحابها إلى أنهم ليسوا خوارج ، ذلك لأن الكثير من آرائهم توافق آراء أهل السنة[1]. نقل عطا حسن قول محمد رشيد العقيلي الذي يقول: والحق يقال أن الأباضية انفصلت عن الخوارج في المراحل المبكرة من حياة الخوارج، وأصبحت لها مبادئها وخط سيرها بعيدا كل البعد عن معظم آراء الخوارج ومبادئهم[2].

المطلب الثالث: جملة مواقفهم من الخلافة الراشدة ونصب الإمام ومبرراتهم ونقدها

1 موقفهم من الخلافة

شغلت مسألة الخلافة الخوارج منذ ظهورهم، بل هي سبب ظهورهم، لكن الشيء الذي يجب التنبيه إليه هو حزمهم وتجريدهم للسيف وأحكامهم القاسية ونظرتهم الخاصة إلى الإمام (الخليفة) والذي أطلقوا عليه في بلاد المغرب لقب أمير المسلمين ؛ ذلك أن المسألة شغلتهم علميا[3] ، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصنفهم على أنهم حزب سياسي ذو صبغة دينية ، يقول سامي عطا حسن : والخوارج اسم لحزب سياسي، وفرقة دينية خرجت على الإمام علي رضي الله عنه ، بعد أن كانت تحارب معه في موقعة صفين، بسبب رفضهم لنتيجة التحكيم، فرفعوا شعار:(**لا حكم إلا لله**)[4].

فقد كفروا عثمان، وعليا، وطلحة، والزبير، وعائشة، وابن عباس، وحكموا عليهم بالخلود في النار، وعليه فمصير الإمام إذا أخطأ أو صدر منه الذنب ولم يبادر إلى إعلان توبته هو السيف[5].

ورغم ما فيهم فهم أهل صدق وعلم لم ينفعهم، والدليل على أنهم أهل علم وصدق أن البخاري ينقل الحديث عنهم.

---

[1] من المعاصرين الذين دافعوا على الإباضية وقرروا أنها ليست من الخوارج علي يحي معمر، وعوض خليفات، وعامر النجار وعبد الله بن علي الطعيمي ، الشيخ الطفيش وغيرهم.

[2] عبد الله بن علي الطعيمي، التأويل الكلامي عند الإباصية ، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الملك سعود،1425هـ ، ص297. نقلا عن سامي عطا حسن، الخوارج وتأويلاتهم المنحرفة لآيات القرآن، مجلة الدراسات الأردنية، ص64.

[3] محمد علي الصلابي، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج ، مرجع سابق ، ص180.

[4] سامي عطا حسن ، الخوارج وتأويلاتهم المنحرفة لآيات القرآن الكريم وتفنيدها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الرابع، 1435هـ، 2013م. ص65.

[5] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص75.

يقول محمود الشهابي: وصح عند العلماء أنه يروي عن ألف ومئة رجل من الخوارج، وقال له الإمام أحمد بن حنبل : **لم سميت كتابك صحيحا وأكثر روايته الخوارج؟. وحبسه قاضي "بخارا " لما قال له : لم رويت من الخوارج ؟ قال لأنهم ثقات لا يكذبون** [1].

ولذلك كان لهم موقف يميزهم عن باقي الفرق التي ظهرت من بعدهم ، أو خرجت من صلبهم[2] في مسألة نصب الإمام ، و بخاصة موقفهم من الخلفاء الراشدين الأربعة ، فهم لهم أراء في نصب الإمام ترجع أصولها إلى مسألة التحكيم ، وهو ما أعلنه الطبري في قوله: هذه الفرقة التي أطلق عليها فيما بعد اسم الخوارج ما هي إلا جزء من شيعته تمردت عليه وعصت أوامره ووصل بها الأمر إلى تكفيره رضي الله عنه[3] .

وحاصل القول أن مواقفهم من الخلافة الراشدة تتلخص في موقفين متباينين فهم قالوا بولاية الشيخين، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأثبتوها، واتفقوا على عداوة الختنين عثمان وعلي رضي الله عنهم وقالوا: كفر عثمان وكفر علي ... لأن عليا حكم الحكمين، خلع نفسه من إمرة المؤمنين، وحكم في دين الله فكفر[4].

يقول البغدادي: **يجمع الخوارج تكفير علي بن أبي طالب ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ومن صوبهما ، أو صوب أحدهما ، أو رضي بالتحكيم**[5].

ويذهب الإسفراييني إلى أبعد من ذلك في تكفيرهم للخفاء وعامة الناس على حد سواء ، فقد ذكر أن **الخوارج كلها متفقة على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة أحدهما: أنهم يزعمون أن عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكميم كفروا كلهم ، والثاني: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، ويكون في النار مخلدا**[6].

2 مواقفهم من نصب الإمام

تنقسم الخوارج في مواقفهامن نصب الإمام على قسمين.

---

[1] محمود الشهابي الخراساني، الإسلام والشيعة الإمامية في أساسها التاريخي وكيانها الإعتقادي، مؤسسة النشر طهران ،ط1 ،2001م ، ج1 ، المقدمة ، ص ل(54).

[2] على اعتبار أن بعض مصنفي الفرق يرى بأن الشيعة أصلهم خوارج ، انظر السجال بين الخوارج الشيعة عند الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية،ج1، ص192، ج3، ص 184.

[3] الطبري ، تاريخ الطبري، مرجع سابق ، ج3 ، ص120.

[4] ابن عبد الرحمان الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زينهم ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1، 1993-1413 هـ ،ص40.

[5] البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص74.

[6] الإسفراييني ، التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية ، مرجع سابق ، ص 38.

القسم الأول: وهم عامة الخوارج ، يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال معه ما دام على الطريق الأمثل الذي ارتأوه له ، يقول الماوردي : وقد أجمعت الأمة – بما فيها الخوارج – على وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها[1] ، وهو القول نفسه الذي ذهب إليه ابن حزم إذ يقول: **اتفقت جميع أهل السنة ، وجميع المرجئة ، وجميع المعتزلة ، وجميع الشيعة ،وجميع الخوارج على وجوب الإمامة**[2] ، وهو بهذا القول يسقط قول الفريق الذي يرى إمكان الاستغناء عنها.

القسم الثاني: فيرون أنه يمكن الإستغناء عنه إذا تصالح الناس وقاموا بواجباتهم الدينية، وتمثلهم المحكمة الأولى والنجدات ، وهو ما ذهب إليه الشهرساتاني في معرض حديثه عن المحكمة الأولى حيث قال: **جوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا**[3] ، كما لا يهمهم جنس الخليفة ، وهو ما ذهب إليه الأشعري بقوله : **وإذا احتيج إليه فمن أي جنس كان ما دام كفؤا لتولي الإمامة**[4].

3 مبرراتهم

لقد كان لكل فريق من الخوارج مبرراته التي يستند إليها في مسألة نصب الإمام مع أنه لا بد من الإشارة هنا إلى أننا نعتقد أن تقسيم الخوارج في مسألة نصب الإمام مغالطة ، فالذين قالوا لاحاجة لنا إلى الإمام وبرروا مواقفهم هم أنفسهم الذين نصبوا على رأس كل فرقة منهم إمام فهم بذلك خالفوا الأقوال بالأفعال ، ووفي ما يلي نعرض مبررات كل فريق:

3– 1 مبررات القائلين بعدم الحاجة إلى الإمام

استندوا إلى المبدأ القائل: لا حكم إلا لله ، والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقاً[5].

– قالوا أن الضرورة هي تطبيق أحكام الشريعة، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة.

---

[1] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مرجع سابق ، ص05.

[2] ابن حزم ، الفصل في الأهواء والملل والنحل ، مرجع سابق ، ج3 ، ص03.

[3] الشهرستاني ، الملل والنحل، مرجع سابق ، ج1 ، ص175.

[4] الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، مرجع سابق ، ج1 ، ص205.

[5] سليمان بن صالح الغصن ،الخوارج نشأتهم فرقهم وصفاتهم والرد على أبرز عقائدهم ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، م ع س ، ط1 ، 1430هـ ، 2009م ، ص 228.

– تحججوا بأنه ربما ينحصر وجود الإمام في بطانة قليلة وينعزل عن الأغلبية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة.

– أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده، وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيعة.

– قالوا بأن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام، وإنما أبان :{**وأمرهم شورى بينهم**}، فإذا كانت الشورى لا تفضي إلى اختيار من يرعى مصالح العباد فما الداعي إليها.

3– 2 مبررات القائلين بوجوب نصب الإمام

لا توجد قواعد أو نصوص يستند إليها في ذكر مبررات القائلين بوجب نصب الإمام إلا أن وجه الاستدلال نابع من فعلهم كما ذكرنا سابقا .

– المحكِّمة حينما انفصلوا ولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي.

– والنجدات حينما انفصلوا تزعمهم نجدة بن عامر

– وأما ما قيل عن الإباضية من أنهم يقولون بالاستغناء عن نصب الإمام فإن مصادرهم التي تيسر لي الوقوف عليها فهي تذكر أن هذا القول إنما نسبه إليهم خصومهم، بقصد الإشاعة الباطلة عنهم. كما أن واقعهم يحمل عكس هذا المبدأ ؛ فقد حكموا البلاد الإسلامية في المغرب العربي وامتد نفوذهم إلى الأندلس ، وأمروا عليهم طائفة من الزعماء وأسموا أئمتهم بلفظ –أمير المسلمين– بدلا عن –أمير المؤمنين– الذي شاع عن غيرهم من الحكام ، فعاكس الواقع أصولهم ، ودل على مخافتهم لها، وما دولة الأدارسة[1] التي حكمت بلاد المغرب وخرجت عن دار الخلافة إلا دليل قاطع على مانقول.

[1] سيأتي بيان هذه الدولة ضمن الدول التي انفصلت عن الخلافة الأم في مبحث لاحق.

المبحث الثاني: تأثيرهم السياسي وأحكامهم العقدية على مخالفيهم وأدلتهم في ذلك

المطلب الأول: تأثيرهم السياسي واختيارهم للإمام

1 تأثيرهم السياسي

المتتبع للمسار التاريخي لتشكل الخوارج في زمن الفتنة سيصل حتما إلى أن دورهم كان فعّالا في القضاء على الوحدة الاسلامية ، كما أنهم قدموا خدمة جليلة لمعاوية رضي الله عنه ؛ فهم الذين طعنوا عليا . رضي الله عنه في ظهره بانشقاقهم عليه أولا ثم إرهاقه بالحرب ثانيا. وهو ما أشار إليه الشهرستاني حيث يذكر أنهم حملوه على التحكيم أولا ، **وأن أول من خرج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي**[1].

غير أنّ عمار الطالبي ذهب إلى أبعد من ذلك في تتبعه لحركاتهم ومسارهم حيث يقول: **من المعلوم أن حركة الخوارج هي امتداد للثورة على الخليفة الراشدي الثالث ، وبخاصة بعد أن أدرك الثائرون أن عليا لن يكون مطية لأهوائهم ، وهذا صاحب الأزارقة . نافع بن أزرق . يعترف صراحة أنه حضر عثمان يوم قتل**[2].

وكان أول من اعترض على الأشعث بن قيس حين كان يمر على القبائل وبين العشائر، يقرأ عليهم كتاب التحكيم هو صالح بن شقيق الخارجي أحد رؤوس الخوارج ، فقال له: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون[3].

كما ظلت الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربا لا تكاد تكون متواصلة في شدة وشجاعة نادرة ، وأشرفوا في بعض مواقفهم على القضاء على الدولة[4].

أما بعد أن تبلور مذهبهم فقد أسسوا دولتهم في شمال إفريقيا (الجزائر)، وسموا خليفتهم أمير المسلمين، لكن لابد من الإشارة إلى نقطة هامة في مسار الخوارج وهي أن التشكل الجماعي ، وآراؤهم الخاصة ظهرت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل بعد فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ، وكان خروجهم عن جماعة

---

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 170.

[2] عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية، مرجع سابق ،ج1، ص109.

[3] سامي حسن عطا ، الخوارج وتأويلاتهم المنحرفة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع ، العدد الرابع، 1435هـ - 2013م.ص64

[4] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مرجع سابق ، ص 257.

المسلمين، وتحديدا في زمن علي رضي الله عنه ، وهو سبب تميزهم ،وهذا ما جعل محمد علي الصلابي يقول: بداية الخوارج على شكل جماعي له اتجاهه وله آراؤه الخاصة بدأ بالخروج على علي رضي الله عنه ، وأما خروج ذو الخويصرة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكان اعتراضه اعتراض فرد وليس اعتراض جماعة، **وأما خروج الثائرين على عثمان رضي الله عنه فهو خروج عن طاعة الإمام الحق، إلا أن هذا الخروج لم يكن يتميز بأنه خروج جماعة لها عقائدها الواضحة وآراؤها المتميزة، وإنما كان خروجا من قوم أهل جهل وبغي وتعنت، وأهل ظلم وخيانة وافتراء واندس فيهم الزنادقة**[1].

ومن خلال كلام الصلابي نستنتج أن التأثير العقائدي و السياسي للخوارج بدأت بوادره في نهاية زمن عثمان بشكل غير منظم ، ولم يكن قائما على آراء عقدية محددة إنما هو تدخل في إدارة الشؤون السياسية عن طريق فرض موقف تجاه شخص الخليفة، متمثلا بشكل محدد في طلب التخلي عن المنصب، وتطور إلى حد شق عصى الطاعة والحصار.

وعليه يمكن اعتبار هذا التمرد على عثمان بن عفان رضي الله عنه اللبنة الأولى التي بني عليها فكر الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه فيما بعد ، وما يميز من خرج على علي هو تبني فكرة ورأي محدد تجاه قضية عقدية تتمثل في التحكيم ، ثم الحكم على من رضيه بالكفر. وهو الشيء الأخطر حتى من قتل الخليفة نفسه ، لما يترتب عليه من انعكاسات سلبية بقيت تضرب وحدة المسلمين وتخدش عقائد أهلها إلى يوم الناس هذا.

2 كيفية اختيار الإمام

ذكر الطبري في تاريخه الاجتماعات التي عقدت في بيوت مؤسسي فرق الخوارج مباشرة بعد انفصالهم على علي رضي الله عنه ، وقال بأنهم عينوا أميرا عليهم. فاجتمعوا في بيت **عبد الله بن وهب الراسبي**، الذي رغبهم في الآخرة وزهدهم عن الدنيا[2]، فما كان منهم إلا أن سعوا إلى تعيين الأمير فقال حمزة بن سنان العبسي:(**يا قوم: إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها فابعثوا إلى زيد بن حسن الطائي . وكان من رؤوسهم . وعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي لؤي العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي**

[1] محمد علي الصلابي، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج، ص115.

[2] ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ،ج5 ، ص75.

فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت)[1].وبعدما تم اتخاذ القرار جرت الأحداث وخرجوا عن طاعة علي رضي الله عنه وكفروه.

وقد كانت بعد ذلك قراراتهم السياسية نابعة من أفكار عقدية أخذوها من فهمهم الظاهر للقرآن ، ونصوص السنة وبنوا مذهبهم على ذلك.

وتعد مسألة الإمامة مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشئوا ،وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية، شغلتهم قضية الإمامة عملياً ، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم، ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار إمامهم بأنفسهم ، ثم سياستهم الداخلية في الناس، وشغلتهم فكرياً بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع، وكانوا يظهرون بمظهر الزاهد عن تولي الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم ، وحرباً لا هوادة فيها ضد المخالفين لهم[2].

المطلب الثاني : أحكام الخوارج على مخالفيهم.

اختلف الخوارج في الحكم على أهل الذنوب من المخالفين بعد اتفاقهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة، وأرجع أحمد أمين سبب هذه الأحكام إلى تقريرهم نظرية العمل جزء من الإيمان ، فأهم ما قرره الخوارج في ذلك أن العمل بأوامر الدين – من صلاة وصيام وصدق وعدل – جزء من الإيمان ، وليس الاعتقاد وحده ، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر[3]. وبهذا يتبين ان تكفير الخوارج لمخالفيهم يرجع إلى سبب عقدي إذا ما عُدّ العمل جزء من الإيمان لا يصح الإيمان إلا به.

أما لطيفة بكاي أسباب التكفير إلى الدواعي السياسية، التي منها ظهرت فكرة القول بأن مرتكب الكبيرة كافر؛ ففي تتبعها لحركة الخوارج أيام الدولة الأموية تذكر أن موقف الخوارج كان سببه دواعي سياسية أولا ، وعندما كانوا يصدرون حكم التكفير على مرتكب الكبيرة . **فقد كان في مخيالهم الموقف السياسي أولا ، ويظهر هذا عند الاستعراض ، فالأمر السياسي الذي يسأل عنه المستعرض هو الموقف من أطراف النزاع ، فمن لم ير فيهم رأي المحكمة فهو كافر**[4]؛ إلا أننا نرى بأن المواقف السياسية للخوارج لا تنفصل عن مقتضيات الإيمان وذلك بناء على القاعدة العقدية السياسية الكلية لهم (**لا حكم**

---

[1] ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ،ج5 ، ص 75.

[2] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مرجع سابق ، ص 258.

[3] أحمد أمين ، المرجع نفسه ، ص259.

[4] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشاتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37- 132هـ) ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2001م ، ص 307.

إلا لله) وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلى:

– يجمعهم التبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا وواجبا[1].

– الحكم بتكفير العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون فى النار مع سائر الكفار. وهذا رأى أكثرية الخوارج[2]، والأزارقة خاصة.

ووافقهم على هذا الرأي كل من: المحكِّمة والأزارقة والمكرمية والشبيبة والبيهسية واليزيدية والنجدات، إلا أنهم مختلفون فى أسباب كفره ويمكن العودة إلى ما كتبه البغدادي والشهرستاني وغيرهما ممن ألّف في الفرق وفصّل في هذه الأسباب.

ومن أمثلة هذه الأسباب نذكر أن الكرامية ترجع سبب كفر العاصي إلى جهله بحق الله وليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات، وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره.

وأما النجدات فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب، فإن كان مصراً فهو كافر، ولو كان إصراره على صغائر الذنوب ، وإن كان غير مصر فهو مسلم ، حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر، وهو تفصيل بمحض الهوى والأماني الباطلة ، ونستثني من فرق الإباضية اليزيدية[3] ، التي قال البغدادي أنها ليست من فرق الإسلام لقولها بنسخ الشريعة الإسلامية في آخر الزمان ببعثة نبي من العجم[4].

المطلب الثالث: نظريتهم في الخلافة وأدلتهم في الأحكام على مخالفيهم ونقدها

1 نظريتهم في الخلافة

وضع الخوارج نظرية للخلافة وهي : أن الخلافة يجب أن تكون بالاختيار الحر من المسلمين ، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكم ، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيا ، بل يصح أن يكون من قريش ومن غير قريش ولو كان عبدا حبشيا ، وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين ، ويجب أن يخضع خضوعا تاما لما أمر الله ، وإلا وجب عزله [5]. وبهذا أدكت الخوارج على دور الأمة في مسألة الإمامة في حين أكد

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص127.

[2] أسماء فتحي إبراهيم ، حركة الخروج على الخلافة الأموية في العراق ، مرجع سابق ، ص15.

[3] هم أتباع يزيد بن أبي أنيسة

[4] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص25.

[5] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الشيعة على دور الإمام وجعلوه فوق الأمة ومنحوه كل السلطات الدينية والدنوية[1]. ومن خلاله هذه النظرية راحوا يسوقون أدلتهم على مخالفيهم ، ووصفوهم بأهل الذنوب.

2 أدلتهم على مخالفيهم

تلمّس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث، وتكلفوا فى رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم، وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر، قالوا: وليس وراء ذلك الحصر من شيء.

ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٢ ﴾ [2]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾ [3]

قَالَ تَعَالَى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧ ﴾ [4]

إلى غير ذلك من الآيات.

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم في تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التي يريدونها، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:

(لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرقحين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن)[5].

ولهم أدلة أخرى نكتفي منها بهذا الحديث الذي فهموا منه نفي الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر فيه ، وهذا لا حجة لهم فيه، فإن الحديث –كما يذكر العلماء– إما أن يكون وارداً فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب، أو أن المراد به نفى كمال الإيمان عنهم، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال مواقعتهم لتلك الذنوب.

---

[1] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج في عهد بني أمية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص248.

[2] سورة التغابن ، الآية 2.

[3] سورة المائدة ، الآية44.

[4] سورة سبأ ، الآية 17.

[5] فتح الباري في شرح صحيح البخاري،8/13.

3 نقد أدلتهم

تضافرت النصوص الدالة على عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة فى مذهب السلف حيث نقل عمار طالبي هذا الحكم عن ابن تيمية الذي يقول: أما العصمة فتنفيها الخوارج نفيا تاما ، بل إن طائفة من الخوارج ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يتعلق بتبليغ الرسالة ، أما فيما يأمر به أو ينهى فإنه غير معصوم ، وجوزوا وقوع الظلم من النبي نفسه[1].

أما وجه استلالهم بالحديث فهو لا يصمد أمام النقد ، فلو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى الشارع بإقامة الحد فيها، ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تشبهه لا تحمل على ظاهرها. وهو ما ذهب إليه الزهري حيث قال عنها : (**أمرّوها كما أمرّها من قبلكم**)[2]، والله أعلم.

وقد جاء فى حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: **(ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق ثلاثاً، ثم قال فى الرابعة: على رغم أنف أبى ذر، قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبى ذر)** [3]

وعليه فمهما تعددت الآراء حول الخوارج وفكرهم فإن الباحث في تاريخهم دون تحيز يصل إلى إنهم قد تركوا من ورائهم أجيالا حملت أفكارهم ، وسقت الأمة الإسلامية أنهارا من الدماء التي لا تزال تنضب في كل مكان إلى يوم الناس هذا.

قال القاسم: قال الإمام مالك في الحرورية وما أشبههم: إنهم يقتلون إذا لم يتوبوا، إذا كان الإمام عادلا، فهذا بذلك على أنهم إن خرجوا على إمام عدل وهم يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه، دعوا إلى الجماعة والسنة، فإن أبوا قتلوا...قلت أرأيت إن تابوا ورجعوا؟ **قال: بلغني أن مالكا قال: الدماء موضوعة عنهم وأما الأموال فإن وجدوا شيئا عندهم بعينه أخذوه، وإلا لم يتبعوا بشيء من ذلك وإن كانت لهم أموال، لأنهم إنما استهلكوها على التأويل**[4].

ونذكر في هذا المقام أن الإمام مالك قد بين الفرق بين الخوارج والمحاربين في الدماء فقال: لأن

---

[1] عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية ، م1، 123 ، نقلا عن ابن تيمة، منهاج السنة، ج2 ، ص83 -103.

[2] انظر: شرح النووى لصحيح مسلم 41/2 – 42.

[3] مسلم ، صحيح مسلم ج1 ،ح 66.

[4] محمد بن عبد الرحمان المغراوي، موقف الإمام مالك من العقيدة السلفية، دار الفتح، الشارقة،ط1، 1416هـ، 1996م، ص155.

الخوارج خرجوا على التأويل والمحاربين خرجوا فسقا وخلوعا على غير تأويل، وإنما وضع الله عن المحاربين إذا تابوا حد الحرابة حق الإمام. وأنه لا يوضع عنهم حق الناس؛ وإنما هؤلاء الخوارج قاتلوا على دين ويرون أنه صواب[1].

كما لم يعرف رغم شدة الخوارج وقتالهم للمسلمين وتكفيرهم لغيرهم من مخالفيهم وإنكارهم لبعض ما هو معلوم من بالضرورة إلا أنه لم يحكم عليهم أحد من السلف ولا من تبعهم من الخلف بالكفر وفي ذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية: **والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة للأمة، وتكفيرا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم، لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين**[2].

والذي عليه أهل السنة في مسألة التكفير هو ما ذهب إليه الإمام الغزالي في فيصل التفرقة وهو قوله: **خاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر، فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم، فاعلم أنه غر بليد...وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا، إذ معناه إباحة الدم ، والحكم بالخلود في النار ومدركه شرعي ، فيدرك إما بنص أو بقياس على منصوص**[3].

[1] المرجع نفسه ، ص 156.

[2] عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوي، ج7، ص218.

[3] أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تعليق محمود بيجو، ط1، دمشق،1413هـ-1993م، ص26.

المبحث الثالث : الشيعة أصولهم وآراؤهم وموقفهم من الخلافة.

الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرت بمراحل كثيرة ونشأت تدريجياً.. وانقسمت إلى فرق كثيرة. ولاشك أن التتبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع ، بقدر ما تعنينا أصول أقوالها في مسألة الخلافة لإن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل، ولهذا سيكون الحديث هنا عن: أصل النشأة وجذورها التاريخية، ولا يعنينا تتبع مراحلها ونشوء فرقها.. وسنبدأ بعرض رأي الشيعة من مصادرها المعتمدة عندهم، على الرغم مما فيها من شك وريب، ثم نذكر بعد ذلك آراء الآخرين.

المطلب الأول: التعريف بالشيعة وآل البيت.

1 الشيعة في اللغة

قال الأزهري معنى الشيعة هم الذين يتبع بعضهم بعض، وليس كلهم متفقين وهم بمعنى الأتباع والأنصار ، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وبنيه حتى صار خاصا بهم[1].

وتأتي كلمة شايع بمعنى ناصر لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[2]، كما تأتي بمعني الفرقة كما في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾[3].

2 الشيعة في الاصطلاح

يعرفهم الشهرستاني بقوله : **الشيعة هم الذين شايعوا عليا على وجه الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده**[4] ، وقالوا : ليست الإمامة مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بينهم ، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين ولا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية و يخالفهم بعض الزيدية[5].

---

[1] أسعد وحيد القاسم، حقيقة الشيعة الاثني عشرية من كتب صحاح السنة، مؤسسة الغدير، بيروت لبنان ، ط5، 1420هـ - 1999م، ص15.

[2] سورة القصص ، الآية 15.

[3] سورة مريم ، الآية ، 69.

[4] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، ج1، ص146.

[5] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

يعرفهم الشيخ المفيد[1] ، وهو منهم بقوله : **هم أتباع أمير المؤمنين علي على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ، ونفي الإمامة على من تقدمه في مقام الخلافة وجعله في مقام الاعتقاد متبوعا لهم لا تابع لهم غير تابع لواحد منهم على وجه الاقتداء**[2].

أما ابن حزم فيوسع من دائرة التشيع فيقول : ومن وافق الشيعة في أن عليا ـ رضي الله عنه ـ أفضل من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم بعد ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فهو ليس شيعيا[3].

ويقول هاشم معروف : والإمام المنصوب عند الشيعة الإمامية هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويستدلون على ذلك ببعض الآيات الواردة في الكتاب وبطائفة من الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر ورواها الفريقان من السنة والشيعة.[4]

إلا أنه بعد الفتنة الأولى التي راح ضحيتها علي رضي الله عنه وأبناؤه ، ظهرت تسميات أخرى للشيعة وخاصة ، عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك الأموي ، انقسمت الشيعة إلى روافض وزيدية، هاتين الفرقتين شكلتا النواة الأولى للفرق الأخرى المنتسبة إلى الشيعة ، ونجد اسم الرافضة في كتب الفرق وغيرها ، فالإمام أحمد عرفهم بقوله : **هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسبونهم ويتنقصونهم ، ويكفرون الأئمة إلا الأربعة هم علي وعمار والمقداد وسلمان، وليست الرافضة في شيء**[5].

وهو بقوله هذا ينقض قولهم ويعده تافها لا أصل له في الإسلام ، أما الأشعري فربط التسمية برفض خلافة أبي بكر وعمر، حيث يقول عنهم: **الرافضة إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**[6].

أما الرازي فقد كان أكثر تحديدا لتسميتهم فمن تعريفه لهم يتبين لنا انقسامهم إلى زيدية وروافض ؛ وذلك ما نستخلصه من قوله: **الرافضة إنما سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب**

---

[1] المفيد ، هو محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في زمنه، وقد اجمعت الشيعة على توثيقه، توفي سنة413للهجرة، انظر أعيان الشيعة للعاملي،ج9، ص420.

[2] محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، لؤلة البحرين ، ص356.

[3] ابن حزم ، الفصل في الملل ، مرجع سابقج3 ، ص5.

[4] هاشم معروف الحسني ، أصول التشيع عرض ودراسة ،ص30.

[5] سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، مكتبة الإمام البخاري،ط1، 1420هـ، 2000م.ص349.

[6] أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، مرجع سابق ،ج1، ص137.

رضي الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فلم يبق معه إلا مئتا فارس فقال لهم : رفضتموني. قالوا نعم . فبقي عليهم هذا الاسم[1].

وهذا القول نفسه هو الذي يصرح به ابن تيمية في فتاويه حيث قال : ومن زمن زيد بن علي افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر ، فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه[2].

3 آل البيت

نجد أن معظم الشيعة يرون أن آل البيت ليسوا كل من له صفة القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وإن كان من أزواجه ، أو أعمامه وذريتهم من بعدهم بل ، حتى عائشة زوجه ليست من أهل بيته؛ وحصروا أهل بيته في طائفة منهم وهم أهل الكساء ومن نزلت فيهم أية التطهير. وقد أوردوا مجموعة من الأدلة من القرآن والسنة على أقوالهم ولعل أهمها أية التطهير كما ذكرنا [3] وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

وهي الآية التي نزلت في أصحاب الكساء الخمسة وهم علي وفاطمة والحسن والحسين بالإضافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما في رواياتهم ، يقول حكمت الرحمة: دلت الأخبار الصحيحة المتظافرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن المراد بأهل البيت في هذه الآية: النّبي، وعلي، وفاطمة، الحسن، والحسين[5].

ومن أهم الأحاديث التي يستدلون بها في ما ذكره القمي[6]: ما روي عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ، من آل محمد؟ قال ذريته. فقلت: من أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء من عترته؟ فقلت : من عترته؟ قال أصحاب العباء. فقلت: من أمته؟ قال المؤمنون الذين صدقوا بما جاء من عند الله

---

[1] الرازي، إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص77، نقلا عن ، سليمان بن سالم السحيمي، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص351.

[2] ابن تيمية مجموع الفتاوى ، مرجع سابق.

[3] ليس المقصود بالسنة ما يعرف عندنا ، وإنما يضاف إليها أقوال الأئمة المعصومين عندهم.

[4] سورة الأحزاب ، الآية 33.

[5] حكمت الرحمة ، تلخيص كتاب أئمة أهل البيت في كتب السنة ، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، قم ، ط 1 ، 1428هـ ، ص18.

[6] القمي: هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المقلب بالقمي، قال عنه الطوسي كان حافظا للأحاديث ناقدا للأخبار بصيرا بالرجال، وقال عنه المجلسي، وثقه جميع الأصحاب...بل هو ركن من أركان الدين، توفي سنة 381للهجرة.

عز وجل المتمسكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسك بهما:كتاب الله عز وجل، وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وحتى يجد الشيعة منفذا لمعضلة العصمة والأئمة فقد أدخلوهم في جملة من شملتهم أية التطهير بأنهم هم العترة ، فقد فسر الشيخ المفيد العترة بقوله: **أن المراد بها جميع بني هاشم...ولو كان المراد بالعترة الذرية دون الأخوة والعمومة وبني العم، لخرج أمير المؤمنين من العترة لخروجه من الذرية، وهذا باطل بالاتفاق**[1].

ونجد أن المفيد قد حكم على بطلان قولهم وأقوال الشيعة بنفسه فإن كانت العترة في العمومة فلماذا يخرجون العباس منها وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن كانت في أبناء العمومة فلماذا يخرج منها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.ويحصر فيها علي رضي الله عنه وطائفة محدودة من أبنائه، الحسن والحسين دون غيرهما، وأبناء أبنائه المخصوصين بالعصمة من نسل الحسن والحسين. بل ومن ومنهم من يحصرها في نسل الحسين فقط ، ودل على ذلك ما روى المجلسي[2] بسنده عن الصادق عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي: من العترة؟. قال: أنا والحسن والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم**)[3].

وفي هذا الحديث ظلم لعلي رضي الله عنه واتهام له بالتفرقة بين ولديه الحسن والحسين ، فكيف له أن يجعل الولاية والعترة في أبناء الحسين دون أبناء الحسن ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى افتراء على الحسين رضي الله عنه ، فإن كان هو راوي الحديث ، فالذي يقرأ بعفوية ، يتهمه مباشرة بالمحابات ، وحب أبنائه دون أبناء أخيه الحسن رضي الله عنهما ، وهم براء من هذا الاتهام.

[1] محمد بن محمد بن النعمان، المفيد ، الثقلان ،ص10، نقلا عن سليمان بن سالم السحيمي، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص354.

[2] المجلسي: هو محمد بن باقر بن محمد تقي بن المقصود علي الملقب بالمجلسي، أجمعت الشيعة على توثيقه وإمامته، توفي سنة1111 للهجرة، انظر الكنى والألقاب لعباس القمي، ج23،ص121.

[3] محمد بن باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج23، ص147.

أما البحراني فيقول في العترة: إن إطلاق لفظ العترة على غيرهم، إنما هو على ضرب من المجاز. فعترة النبي صلى الله عليه وسلم هم الأقربون منه وشيجة، والأدنون منه نسبا من بني هاشم دون غيرهم من قريش هذا باعتبار اللغة العربية[1].

أما باعتبار العرف الشرعي فإن العترة هم أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة وولداها الحسن والحسين، والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام[2].

المطلب الثاني : فرقهم الرئيسية وأصل التشيع وآراؤهم فيه

1 فرق الشيعة الرئيسية

يذكر مؤلفوا الفرق فرق الشيعة بمختلف التسميات فمنهم من يطلق عليهم اسم الشيعة ، ومنهم من يسميهم الروافض، وأول فرقة يعدونها منهم هي السبئية .قال فيهم البغدادي: وأما الروافض فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه ، فقال بعضهم لعلي: أنت الإله، فأحرق علي قوما منهم ، ونفى ابن سبإ إلى ساباط المدائن [3].

ونشير إلى أنه حكم عليهم بالكفر حيث قال: وهذه فرقة ليست من فرق الإسلام لتسميتهم عليا إلاها[4].

ثم يبين افتراق الرافضة إلى أربع فرق أساسية وهي: الزيدية[5] والإمامية ، والكيسانية ، والغلاة ، ويعد الزيدية والإمامية من فرق الأمة ، بينما يرى أن جميع الغلاة خارجون عن فرق الإسلام وهذه هي فرقهم، ولكننا نرى أن المنعرج الحاسم في تبلور فرق الشيعة هو ظهر مع زيد بن علي الذي تنسب إليه الزيدية وهي: الزيدية ، والإمامية ، والإسماعيلية الاثني عشرية .

---

[1] البحراني: هو علي بن عبد الله البحراني صاحب منار الهدى، ولد سنة 1319 بالبحرين ثم انتقل إلى مطرح بإيران، حيث تقيم الطائفة ومكث فيها إماما ثم غادرها إلى لنجه، أحد الموانئ الإيرانية، وكان عالما بارعا وتوفي بالسمن انظر العقيدة في أهل البيت،ص354.

[2] علي بن عبد الله البحراني، منار الهدى، ص571-572، نقلا عن سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، العقيدة في أهل البيت، ص354.

[3] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق، مرجع سابق ، ص21.

[4] المرجع نفسه، ص21.

[5] يصنف البغدادي الزيدية مع فرق الروافض ، وهذا يخالف ما ذهب إليه غيره من مؤلفي الفرق الذين يسمون من رفض مقولة زيد بن علي في أبي بكر وعمر روافض ، بينما تطلق كلمة الزيدية على البقية الذين ثبتوا مع زيد ووافقوه في موقفه من أبي بكر وعمر، أنظر الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1 ، ص129.

1-1 الزيدية

يذهب محمد أبو زهرة إلى أن الإمام زيد قد خرج من الموقف السلبي الذي التزمه من أئمة آل البيت إلى الموقف الإيجابي، كما كانت آراؤه في الخلافة مشتقة من آراء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التي اشتهرت بين المسلمين[1].

وهو ما نتج عنه ظهور فرقة الروافض الذين امتنعوا عن مناصرته لأنه أكد محبته للخليفتين أبي بكر وعمر في سياق نظريته عن جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، لقد أعلن لهم دون مواربة بأنه على أهبة الاستعداد للحرب ضد من يسبهم أو يطعن فيهم ، وأن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة... وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن ممن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –)[2].

فلا نص هناك إذًا ولا وصية، وإلا نادى بها وأعلنها في نزاعه ضد هشام بن الحكم، وهو الفقيه المحدث الراوي لحديث آل البيت وغيرهم[3]. بل إنه يكاد يعلن وهو يناقش أخاه محمد الباقر أن أباه لم يكن إمامًا بل كان في نظره رجلًا من صالحي أهل البيت[4] لأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج[5].

إن الإمام زيد في حقيقة الأمر قد ظهر في الوقت المناسب لكي يقف في وجه الآراء الشيعية التي سادت في عصره، ويعود بذاكرة القوم إلى الأعمال الباهرة التي قام بها الشيخان أبو بكر وعمر والتي جعلت خلافتهما حصن الإسلام المكين[6].

والزيدية إذا أخرجنا منهم الروافض ثلاث فرق أساسية وهي : الجارودية ، والسليمانية ، ، والكيسانية ، ومنهم فرق كثيرة ، وعلى العموم فقد انفصلوا عن باقي الفرق الشيعية منذ ذلك الوقت لمناداتهم بأنه لابد أن يخرج الإمام داعيًا لنفسه خلافًا للشيعة الإثني عشرية الذين يعتبرون الإمام إمامًا ولو لم يخرج داعيًا لنفسه[7].

---

[1] محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص187.

[2] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج2، ص 208.

[3] محمد أبو زهرة ، الإمام زيد، ص70.

[4] علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،ج2 ،ص148.

[5] محمد بن إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج9 ، ص330.

[6] محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص104.

[7] محمد أبو زهرة ، الإمام الصادق ، ص41.

1-2 الإمامية

الإمامية خمس عشرة فرقة منهم الروافض والغلاة وهي : المحمدية ، والباقرية ، والناووسية، والشمطية، والعمارية، والإسماعيلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والإثنا عشرية، و الهشامية من أتباع هشام بن الحكم ،أو من أتباع هشام بن سالم الجواليقي ، والزرارية من أتباع زرارة بن أعين ، واليونسية من أتباع يونس القمي ، والشيطانية من أتباع شيطان الطاق ، والكاملية من أتباع أبي كامل وهو أفحشهم قولا في علي وفي سائر الصحابة رضي الله عنهم[1].

1-3 الإسماعيلية

وهي فرقة تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر بالنص من أبيه، وانتقلت منه الإمامة إلى ابنه المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين ، وله أن ينيب عنه دعاته، حتى تظهر له شوكة، ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب، وهو آخر المستورين، ثم ابنه عبيد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب ، وهؤلاء هم الشيعة الباطنية[2].

2 أصول التشيع وآراؤهم فيه

2 – 1 أصول التشيع

الإمامة أصل من أصول الدين هو ما ذهبت إليه كل فرق الشيعة ما عدا الزيدية منهم ، حيث يرون أن الإمامة أصل من أصول الدين التي يجب بذل ما في الوسع لمعرفتها، وخلاصة ما ذهبوا إليه هو اعتماد الأصول الخمسة للمعتزلة، مع تغيير الأصل القول بالمنزلة بين منزلتين بأصل الإمامة، وقد بين حسين أحمد الخشن رأى الشيعة في أصولهم الاعتقادية حيث صنف أنواع الاعتقاد إلى ثلاثة أصناف ثم قال: بالعودة إلى الصنف الأول وهو ما يجب الاعتقاد به، وبذل الجهد في معرفته، فإن المصداق البارز لذلك هو ما يعرف به أصول الدين من: التوحيد، والنبوة، والميعاد، ويضيف الإمامية إليه اعتقاد الإمامة، والعدل. فهذه الأصول الخمسة يجب الاعتقاد المطلق بها، ما يعني أنه يجب بذل الجهد في معرفتها، مع وجود فارق بين الأصل الرابع وما تقدم من أصول[3].

---

[1] عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص23.

[2] رابح بو نار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للطبع والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط2، 2000م،ص14-15.

[3] حسين أحمد الخشن، أصول الاجتهاد الكلامي، المركز الثقافي الإسلامي، مجمع الإمامين الحسنين، لبنان ، ط1، 1436هـ-2015م، ص131.

ويتبين من خلال الأصول المعتمدة عندهم أن الإمامة هي جوهر الاختلاف بينهم وبين أهل السنة في أصول الدين وهي الفارق بينهم وبين المعتزلة في أصولهم كذلك ، كما أن الموقف من صفة الإمام والجهة التعيين هو جوهر الاختلاف بينهم وبين الخوارج ، لذلك كانت آراؤهم العقدية في الإمامة عموما، وإمامة أهل البيت خصوصا مرتبطة كل الارتباط بالتبرير للمواقف ، لا بالبحث عن الحقيقة ، فما كان منهم إلا ربطوا آراءهم بالسند والدليل النصي، وفيما يلي نحاول أن نستخلص أهم الآراء في المسألة من خلال أدلتهم.

2 –2 آراؤهم في التشيع

الرأي الأول: التشيع لعلي مقرون بولاية قبل الإسلام

يرى جماعة من علماء الشيعة ومفكريهم أن التشيع قديم قدم الرسالات الإلهية لأنبيائه فهو قد ظهر قبل بعثة النبي ـ صلى الله عليه وسلم، وأنه ما من نبي إلا وقد عرض عليه الإيمان بولاية علي.. وقد وضع الشيعة أساطير كثيرة لإثبات هذا الشأن، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد – صلى الله عليه وآله، ووصية عليّ عليه السلام[1].

وجاء في البحار: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يا علي: ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً**)[2]، وفي رواية أخرى لهم عن أبي جعفر قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين بولاية علي.

وعن أبي عبد الله قال: ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها ، وعقد لذلك شيخهم البحراني باباً بعنوان: **باب أن الأنبياء بعثوا على ولاية الأئمة** [3]، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل إن الكاشاني وهو أحد مفسري القرآن لديهم نقل هذا القول حيث ذكر أنه: **ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب مجيبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين.. فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار**[4].

---

[1] المرجع نفسه ، ص437.

[2] محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، دار المرتضى ، بيروت ، ط1 ، 1426هـ – 2005م ،ج 1، ص436.

[3] سيد هاشم البحراني، المعالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى، تح مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، ط1 ، ج2 ، ص 303.

[4] الموسى محسن الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ، تص وتع علي حسن الأعلمي ، منشورات مكتبة الصدر، ط3 ، 2015م ، ج1، ص16.

كما أن العاملي صاحب وسائل الشيعة وهو أحد مصادرهم المعتمدة في الحديث ذكر بأن رواياتهم التي تقول بأن الله حين خلق الخلق أخذ الميثاق على الأنبياء تزيد على ألف حديث[1].

الرأي الثاني: التشيع ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

هذا الرأي هو ما ذهب إليه ، معظم الشيعة اليوم، وهو نفس ما ذهب إليه أسلافهم، حيث يرون أن التشيع ظهر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويدفعهم إلى ذلك هدف واحد هو التأكيد على التأصيل الإسلامي أو التأكيد على السند الشرعي للتشيع[2] إلا أن ضياء الدين الريس توصل في بحثه إلى أن أصلهم يرجع إلى عهد علي رضي الله عنه أو على الأكثر في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه[3].

الرأي الثالث: التشيع ولد بعد الفتنة

ظهر هذا الرأي بعد الفتنة واعتراضهم على الحسن بن علي رضي الله عنه حين عزم على لم شمل الأمة بالتنازل على الخلافة لمعاوية ما جعله يصفهم بقوله رضي الله عنه : (**أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية ما أحقن به من دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً، والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير**)[4].

المطلب الثالث : مواقف فرقهم الكبرى من الخلافة الراشدة.

قد ثبت إجماع الأئمة من أهل البيت على تحريم سب الصحابة ، وتحريم التكفير والتفسيق لأحد منهم، إلا من اشتهر بمخالفته الدين ، وأن الإمامة ليست بموجبة لعصمة من اتصف بها عند أهل السنة وبعض الفرق الأخرى عدا الشيعة ، فإن جل فرقها كان لهم موقف معاد لكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة الخلفاء ومن آزرهم لكن أتباعهم افتروا على أئمتهم ما لم يقولوه أو يدعون إليه ، وقد برزت لهم ثلاثة مواقف وهي:

---

[1] العاملي محمد بن الحسن الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة تكملة الوسائل، تح محمد بن محمد الحسين القائيني ، مؤسسة معارف الإمام الرضا ، ط1 ،1379 هـ ، ص159.

[2] مصطفى عبد الجواد محمود، الأحزاب السياسية في النظام السياسي والدستوري الحديث والنظام الإسلامي ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ -2003م ، ص674.

[3] ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ط7، 1979م ، ص99.

[4] الاحتجاج ،ج2 ،ص10.

1 موقف الإمامية الإثني عشرية

وهم الذين يرون أن آخر أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكري ، وهو الذي يخرج في آخر الزمان يملأ الدنيا عدلا يرون أن علي رضي الله عنه هو الوصي ولا تنعقد الإمامة لغيره من الصحابة مطلقا، يقول سليمان الأشقر: وادعت ـ أي الشيعة ـ أن عليا هو الوصي ، وأنه أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، وأنه الأحق بالخلافة من غيره ، وقد تبلور هذا التوجه في مذهب غلا في ذم الصحابة الذين قدموا الثلاثة على علي، وغلا في رفع علي بن أبي طالب فوق منزلته ، وجعل الإمامة حق خالصا لسلالته من بعده، ثم لنوابهم بعد اختفاء إمامهم الثاني عشر كما يزعمون[1].

وعلى ذلك فمن كان من الصحابة حسب زعمهم في صف علي وأهل البيت فهو ممدوح مقرب عندهم ومن كان غير ذلك فقد يحكم عليه بالكفر وإن كان من العشرة المبشرين بالجنة.

2 موقف الزيدية

ذكرنا أن زيد بن علي بن الحسين أجاز إمامة المفضول في وجود الأفضل ، وأقر خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم بينما توقف عن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويمكننا إذًا أن نصل من هذا إلى أنه لم يصرح بوجود نص حديث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو وصية أوصى بها إلى علي ثم انتقلت إلى أبنائه بعده، خلافًا بما كان ينادي به الشيعة حينئذ، فالكيسانية كانت ترى إمامة محمد بن الحنفية ومهديته، وفريق آخر ينادون بإمامة أخيه محمد الباقر، والغلاة تنادي بإمامة بعض آل البيت بل وتعلن قدسيتهم[2] فجاء كلام الإمام زيد (ت 122 هـ) كالسيف القاطع في وجه الجميع.

وذهب محمد أبو زهرة إلى أن الأفضلية التي يقصدها الإمام زيد ليست بسبب قرابة علي بن أبي طالب من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولأن الأفضلية ليست ملازمة للخلافة **فينبغي أن يكون الاختيار لمن هو أقدر على شغل هذا المنصب، مطاعًا من الناس، لا يسبب فتنة بتوليه إمارة المسلمين، ويتم اختياره عن طريق الشورى بواسطة المسلمين الذي يؤمرون الأصلح لهم لا بأن يفرض عليهم شخص معين**[3].

---

[1] عمر سليمان الأشقر، أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والسراط المستقيم ، دار النفائس ، عمان الأردن، ط1، 1413 هـ ، 1993 م، ص24.

[2] علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ،ج2 ، ص160.

[3] محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، مرجع سابق ، ص186.

فالأمر إذًا موكول في النهاية للمسلمين يختارون ما يشاءون ولو وجد من هو أفضل منه ، فكم من فضلاء في أقوالهم وفي ذات أنفسهم ينحون عن الحكم أو لا يولونه لأن الأقوام لا يدينون لهم بالطاعة، ولا يرون المصلحة في توليهم، بل يرون أن الطاعة والمصلحة في تولية غيره[1].

أما اشتراط زيد بن علي أن يكون الإمام من نسل فاطمة سواء من أولاد الحسن أو الحسين دون تعيين واحد منهم بشخصه فقد ربطه بشرط وهو أن كل من يطلب منصب الخليفة من أهل البيت لا بد أن يكون عالما زاهدًا شجاعًا سخيًا يخرج مناديًا بالإمامة[2].

ومع هذا فليست الخلافة عنده بالوراثة وإنما وضع هذا الشرط – أي كون الإمام من أولاد فاطمة – كشرط أفضلية لا شرط صلاحية للخلافة، لأن المصلحة هي موضع الاعتبار عنده كما ذكرنا ، وقد اختلفت آراء الفرق التي تشكلت من أنصاره بعد وفاته بين موافق على نظريته في الخلافة وبين مخالف لها **فالجارودية – أتباع زيد بن المنذر – خالفوا مقالة زيد بن علي في الخلفاء وكفروهم**[3] ، بل وإنهم طعنوا حتى في إمامة بعض أهل البيت ووصلوا إلى تكفير الباقر والصادق بحجة أنهما لم يخرجا ولم يدعوا لنفسيهما بالإمامة ، فمن خرج ودعا لنفسه وجبت طاعته من الله ومن أهل بيته والناس جميعا ، ومن قعد رموه بالكفر[4].

أما السليمانية منهم فقد وافقت قول الإمام زيد حيث **أثبتت صحة خلافة أبي بكر وعمر لأنها صحت عند الإمام زيد ، وأضافوا على ذلك قولهم بأن الخلافة تصح بشهادة رجلين ، قياسا على الشهادة في الأحكام الشرعية ، لكن حملوا الأمة مسؤولية الخطأ في الاختيار الأول للخليفة حيث اعتبروا ذلك اجتهادا لم يصب ، إلا أن الخطأ الذي ارتكبوه هو تكفيرهم لعثمان رضي الله عنه**[5].

وأما الفرقة الثالثة من الزيدية **وهي الصالحية فقد ذهبت مذهب الإمام زيد ولم تخرج عنه ، فخلافة أبي بكر وعمر ثابتة بثبوتها عند علي رضي الله عنه**[6]، وأما عثمان فتوقفوا عنه وقالوا: أمره إلى الله وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة[7] ، هذا مع إثباتهم لإمامة كل من خرج من أهل البيت من أولاد الحسن والحسين دون تحيز إلى أبناء أحد منهما بشرط خروجه للمطالبة بها.

---

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[2] الشهرستاني ، الملل والنحل ،مرجع سابق، ج1 ، ص207.

[3] المرجع نفسه ، ج1 ، ص212.

[4] النوبختي ، فرق الشيعة ، مرجع سابق ، ص54.

[5] الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ،ج1 ، ص214.

[6] النوبختي ، المرجع نفسه ، ص57.

[7] الشهرستاني ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 217.

3 موقف الإمامية

تكفر الإمامية معظم الصحابة ويجعلون على رأسهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ذلك أنهما قد اغتصبا حق علي رضي الله عنه في خلافة ابن عمه وأخرجوا بذلك الخلافة من أهل البيت ، ويعتقدون أنهما السبب في كل ما يحدث للأئمة من غربة وتنكيل. بالإضافة إلى كل هذا فهم يكفرون كل من يروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بيان لضلالهم ، أو إنصاف لأعدائهم عليهم. ولعل أشد فرق الشيعة تكفيرا وطعنا في الصحابة هي الكاملية التي تطعن حتى في علي رضي الله عنه[1].

وعلى كل فعقائدهم في الخلفاء تتقف مع عقائد الإسماعيلية ، فقد عقد محمد باقر المجلسي في كتاب الفتن والمحن من بحاره بابا كاملا سماه باب تمهيد غصب الخلافة والصحيفة الملعونة[2]، جمع فيه أقوال رجال

---

[1] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص23.

[2] هي صحيفة علقت على أسوار الكعبة هذا نصها نقلا عن البحار ،م28 ،ص43 وما بعدها جاء فيها: " بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما اتفق عليه الملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيه اتفقوا جميعا بعد أن أجهدوا في رأيهم وتشاوروا في أمرهم وكتبوا هذه الصحيفة منهم إلى الإسلام وأهله على غابر الأيام وباقي الدهور ليقتدي بهم من يأتي من المسلمين من بعدهم : أما بعد فأن الله بمنه وكرمه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الناس كافة بدينه الذي ارتضاه لعباده فأدى ذلك وبلغ ما أمره الله به وأجب علينا القيام بجميعه حتى إذا أكمل الدين وفرض الفرائض وأحكم السنن اختار الله له ما عنده فقبضه إليه مكرما محبورا من غير أن يستخلف أحدا من بعده وجعل الاختيار إلى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونصحه لهم وإن للمسلمين في رسول الله أسوة حسنة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب٢١ . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا لئلا يجري ذلك في أهل بيت واحد فيكون إرثا دون سائر المسلمين ولئلا يكون دولة بين الأغنياء منهم ولئلا يقول المستخلف إن هذا الأمر باق في عقبه من والد إلى ولد إلى يوم القيامة ، والذي يجب على المسلمين عند مضي خليفة من الخلفاء أن يجتمع ذووا الرأي والصلاح فيتشاوروا في أمورهم فمن يروه مستحقا لها ولوه أمورهم ، وجعلوه القيم عليهم فإنه لا يخفى على أهل كل زمان من يصلح منهم للخلافة. فإن ادعى مدع من الناس جميعا أن رسول الله استخلف رجلا بعينه نصبه للناس ونص عليه باسمه ونسبه فقد أبطل في قوله وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالف على جماعة المسلمين . وإن ادعى أن خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم إرث يورث فقد أحال في قوله لأن رسول الله قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة ، وإن ادعى مدع أن الخلافة لا تصلح إلا لرجل واحد من بين الناس وإنها مقصورة فيه ولا تنبغي لغيره لأنها تتلوا النبوة فقد كذب لأن رسول الله قال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وإن ادعى مدع بأنه مستحق للخلافة والإمامة بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هي مقصورة عليه وعلى عقبه يرثها الولد من والده ثم هي كذلك في كل عصر وزمان لا تصلح لغيرهم ولا ينبغي أن يكون لأحد سواهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فليس له ولا لولده وإن دنا من النبي نسبه لأن الله يقول وقوله القاضي على كل أحد : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ الحجرات: ١٣

الشيعة الذي سبقوه كالكافي في أصوله والقمي في تفسيره وغيرهم ،وأضاف إليهم أقواله ومن جملة ما ذكر أن الخلافة اغتصبت من علي رضي الله عنه واستدل بما ورد في تفسير القمي: حدثنا سليمان بن خالد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ المجادلة: ١٠ قال الثاني قوله تعالى:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ المجادلة: ٧

قال فلان وفلان وأبو فلان أمينهم حين اجتمعوا ودخلوا الكعبة فكتبوا بينهم كتابا إن مات محمد لا يرجع الأمر فيهم أبدا[1].

ففلان الأول هو أبو بكر وفلان الثاني هو عمر أم الثالث أمينهم فهو أبوعبيدة رضي الله عنهم ، أما الشيطان .

ثم إن البيعة لعلي كانت من السماء فقد بايعه بها جبريل وأمر رسول الله الناس أن يبايعوه ، وممن بايعه بها أبو بكر وعمر الذين نقضا البيعة على قولهم ، تعاهدوا أن لا يصير الأمر إلى علي ، ونسجوا لذلك دليلا نسبوه إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ؛ جاء في الإرشاد أنه بعد عقد البيعة لعلي رضي الله عنه وتعيين حذيفة واليا على المدائن قام على المنبر وخطب بعد حمد الله وأثنى عليه: الحمد لله الذي أحيا الحق وأمات الباطل وجاء بالعدل وأدحض الجور وكبت الظالمين : أيها الناس إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقا حقا وخير ما نعلمه بعد نبينا محمد رسول الله وأولى الناس بالناس وأحقهم بالأمر... وأعزهم مقاما أخي رسول الله وابن عمه وأبي الحسن والحسين وزوج فاطمة الزهراء البتول سيدة نساء العالمين فقوموا أيها الناس فبايعوا[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وكلهم يد على من سواهم) فمن آمن بكتاب الله وأقر بسنة رسول الله فقد استقام وأناب وأخذ بالصواب ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحق والكتاب وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه فإن في قتله صلاحا للأمة وقد قال عليه الصلاة والسلام : من جاء إلى أمتي وهم جميع ففرقهم فاقتلوه واقتلوا الفرد كائنا من كان من الناس فإن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب ولا تجتمع أمتي على الضلال أبدا وإن المسلمين يد واحدة على من سواهم وإنه لا يخرج من جماعة المسلمين إلا مفارق لهم ومعاند لهم ومظاهر عليهم أعداءهم فقد أباح الله ورسوله دمه وأحل قتله ، وكتب سعيد بن العاص باتفاق ممن أثبت اسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم سنة عشرة من الهجرة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

[1] محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، م 28، الكتاب الثامن ،القسم الأول ، الباب الثالث ، دار الرضا للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص36.

[2] المصدر نفسه، م 28 ، ص 37.

وبعد أيام قدم على حذيفة رجل فقال: وجدت الناس يتحدثون أن رسول الله أمر الناس أن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين وإن جبريل أتاه بذلك عن الله عز وجل فقال حذيفة: صدق رسول الله وأنا قد سمعت جبريل عليه السلام يسلم على علي بإمرة المؤمنين وحدثتهم الحديث فسمعني عمر بن الخطاب وأنا احدث الناس في المسجد فقال لي: أنت رأيت جبريل وسمعته اتق الله ، ثم ذكروا قصة بريدة وسماعه لهذا الحديث ، وأنه وقف في وجه أبي بكر وعمر[1].

قال حذيفة: رجع بريدة من الشام وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع الناس أبا بكر فأقبل بريدة وقد المسجد أبو بكر على المنبر وعمر دونه بمرقاة فناداهما من ناحية المسجد: يا أبا بكر ويا عمر قالا ومالك يا بريدة أجننت؟ فقال لهما: والله ما جننت ولكن أين سلامكما بالأمس على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين ، فقال له أبو بكر: يا بريدة الأمر يحدث بعده أمر وإنك غبت وشهدنا والشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لهما: رأيتما ما لم يره الله ورسوله ؟ ووفى لك صاحبك بقوله: لو فقدنا محمدا لكان قوله هذا تحت أقدامنا – وحاشا أبا بكر وعمر أن يفتريا على رسول الله أو يخالفا أمره[2] – إلا أن المدينة حرام علي أن أسكنها أبدا حتى أموت[3].

كما فسروا قوله تعالى : بأن الله أمر نبيه عن طريق جبريل وفرض عليه البلاغ فقال له جبريل: أن الله يأمرك أن تفرض ولايته غدا إذا نزلت منزلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا جبريل غدا أفعل ذلك إن شاء الله ، وسار حتى وصل غدير خم وصلى بالناس ، ودعا عليا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد علي اليسرى بيده اليمنى ورفع صوته بالولاء لعلي على الناس أجمعين وفرض طاعته وفرض عليهم وأمرهم أن لا يختلفوا عليه بعده وخبرهم أن ذلك أمر الله ...وقال: (**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**)[4].

لكن حسب قول الشيعة فإن أبا وعمر ومعهم عبيدة لم ينصرفوا على خير بل تناجوا فيما بينهم وأضافوا إلى حلفهم سالم مولى أبي حذيفة وعلقوا صحيفة بجدار الكعبة تعاهدوا فيها على نقض بيعة علي وردها إلى أبي بكر بعد حديث الغدير وفي هذا يقول المجلسي رواية عن حذيفة: واجتمع القوم جميعا وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر، وكان أول ما في الصحيفة النكث لولاية علي بن أبي طالب

---

[1] المصدر نفسه ، ص39.

[2] حاشا أن يفعل ذلك أبو بكر أو عمر ،كيف وأبو بكر قد أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبعد من هذا حين أنفذ جيش أسامة لقتال الروم وهو في أشد الحاجة إلى أصحابه كي يقفوا معه في وجعه الردة من متنبئين ومن مانعي الزكاة.

[3] المجلسي ، بحار الأنوار ،المصدر نفسه، ص40.

[4] المصدر نفسه ، ص42.

، وأن الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج منهم وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلا هؤلاء هم أصحاب العقبة ، وعشرون رجلا آخر واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة بن الجراح وجعلوه أمينا عليها[1].

وهذا القول في رأينا إنما نسجوه وفق ما حدث في سقيفة بني ساعدة ، وقولهم لا يصمد أمام النقد ولا يصمد أمامه ، وإن صدق فنقض البيعة من الذين شهدوا بيعة العقبة وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبله حتى مجانين المسلمين، فكيف بعقلائهم؟.

المطلب الرابع: مجمل عقائدهم في أئمتهم ونقدها

لأن فرق الشيعة تميزت عن غيرها من الفرق بأن جعلت العصمة ممتدة في الأئمة، من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أدى امتداد السنة إلى آخر إمام عندهم وهو ما سينجر عنه أحكاما عقدية فمصدر التشريع سيبقى الإمام الذي حل محل النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى ينقرض آخر إمام من أئمتهم وعليه فلا بد من الوقوف على أهم عقائد الشيعة ، ذلك أن اعتقادهم في أئمتهم ، ترتبت عنه مجموعة من العقائد ، وهو ما يحتاج إلى تبريرات بأدلة نقلية حتى يقيموا الحجة على غيرهم وفيما يلي سنذكر مجمل عقائدهم التي كان لها أثر حتى على عقيدتهم في توحيد الله تعالى، ثم نورد أهم الأدلة عليها .

1 عقيدتهم في علي رضي الله عنه

قالوا أن الشرك المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]

قالوا أن الشرك في الآية هو إشراك غير علي في الولاية ، جاء في الكافي ، وفي تفسير القمي الذي يعتبر عمدة تفسيرهم، وفي غيره من مصادرهم تفسيرها بما يلي: **يعني إن أشركت في الولاية غيره**[3]، وفي لفظ آخر: **لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك**[4]. وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[5].

ومما جاء في تلخيص الشافي للطوسي في تفسير قوله تعالى : أنها وردت في ولاية علي رضي الله عنه وقد استدل على ذلك بحديث أبي ذر قال : (**أما وإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في**

[1] المصدر نفسه ، ص43.

[2] سورة الزمر ، الآية 65.

[3] الكليني ، الكافي، مرجع سابق ، ج1، ص426.

[4] المرجع نفسه ، ص427 ، تفسير القمي، ج2 ، ص251.

[5] البرهان، ج4، ص83.

المسجد فسأل سائل شيئا فلم يعطه أحد شيئا ، وكان علي راكعا فأومأ بخنصره إليه – وكان يختتم بها – فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره فتضرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل يدعوه فقال : (اللهم إن أخي موسى سألك قال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري فأوحيت إليه: قد أوتيت سؤلك يا موسى؛ اللهم وإني عبدك ونبيك فاشرح لي صدري و يسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي اشدد به ظهري) [1]، فأنزل الله قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ ﴾[2]. قال أبو ذر: **فوالله ما أستتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة حتى هبط عليه جبريل بهذه الأية**[3].

2 عقيدتهم في الأئمة

2 – 1 وجوب معرفة الأئمة

عقد الكليني في الكافي بابا في معرفة الإمام جاء فيه: أن ابن الفضيل حدث عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا – كأنه أشار إلى عبادة جماهير الناس – قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم وآله وموالاة علي والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله من عدوهم ، هكذا يعرف الله عز وجل[4].

كما وردت رواية أخرى عن محمد بن مسلم قال : **سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول ، وهو ضال متحير والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها**[5].

وجاء عنه في تفسير لآية الأعراف ، قوله تعالى:﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾[6] أن أئمة أهل البيت هم الأعراف وهم الذين يعرف الله بهم ، ففي رواية عن أبي عبد الله أن

---

[1] أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تلخيص كتاب الشافي في الإمامة وإبطال حجج العامة، تح السيد حسن بحر العلوم، القسم الثاني ، ج1 ، ص ص18،19.

[2] سورة المائدة ، الآية 55.

[3] محمد بن الحسن الطوسي ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] الكليني ، الكافي ، تح علي أكبر الغفاري، مطبعة الحيدري، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران، ط5 ، ج1 ، ص180.

[5] المرجع نفسه ، ص 183.

[6] سورة الأعراف ، الآية 46.

ابن الكواء جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم؟ فقال: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه ، ولو شاء الله لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا ،أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء بين من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ،وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاذ لها ولا انقطاع[1].

وقد رد ابن كثير بتفسير هذه الآية حيث قال أنها تبين ما عليه أهل الشرك من إعراض عن عبودية الله وحده، وهي جواب للمشركين حين طلبوا الخروج من النار، والرجعة إلى الدنيا فقالوا: فهل إلى خروج من سبيل فكان جوابهم: ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وتركتم توحيده وإن يشرك به غيره من الأصنام أو غيرها تؤمنوا بالإشراك به وتجيبوا الداعي إليه[2].

2 – 2 من لم يعرف الإمام فقد أشرك

يقول الكليني عن أبي جعفر في قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ ﴾ [3]

بأن **لعلي ولاية ولا يجب أن يشرك به من ليست له ولاية**[4].

كما أخذوا من هذه النصوص وغيرها الحكم بتكفير من عداهم من المسلمين، خليفة كان أو بشرا من عامة الناس ، قال المجلسي: **اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر يعني على من لا يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون في النار**[5].

وإذا كان التوحيد هو أصل قبول الأعمال، والشرك بالله سبحانه هو سبب بطلانها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾[6] فإن الشيعة جعلوا ذلك كله لولاية الإثنى عشر، وجاءت رواياتهم لتجعل المغفرة والرضوان والجنات لمن

[1] البغوي ، تفسير البغوي ، ج 4 ، ص 93

[2] ابن كثير ،التفسير ، ج4 ، ص79.

[3] سورة غافر، الآية 16.

[4] المجلسي، بحار الأنوار، ج23 ، ص364، وانظر تفسير القمي ، ج2 ، ص256، وأصول الكافي،ج1 ،ص221.

[5] المجلسي ، بحار الأنوار ، ج 23 ،ص390.

[6] سورة النساء ، الآية48.

اعتقد الإمامة ، وإن جاء بقراب الأرض خطايا، والطرد والإبعاد والنار لمن اتقى الله وهو لا يدين بإمامة الاثنى عشر، فقالوا : إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة[1].

المطلب الخامس: الولاية ونظرية العصمة

1 الولاية

ذهب الشيعة إلى أن الولاية أحد أركان الإسلام ، وعقد الكليني لذلك بابا كاملا سماه باب دعائم الإسلام ، وقد حوى هذا الباب جملة من الأحاديث عن أبي عبد الله ، وجعفر الصادق وغيره ، تذكر كلها أن الولاية ركن لايمكن تركه ، فعن عمرو بن حريث قال دخلت على أبي عبد الله وهو في منزل أخيه، فقلت جعلت فداك ألا أقص عليك ديني؟ قال: بلى. قلت: (**أدين الله بشهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والولاية لعلي أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والولاية للحسن والحسين ، والولاية لمحمد بن علي ، ولك من بعده صلوات الله عليهم**)[2].

وعن زرارة عن أبي جعفر قال: (**بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة ن الزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية. قال زرارة. فقلت: أي شيء من ذلك أفضل. قال: الولاية أفضل لأأنها مفتاحهن ، والوالي هو الدليل عليهن**)[3].

كما أنها – أي الولاية – ليست من المصالح العامة التي يتدخل فيها العنصر البشري ، وقد عقد ابن خلدون فصلا جليلا في مقدمته عرّف فيه بعقيدة المذاهب الشيعية في الإمامة وقال أنهم يقولون : **الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى الأمة ، ويتعين القائم بها بتعيين الأمة له، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجزو لنبي إغفالها وتفويضها للأمة، بل يجب عليه أن يعين الإمام لهم، يكون هذا الإمام معصوما من الكبائر والصغائر**[4].

بل إن الغلاة منهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث ألّهوا الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا فرائضها ، وقد ذكر البغدادي منهم : **البيانية ، والمغيرية ، والجناحية، والمنصورية، والخطابية ، والحلولية**

[1] الكليني ، أصول الكافي ، ج2 ،كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائم الإسلام ، ح10 ، ص437.

[2] المصدر نفسه ،باب دعائم الإسلام ، ح14 ، ص 438.

[3] الكليني ، المصدر نفسه ، ح5 ، ص435.

[4] ابن خلدون، المقدمة ، المرجع السابق ، ص196.

ومن جرى مجراهم في اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق [1].

ومهما بلغ خطأ الشيعة بمختلف طوائفها إلا أن أهل العلم ومن سبقهم من السلف الصالح لم يكفر منهم أحدا إلا من كان كفره بواحا وهذا حجة الإسلام يقول في مسألة الإمامة ومن جعلها أصلا من أصول الدين: **واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيئا منه تكفيرا ، وقد أنكر ابن كيسان ، أصل وجوب الإمامة ولا يلزم تكفيره ، ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة ويجعلون الإيمان بالإمامة مقرونا بالإيمان بالله وبرسوله ، ولا إلى خصومهم المكفرون لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة**[2].

2 نظرية العصمة

من خلال ما تم عرضه نجد أن الفكر الشيعي يركز على رموز السلطة أكثر من تركيزه على القاعدة الأساسية للسلطة وهي الشعب ، فالإمام عنده يمنع الظلم والتجاوز والفساد ، ويتحمل الأمانة ، ويهدي الناس إلى صراط الحق[3]. وقد مر نظام الحكم في المذهب الشيعي بمرحلتين زمنيتين : مرحلة المعصوم ، ومرحلة ما بعد المعصوم ، ففي الأولى نجد أن نظريتهم تنص على أنها إلهية المصدر أن الرجل المعصوم على رأس التجربة الإسلامية هو النبي صلى الله عليه وسلم والوصي عليه السلام الذي يتولى الحكم المطلق ، وله الحاكمية في قيادة التجربة الإسلامية وتوجيهها ، وهي حاكمية واسعة تشمل أموال الناس ، بل وحتى أنفسهم[4].

وقد لخص الطبطبائي نظريتهم بقوله: **نعتقد نحن الشيعة أن الله تعالى قد نصب الإمام أمير المؤمنين – عليه الصلاة والسلام– خليفة على المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن بعده الأحد عشر من أولاده**[5].

لكن ما يلاحظ في نظريتي الإمامة والعصمة بالنسبة للفكر الشيعي هو عدم خروجهما إلى حيز التطبيق حيث لم تتح لهاتين النظريتين فرصة التطبيق على أرض الواقع إذا ما استثنينا فترتي حكم علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما ، فهما الوحيدان من المعصومين الذين مارسوا الحكم في الإسلام إلا أن هذه

---

[1] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص23.

[2] أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مرجع سابق ، ص62.

[3] محمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، البيعة عند مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث ، دراسة مقارنة في الفلسفة السياسية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، 1998 م ، ص302.

[4] المرجع نفسه ، ص303.

[5] محمد حسين الطبطبائي ، نظرية السياسة والحكم في الإسلام ، ترمحمد مهدي آصفي، المكتبة الإسلامية الكبرى ، مؤسسة البعثة ، طهران ، ط3 ، 1402هـ ، ص35.

الممارسة لا نعدها في نظرنا ممارسة شيعية لأنهما رضي الله عنهما سبقا ظهور الفكر الشيعي في الممارسة ، وإن عدهما الشيعة أول الأئمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: المعتزلة أصولهم وأهم فرقهم وتأثيرهم السياسي

ظهر الفكر الإعتزالي في ظل الصراع على السلطة ، وكان لهذه الأخيرة تأثيرا مباشرا على الخلافة حيث ، لذلك سنقف في هذا المبحث على هذه الفرقة وآرائها العقدية في مسألة الخلافة ، وذلك ببيان أصولهم وفرقهم الأساسية ، ثم ننتقل إلى بيان تأثيرهم السياسي ومواقفهم من الخلافة الراشدة الحكم.

المطلب الأول: أصول المعتزلة وتأثيرهم السياسي.

1 أصول المعتزلة

لم تكن للمؤرخين نظرة واحدة حول ظهور المعتزلة وكذا الأصل التاريخي لنشأتهم إلا أن معظمهم ذهب إلى أن النقطة التي انطلق منها الفكر الاعتزالي هي مجلس الحسن البصري الذي اعتزله واصل بن عطاء ، والذي انظم إليه مباشرة عمرو بن عبيد.

وقد نشرت العديد من الأبحاث في أصول الفرق وتسمياتها تؤكّد أنّ المعتزلة لم تكن في يوم ما امتداداً لأولئك النفر الذين اعتزلوا الصراع أيّام عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وأيام الإمام عليّ كسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم[1] ، بل إن الإمام بن المرتضى يحاول أن يظهر أنهم أقدم من ذلك كثيرا فقد وضع لهم سندا ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو يروي عن أبي إسحاق بن عياش إنه قال عن المعتزلة: **وسند مذهبهم أصح أسانيد أهل القبلة إذ يتصل إلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وقد اخذ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد المذهب عن أبي هاشم ، وأخذه هذا عن أبيه محمد بن الحنفية ، وهذا عن والده علي بن أبي طالب ، وأخذه علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**[2].

والذي تفيده هذه المبادئ هو أنّ اعتزال واصل وأصحابه كان موقفاً تحرّرياً معارضاً لجماعة الحكم ومدرسته الثقافية ، ويؤكّد ذلك نضالهم الفكري العنيد ضد الإرجاء والجبر اللذين تدعمهما مدرسة السلطة ، وبالرغم من اختلاف رجالها في كثير من الآراء إلا أنهم يتفقون في خمسة مبادئ، وهي ما تسمى عندهم الأصول الخمسة ، وهذه الأرصول هي : **التوحيد، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**[3].

---

[1] زهدي جار الله ، المعتزلة ،دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، دط ، 1974 م، ص12.

[2] ابن المرتضى ، المنية والأمل ، مرجع سابق ، ص5.

[3] صالح زين العابدين ، الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، 1397هـ -1977م ، ص28.

وهناك من يقول أن الفكر الاعتزالي قد ظهر في الساحة الإسلامية في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء ويعد هذا الأخير رأسا للاعتزال وهو الذي ذهب إلى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين، فلا هو مؤمن كما يقول أهل السنة ، ولا هو كافر كما تقول الخوارج [1].

هذه الدائرة الواسعة من الكلام ، والتي شكّلت أركاناً أساسية في عقيدة المعتزلة ، كان مصدرها الواقع الإسلامي والصراع (الفكري ـ السياسي) الدائر فيه ، وكذا ميول بعض الحكام إلى الاعتزال كما فعل الخليفة العباسي ـ المأمون ـ والذي ترجع إليه اليد العظمي في ظهور الاعتزال.

إلا أن المعتزلة أنفسهم يرون أن مذهبهم يعود في أصوله إلى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؛ فهم يعدونهم من شيوخهم ، **فالقاضي عبد الجبار الذي يعد المؤرخ الحقيقي والبارع، الذي نظم الفكر الاعتزالي ودافع عنه ، وأرسى قواعده، يعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و أبو بكر وعمر في الطبقة الأولى من طبقاتهم**[2]، كما يذكر الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وأصحاب علي وابن مسعود في الطبقة الثانية، ونسب إليهما قاعدة العدل والتوحيد ؛ **كما يعد أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي وأخوه الحسن ، والحسن البصري الذي اعتزله واصل وابن سيرين في الطبقة الثالثة من أئمتهم**[3] .

وهذا ما يدل على أن الاعتزال كان أقدم من واصل بن عطاء ؛ والذي يطرح علامة استفهام. هو كيف يمكن الجمع بين النقيضين في أصل واحد ، فإذا كان الحسن البصري من طبقات المعتزلة فأين مقام واصل بن عطاء منهم والقاضي عبد الجبار يعده على رأس الطبقة الرابعة[4]؟

الإجابة على هذا التساؤل حسب رأينا هي أنهما وإن اختلافا في مسألة معينة فهذا لا يعني نفي الاعتزال عنهما لأن المعتزلي هو كل من حقق أصل من الأصول الخمس المتفق عليها مهما كان توجهه المذهبي وذلك ما بينه إبراهيم يوسف حيث قال: **مخالفة واصل لأستاذه في مسألة مرتكب الكبيرة لا تلغي مخالفته له في باقي الأصول ،واستدل بما قرره أبو بكر الخوارزمي في رسالة من أن المعتزلة كانوا يعتدون بالحسن البصري اعتداد الحجازيين بالشافعي والزيدية والإمامية بالمهدي**[5].

---

[1] هانم إبراهيم يوسف ، أصل العدل عند المعتزلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، 1993 م ، ص17.

[2] أبي القاسم البلخي و القاضي عبد الجبار ووالحاكم الجشمي ، الكتاب الثاني، القاضي عبد الجبار ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر، دط ، دت ، ص 214.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه ، ص 229.

[5] هانم إبراهيم يوسف ، المرجع السابق ، ص 20.

وعند الوقوف على هذه الآراء وتحليلها نصل إلى أن نشأة الاعتزال لم يكن في الواقع مع حادثة اعتزال واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصري، بل نجد أنه أسبق من ذلك، فهو يعود إلى أيام خلفاء بني أمية ، وعليه فالفكر الاعتزالي قبل أن يكون عقديا فهو سياسي بامتياز ؛ وخير دليل على ذلك أن اسم المعتزلة ظهر أيام الجمل والفتنة بين علي ومعاوية . رضي الله عنهما . وهو الرأي الذي ذهب إليه . ألفونسو نلينو. أثناء تحقيقه لكتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، الذي يرى أن المعتزلة المتكلمين إنما هم امتداد المعتزلة السياسيين، ولم يكن طرح مسألة مرتكب الكبيرة طرحا دينيا بحتا ، حيث أثيرت هذه المسألة في ذلك الوقت تحت ضغط العوامل السياسية[1] .

أما الطبري فقد ذكر أن الاعتزال راج في أيام الجمل وقد وافقه من المحدثين أحمد أمين ونقل علية روايته عن الأحنف بن قيس ، حيث سئل أيام الجمل عند رجوعه من عند علي فلقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال : إلى رأيك؟. قال: الاعتزال. **وهذا ما ذهب إليه النوبختي قبل جميع من ذكرنا حين نسب الاعتزال إلى الجماعة الذين اعتزلوا الحرب في خلافة علي عليه السلام**[2].

إلا أن الملطي هو أول من أنصف المتعزلة وبين أصولهم على حقيقتها فقال: **المعتزلة هم أرباب الكلام، وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم، وهم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر، إذ اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا: نشتغل بالعلم وبالعبادة فسموا بذلك معتزلة**[3].

وهذه الأقوال كلها توحي بأن الاعتزال لم يظهر هكذا فجأة في مجلس الحسن البصري بل له جذور قبله، فالبغدادي مثلا يعود به إلى فتنة الأزارقة واختلافهم في أصحاب الذنوب[4] ؛ وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الارتباط الوثيق بين فكر الخوارج والفكر الاعتزالي حول مسألة أخذ الناس بذنوبهم، ومهما كانت المسألة فإن النتيجة أن الاعتزال له علاقة مباشرة بمسألة الخلافة ، لأن منهم الرؤوس الذين حركوا الناس، حملوا السلاح وجمعوا حولهم من استطاعوا من الناس ، ووقفوا في وجه الخليفة أو نصروا غيره ضده.

---

[1] سميح الدغيم ، فلسفة القدر عند المعتزلة، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص84.

[2] أبو الحسن محمد بن موسى النوبختي ، فرق الشيعة ، تح هـ ريتر ،مطبعة الدولة ،اسطنبول ،تركيا ، دط ، 1931، ص6.

[3] محمد بن أحمد الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زاهد الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة، دط ، 1949م ، ص41.

[4] عبد القاقر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص117.

والذي ينظر في أقوال مؤرخي التاريخ الاعتزالي يجد في روايات النوبختي والملطي ربطا وثيقا بين معتزلة الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان ، و الفتنة أيام علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وبين ماء جاء به واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، فالنوبختي يقول : **فرقة منهم اعتزلت مع سعيد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي،مولى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وامتنعوا عن المحاربة معه بعد دخولهم في بيعة الرضا به فسموا بذلك معتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد**[1] .

بينما تتضارب أقوال الملطي في روايتين: الأولى يرجع فيها الاعتزال تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لصالح معاوية فيقول : **عندما بايع الحسن بن علي . عليه السلام . معاوية، سلم له الأمر ، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعبادة، فسموا بذلك معتزلة**[2].

أما الرواية الثانية فإنه يصل فيها بين اعتزال واصل وأهل المدينة فيقول: **كان بالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء جاء به من المدينة**[3].

أما البلخي والقاضي عبد الجبار من بعده فقد ذكرنا أنهما يصلان المعتزلة بأبي بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم. وهناك رأى آخر لا نراه أقل أهمية من الآراء السابقة رغم مخالفته لها ولعله الأصوب، وهو الرأى الذي ذكرته – سوزانة دقلد قلزر– في مقدمتها لتحقيق كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى ، حيث تشك في صحة قصة مفارقة واصل حلقة الحسن البصري ،قولها : **قيل سمو بذلك لرجوع عمرو بن عبيد إلى قول واصل بن عطاء في الفاسق، وخالف الحسن وذلك أنه لما خالف واصل آراء أهل زمانه في الفاسق واعتزلها كلها واقتصر على المجمع عليه وهو تسميته فاسق، ورجع عمرو بن عبيد إلى قوله بعد مناظرة وقعت بينهما، وسمي أصحابه معتزلة لاعتزالهم كل الأقوال المحدثة، والمجبرة تزعم أن المعتزلة لما خالفوا الاجماع سموا معتزلة**[4].

---

[1] الملطي ، التنبيه والرد على البدع ، المرجع السابق ، ص7 وما بعدها.

[2] المرجع نفسه ، ص41.

[3] المرجع نفسه ، ص 42.

[4] أحمد بن يحي بن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، تح وزانة ديقلد قلزر ، دار الكفر ، بيروت ، ط 2 ، 1407هـ – 1987م ، مقدمة المحقق ، ص(ح).

كما أن هناك رواية أخرى ذكرها سامي النشار يرجع فيها أصول ذلك الفكر عند الجعد بن درهم إلى **أصول يهودية فلسفية، إذ أنه أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي**[1].

ولا ننسى أن المعتزلة عرفت بمقالة خلق القرآن التي قال عنها اللالكائي : **أما مقالة خلق القرآن فكان أول من قال بها الجعد بن درهم، في خلافة هشام بن عبد الملك وأخذها عن بشر المريسي، وكان صباغا يهوديا** [2].

أما هاملتون(Hamilton) فيقرر أن حركة الإعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري **كرد فعل للتطرف المذهبي، لتعصب الخوارج من ناحية ولتراخي المرجئة من ناحية أخرى**[3].

أما الرأي الذي نميل إليه فهو ما ذهب إليه الباحث علي عباس مراد حيث عرض الآراء الثلاثة في نشأتهم ثم قومها فخلص إلى رأي جامع مفاده أن الخلافات التي نشبت بين المسلمين بشأن خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحداث الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان ، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بعد مقتل علي رضي الله عنه ، **تشكل منها الإعتزال السلبي (عدم الخوض في السياسة) ، ومواقف أخرى ذات طبيعة إيجابية تحددت ملامحها مع قول واصل بن عطاء في مرتكب الكبيرة**[4]. نظيف إليه قولنا بأن النوع الثاني هو الإعتزال الثاني — المذهبي العقدي – يختلف تماما عن الاعتزال الأول حيث اقتم السياسة وقادها كما سنعرف ذلك في تأثيرهم السياسي أيام الخلافة العباسية.

2 تأثيرهم السياسي

تأثر الحكم في دولة بني أمية ودولة بني العباس بالفكر الاعتزالي ، وقد بدأ التأثير السياسي للمعتزلة مع يزيد بن الوليد ، بعدما كان حظ القدرية الأولون[5] سيئا لأنهم جلبوا على أنفسهم سخط الأمة وغضبها ما جعلهم يتعرضوا لنقمة الخلفاء الأمويين الذين تتبعوهم بالقتل والاضطهاد فلما قام القدرية الجدد أدركوا ناحية

[1] محمد العبدة وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، ضمن السلسلة الثانية دراسات في الفرق، دار الأرقم برمنغهام، ط1، 1408هـ -1987م، ص102.

[2] اللالكائي ،ج3،ص382، نقلا عن محمد العبده وطارق عبد الحليم، المرجع السابق،ص103.

[3] هانم إبراهيم يوسف، أصل العدل عند المعتزلة، مرجع سابق، ص18، نقلا عن
.Hamilton.a.r.mouhammedanism,p88

[4] علي عباس مراد ، الإمامة والثورة في فكر المعتزلة ، مجلة العلوم السياسية للبحوث والدراسات ، جامعة بغداد ، ص22.

[5] يقول زهدي جار الله: القدرية والمعتزلة أصبحوا بعد ظهور الاعتزال فرقة واحدة، إذ اندمج القدرية بالمعتزلة وذابوا فيهم ، ولذلك فإن المؤرخين العرب القدامى في كلامهم عن الفرقة الجديدة يستعملون غالبا اسم المعتزلة وأحيانا اسم القدرية ، وإن كنا نميل إلى القول بأن المعتزلة ليسوا كلهم من القائلين بالقدر ، لذلك لا يمكن تعميم تسمية القدرية على جميع المعتزلة.

الضعف فيهم فخطر لهم أن يستعينوا بالسلطة الحاكمة و يستميلونها إلى جانبهم فبذلك فقط يمكنهم أن يظهروا آراءهم بلا خوف ولا وجل[1] ، وقد تهيأ لهم ذلك مع يزيد بن الوليد ، ينقل ذلك جار الله عن الطبري والمسعودي الذي يقول في المروج **أن يزيد بن الوليد حين خرج عن الوليد كان المعتزلة ممن شايعوه وأيدوه حتى تمكن من قتله والفوز بالخلافة ... وكان تأثير القدرية عظيما إلى حد أنهم صاروا يتدخلون في زمنه في الشؤون السياسية تدخلا فعليا ، فإنهم حسنوا له في مرضه أن يأخذ البيعة لأخيه إبراهيم ويجعله ولي عهده**[2]، وقال الطبري **إن يزيد كان قدريا**[3]، كما أن آخر ملك من ملوكهم – الأمويين – كان معتزليا معطلا ، ذلك أن مؤدبه وشيخه هو الجعد بن درهم ، حتى شاعت عليه تسمية الجعدي ، وقد خرجت عليه شيعة بني العباس فقتلته شر قتلة.

المطلب الثاني: أهم فرق المعتزلة

ظهر الفكر الاعتزالي قبل تبلور الفرقة الرئيسية للمعتزلة، وكغيرها من فرق الإسلام فقد عرفت المعتزلة جملة من الانقسامات نتجت عن اختلافهم في بعض المسائل التي خاضوا فيها، وذلك منذ بزوغ فجرهم، وقد ذهب مؤرخو الفرق إلى أن أول فرقة ظهرت من فرقهم هي **الواصلية التي تنسب إلى واصل بن عطاء الغزال (ت 131هـ)، وعمرو بن عبيد الذين قالا بأن الفاسق مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين في الدنيا ومخلد في النار في الآخرة**[4]، أما الفرقة فاشتهرت هذه الفرقة بمصطلح : **أصحاب المنزلة بين منزلتين**[5]. وعلى كل فقد بين البغدادي فرق المعتزلة فقال: أما القدرية المعتزلة فقد افترقت على عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها، وهذه أسماء فرقهم: **الواصلية ، والعمورية ، والهذيلية ، والنظامية**[6]،

---

[1] زهدي جار الله ، المعتزلة ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، دط ، 1974 م ، ص156.

[2] زهدي جار الله ، المعتزلة ، ص157.

[3] ابن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج6 ، ص46.

[4] عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، مرجع سابق ، ص118.

[5] يذكر عمار طالبي في كتابه آراء الخوارج الكلامية أقوال السلف في المعتزلة حيث يقرنونهم بالخوارج والجهمية، ثم يبين وجه الاختلاف بينهم حيث يقول : قال القدماء: المعتزلة محانيث الخوارج ، وذلك أن واصل بن عطاء وافق الخوارج في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا ولم يتوبوا ، ثم بين أنه يخالفهم بالقول بالمنزلية بين منزلتين. كما يشير الإسفرايني إلى أن الخوارج هم الذين تحولوا إلى الاعتزال في القرن الرابع للهجرة، أنظر آراء الخوارج الكلامية ،ص184وما بعدها.

[6] ذكر البغدادي أهم مقولات النظام، وبين أن أبا إسحاق بن سيار المعروف بالنظام تأثر في شبابه بقوم من الثنوية، وخالط في كبره ملحدة الفلاسفة، وأخذ عنهم فكرة الجزء الذي لا يتجزأ، وأخذ عن الثنوية فكرة فاعل الخير لا يقوى على فعل الشر ، كما قال بالطفرة ، وأنكر الإجماع والقياس، وحجة الأخبار، وطعن في فتاوى الصحابة، وبعد عرضه لجملة أفكاره انتهى إلى الحكم عليه فقال: وجميع فرق الأمة من فريقي الرأي والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنجارية ، بل وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام، أنظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص132- 150.

والمردادية ، والمعمرية ، والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحلمية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي[1].

ثم أردف قوله بالحكم علم اثنتين بأنها ليست من فرق الإسلام وهما: الخابطية ، والحمارية. غير أن الذي ينظر إلى تقسيم البغدادي هذا ، يتوصل على أنه إنما أراد أن يبلغ به العدد ثلاث وسبعين، والدليل على ذلك أنه ذكر فرق الخوارج والروافض إلى أن وصل إلى هذا العدد ، وقال: **فهذه الجملة التي ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة ، منه عشرون روافض ، وعشرون خوارج ، عشرون قدرية ، وعشرون مرجئة ، و ثلاث نجارية ، وبكرية ، وضرارية ، وجهمية ، وكرامية ، فهذه ثنتان وسبعون**[2].

غير أنه لا يمكن عد بعض هذه الفرق فرقا من الأساس، والدليل أننا لو جمعنا مجمل ما ذكر البغدادي لوجدناها أكثر من سبعين بكثير، فقد تجد مما ذكر منها أن طائفتين أو ثلاث، تختلف في جزئيات بسيطة وعدت فرقا ، كما أن بعضها الآخر إنتهى بموت صاحب المقولة ، فكيف يعد من الفرق؟ ثم أنه إذا تمت فعلا ثلاث وسبعون فرقة في زمن البغدادي ، فسنصل حتما إلى أحد الحكمين ، إما أن الفكر قد توقف وبالتالي توقف معه التأويل. أو أن باب الإجتهاد قد أغلق وحكم على العقل بالموت.

المطلب الثالث: تأثيرهم السياسي في الحكم

مّرتأثير الفكر الإعتزالي على مؤسسة الخلافة بثلاث مراحل تمتد من وفاة عمر بن عبد العزيز إلى بداية حكم البويهيين ، وفي ما يلي نعرض هذه المراحل بشيء من التفصيل

1 المرحلة الأولى

رغم ظهور الفكر الاعتزالي في بداية الحكم الأموي إلا أن بدايات تأثيرهم السياسي لم يكن إلا قبيل وفاة عمر بن عبد العزيز، وتميزت الفترة الأخيرة من حكم بني أمية بحدة النشاط الاعتزالي وتطور فكرهم، ونضج أفكارهم ، غيرت المعتزلة أسلوبها في التعامل مع الحكام ، **حيث قامت المعتزلة القدرية ، وعلموا أن ليس لهم بقاء ما لم يجدوا قوة كبيرة تسندهم وتشد أزرهم**[3] ، مع الإشارة إلى أن معظم مواقفهم السياسية على امتداد عصرهم الذهبي بنيت على مواقف رجالهم الأول ، سياستهم في غالب الأحوال لم تخرج إما عن أصولهم الخمسة أو حوت أصول الشيعة ، وذلك لتأثر رجال الشيعة بالاعتزال أو ميل بعض المعتزلة إلى أهل البيت وتعتبر هذه الفترة حرجة بالنسبة للفكر الإعتزالي ككل ، إذ هي مرحلة المخاض ، وبداية تبلور

[1] عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ،ص 25.

[2] المرجع نفسه ، ص 119.

[3] زهدي جار الله ، المعتزلة ، مرجع سابق ، ص 158.

المذهب ، لذلك لم يبرز النشاط السياسي بشكل كبير، ولم تظهر معالمه إلا في ظل العقائد وأقوال شيوخ الاعتزال بشكل منفرد. ومع تولي الأسرة العباسية زمام أمر الخلافة الإسلامية ، وتحديدا عند تولي أبي جعفر المنصور (137-158هـ).إلى أيام الخليفة هارون الرشيد (170-193 هـ). تحول موقفهم من مؤيدين للحكم إلى معارضين له ، وواقفين إلى جانب أهل البيت ضد المنصور، حيث **يؤكد الأصفهاني أن أبا جعفر المنصور التقى بعمرو بن عبيد وطرح عليه قضية بيعته لمحمد بن الحسن** ، غير أنه يعود ليقول: **أن محمدا دعا عمرو بن عبيد فاعتل عليه وأن أبا جعفر شكر له ذلك** [1].

ويقول ابن قتيبة: **في عهد المنصور رفع المعتزلة رؤوسهم لأن عمرا بن عبيد كان صديقا للمنصور قبل أن تؤول إليه الخلافة** [2] ، وكان المنصور يحترمه ويخضع له، ويطلب منه الموعظة لزهده ؛ إلا أن توجههم ونصرتهم كانت لأسرة أهل البيت[3].

ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه البلاذري الذي يذكر أن المنصور قال لعمرو بن عبيد: **أدع لي أصحابك أستعملهم ، فيجيبه عمرو بقوله: أدعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك ، فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك**[4].

ومن جهة أخرى نجد أن بعض مؤلفي الفرق يذكرون موقفا معاكسا تماما لهذا الموقف **فقد ذهب البلخي في كتاب – فضل الاعتزال– إلى أنهم كانوا يناصرون إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فحين خرج من البصرة خرج معه وقفت المعتزلة والزيدية لمحاربة المنصور ، وهو الأمر نفسه الذي ذكره الأشعري ، والبغدادي ، وابن المرتضى**[5].

كما تميزت هذه المرحلة بظهور المجادلات والمناظرات بين المتكلمين وغيرهم ، سواء كانوا من أهل الملة أو من ديانات أخرى . ما نتج عنه استفحال القول بخلق القرآن[6].

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، مرجع سابق ، ص209.

[2] هو عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في زمانه ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين، مات بحران قرب مكة ورثاه المنصور العباسي سنة (144 للهجرة).

[3] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1، 1346هـ- 1928م ،ج2 ، ص337.

[4] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص233.

[5] أبو القاسم البلخي، فضل الاعتزال ، ص117. وانظر الأشعري ، مقالات الإسلاميين ،ج2 ، ص154، والبغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص231.

[6] ظهر القول بخلق القرآن على يد الجعد بن درهم التميمي وهو أحد المبتدعة ، له أقوال في الزندقة ، يذكر أبن الأثير أنه مات سنة (118 للهجرة) وهو مؤدب مروان بن الحكم الذي كان يلقب بالجعدي نسبة إليه ، انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص246.

هذه المقولة التي لاقت مواجهة عنيفة من أهل الفقه والحديث.،كما تباينت مواقف الخلفاء العباسيين بين مؤيد ومعارض لها ، ولعل أهم موقف معارض في هذه المرحلة هو موقف هارون الرشيد، يقول الطبري: نهى هارون الرشيد عن المجادلة وأمر بحبس المتكلمين[1].

كما ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن **هارون الرشيد بلغه قول بشر بن غياث المريسي[2] بخلق القرآن فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه كما سجن بشر بن المعتمر رأس الطائفة البشرية الذي كان ينظم شعرا في العدل والتوحيد والوعيد**[3].

2 المرحلة الثانية

تميزت بداية هذه المرحلة ببلوغ المعتزلة سدة الحكم ، ومجالستهم للخلفاء والتأثير المباشر في آرائهم فقد استقل المأمون بالحكم بعد مقتل أخيه الأمين سنة ثمان وتسعين ومئة وقد برع في الفقه والعربية ، وعني بالفلسفة و علوم الأوائل ومهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن [4].

وأطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة تسمية العصر الذهبي للمعتزلة؛ يقول الدوري: **بدأ العصر الذهبي للمعتزلة بمكوث أحد زعمائهم (أبو دؤاد) لمدة تجاوزت أثنين وعشرين عاما رئيسا للوزراء في عهد الخلفاء العباسيين السابع والثامن والتاسع: المأمون والمعتصم ، والواثق ، وكان فيها مذهب الإعتزال يمثل المذهب الرسمي للدولة**[5].

وقد علّق الدوري عن هذه المرحلة بقوله: لم تبلغ تعاليم الاعتزال مبلغا من القوة الانتشار في العصر العباسي إلا في عهد المأمون (198-218هـ) ، واشتهر المأمون بالحرص على الدين ومتابعة الملحدين والزنادقة ، حتى قال عنه الفخري: كان المأمون من أفاضل خلفائهم (بني العباس) وعلمائهم ، وحكمائهم[6].

ولا يعد موقف المأمون هذا غريبا بالنظر إلى من تتلمذ على أيديهم ، وهو ما بينه أحمد شوقي إبراهيم حيث استند إلى مجموعة من مؤلفي الفرق ونقل عنهم أن المأمون تتلمذ على يد شيوخ المعتزلة أمثال ثمامة بن الأشرس الذي استوزره فاستعفاه ، ويحي بن المبارك ، وبشر بن غياث ، وأبي هذيل العلاف ، وقد كانوا

---

[1] ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج8 ، ص230 وما بعدها.

[2] هو بشر بن غياث بن مليكة عبد الرحمان المريسي، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة، وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، قيل إن أبوه كان يهوديا ، توفي سنة(218 للهجرة). أنظر السيوطي ،تاريخ الخلفاء، ص274.

[3] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء،مرجع سابق ، ص 274.

[4] المرجع نفسه ، ص293.

[5] عبد الوهاب حميد رشيد ، مقال بمجلة الحوار المتمدن ، العدد 4693 ، 2015/01/16.

[6] عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي والإداري والمالي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط2 ، 2009م ، ص208.

رءوس المعتزلة... فأدى ذلك به إلى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم[1]. وقد امتحن الكثير من الفقهاء ورجال العلم في خلق القرآن فنجى من أجابه كأمثال يحي بن معين، والواقدي ،وعاقب من خالفه كأمثال أحمد بن حنبل ، وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم الخزاعي أن امنع من الفتوى من لم يقل بأن القرآن مخلوق[2].

كما كان للمعتصم نصيب من الإعتزال حيث أوصاه أبوه المأمون بتعضيد القول بخلق القرآن[3] ، فبذل القاضي أحمد بن أبي الدؤاد أقصى جهده في نشر الاعتزال في عصره ، واستغل السلطة التي حصلت له في ذلك ، بالترغيب تارة ، وبالترهيب أخرى[4]، وامتحن المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن فلم يجبه ، فوضعوا عليه بارية ، وداسوه بأقدامهم ، وسحبوه ، ثم أمر المعتصم بتخلية سبيله ، وكان قد قضى في السجن ثمانية وعشرون شهرا[5]. ولما قضى المعتصم وخلفه الواثق، كان المعتزلة قد بلغوا أوج قوتهم، لفأسكرتهم نشوة الظفر، وأعمتهم شهوة التسيطر ، ولذلك حملوا الخليفة الجديد على التمادي في المحنة ، فأشغل نفسه وهو ما أثر في الناس فتزايد نفورهم منه بها[6].

3 المرحلة الثالثة

وهي مرحلة تبدؤ قبيل وفاة الواثق ، حيث خفت فيها تأثير المعتزلة بشكل مباشر على الحكم ، ولعل البداية الفعلية لذلك كانت بفضل تحرك أحمد بن نصر الخزاعي ، الذي كان ممن لا يقول بخلق القرآن ، فساءه الوضع الذي آل إليه الأمر في الفتنة ، فقاد حركة احتجاج ضده ، فقبض عليه والي بغداد وأرسله إليه[7] ، **فعقد له الخليفة الواثق مجلسا للمناظرة ، ولم يسأله عن الشغب الذي أحدثه ولا الخروج عليه، وإنما سأله عن خلق القرآن ، فامتنع أن يقره في قوله ، كما سأله عن رؤية الله يوم القيامة فأقرها ولم ينكرها[8]، فما كان من أمره إلا أن حكم عليه بالكفر ، وقال هذا الكافر الذي يعبد ربا غير الذي نعبده ، وقطع رأسه وبعث به إلى بغداد وصلبه**[9]. ثم حمل إليه أبو عبد الرحمان بن عبد الله بن الأذرمي ،

---

[1] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2000 م ، ص48.

[2] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 295 - 298.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج10 ، 214.

[4] زهدي جار الله ، المعتزلة ، مرجع سابق ، ص174.

[5] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[6] المرجع نفسه ، ص176.

[7] الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج9 ، ص136.

[8] المرجع نفسه ، ص137.

[9] المرجع نفسه ، ص 138.

شيخ أبي داود والنسائي[1] مكبلا بالحديد وفي مجلسه – ابن أبي دؤاد – فلما أدخل : قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فرد عليه الواثق بقوله: لا سلم الله عليك. فرد عليه الشيخ بقوله: يا أمير المؤمنين: بئس ما أدبك به مؤدبك[2] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[3].

فأمر الواثق ابن أبي دؤاد أن يكلمه ، فبادره بقوله في القرآن، فقال الشيخ: لم تنصفني ولي السؤال، قال:سل، قال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق . قال: أعلم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أم لم يعلموه؟ قال: لا. قال الشيخ: شيء لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمته أنت؟. فخجل ابن أبي دؤاد من نفسه ، فأعاد عليه الشيخ نفس السؤال ، فأجابه بقوله علموه ولم يدعوا الناس إليه.فقال الشيخ: **أفلا وسعك ما وسعهم**[4] **، فضحك الواثق ، وقام قابضا على فمه ، ودخل بيتا ، ومد رجليه وهو يقول: وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت ولا يسعنا ، ولم يمتحن أحدا بعدها ، ومقت ابن أبي دؤاد من يومئذ**[5].

فكانت هذه الحادثة بداية للتحول وذلك بعد وصول المتوكل على الله إلى سدة الحكم ، وقد سمى زهدي جار الله هذه المرحلة بمرحلة الضعف والتراجع ، وهي تبدؤ كما قلنا بخلافة المتوكل سنة 232هـ، حيث عمل هذا الأخير بالتدرج في إبعاد المعتزلة عن الساحة الفكرية أولا بإعلانه عن عدم الخوض في مسائل الدين ، ونهيه عن الجدل والمناظرة[6]، وفي سنة (237هـ) أعلن سخطه وغضبه على المعتزلة وعزل أبا الوليد عن المظالم بسامرا ، وعن قضاء القضاة وألقاه في السجن هو و سائر إخوته[7] ، وكان قد ولاه القضاء بعد مرض أبي دؤاد[8].

---

[1] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق ، ص 322.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج10 ، ص321.

[3] سورة النساء ، الآية 56.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، وقد ذكر القصة غير واحد من المؤرخين ، أنظر القصة كاملة عند أحمد شوقي إبراهيم ، المعتزلة وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص 75 وما بعدها.

[5] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص 322.

[6] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج11 ، ص46.

[7] زهدي جار الله ، المرجع نفسه ، ص183.

[8] المرجع نفسه ، ص 184.

وهذا الاختيار الذي سار عليه المتوكل إنما هو نابع من كراهية عامة الناس للمعتزلة بعد هذه الأحداث[1] ، وهو ما جعله – أي المتوكل – يتجه إلى التصدي للمعتزلة لما رآه من قوة الرأي العام ضد الاعتزال وما سببه من مشاكل للدولة. وبفعل المتوكل هذا صار الناس يقولون عنه: إنه أطفأ نار الفتنة وأوقد مصابيح السنة[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] أحمد شوقي إبراهيم ، المعتزلة في بغداد وتأثيرهم على الحياة الفكرية والسياسية ، مرجع سابق ، ص80.

[2] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 157.

المبحث الخامس: أهل السنة ودورهم وموافقهم من الخلافة.

تطلق تسمية السنة على كل ما جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته ويطلق على المتمسكين بها من أهل السنة ، وهي تسمية مدح لهم كما يطلق على المخالفين أهل البدعة تسمية ذم لهم.سنتناول في هذا المبحث التعريف بأهل السنة ، وفرقهم الأساسية ، وموقفها من الخلافة الراشدة ، والخلافة الإسلامية من بعدها .

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة

للوقوف على تعريف أهل السنة ، لابد من تعريف السنة ، ذلك أن تعريفهم جاء من السنة ، يقول الإسفرائيني : وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر تبعا للسنة من هؤلاء ولهذا سمو بأهل السنة. وعليه فلابد من تعريف السنة أولا.

1 السنة لغة

هي الطريقة ، والمنهج ، وهي السيرة سواء كانت حميدة أو غير ذلك، جاء في لسان العرب: السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك يقال فلان من أهل السنة ، معاناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة [1]. يقول ابن فارس: وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته[2].

2 أهل السنة في الإصطلاح

السنة في اصطلاح المحدثين تطلق على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله ، وأفعاله ، وتقريره ، وما همّ بفعله[3] ، وعليه فأهل السّنة هم الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ونقلوا أقواله وأفعاله وتقريراته وعملوا بها .ولذلك عرّفها الآلوسي بقوله: السّنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما سنّه وما أمر به من أصول الدين وفروعه ، حتى الهدي والسّمت[4] ، وانطلاقا من تعريف السّنة عرّف سليمان الأشقر أهلها بقوله : فأهل السنة هم أهل الطريقة السديدة الصافية من الابتداع في الدين ، البعيدة عن كل انحراف عقائدي، الذين اجتمعت كلمتهم على الحق الذي جاء به الكتاب والسّنة ، وكان عليه سلف الأمة من الصحابة ومن نهج نهجهم من التابعين ، ومن تبعهم بإحسان

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة سنّ ، ج17، ص90.

[2] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة سنّ ، ج3 ، ص 61.

[3] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 245.

[4] أبو المعالي محمود شكري الألوسي ، غاية الاماني ، ج1 ، ص 428 ، نقلا عن ناصر بن عبد الله القفاري ، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص25.

إلى يوم الدين[1]. كما تطلق على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل بين الصحابة، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وقد يسمى أهل السّنة ببعض أسمائهم أو صفاتهم المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أئمتهم المقتدى بهم، فقد يطلق عليهم أهل السّنة دون إضافة الجماعة ، وقد يطلق عليهم الجماعة فقط، أخذا من وصف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله:(**إن هذه الأمة ستفترق على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة هي الجماعة**)[3].

ونقل ناصر عبد الكريم العقل قول ابن تيمية أن اسم السلف الصالح يترادف مع اسم أهل السنة، يقول في مجموع فتاويه: وعبارة السلف الصالح ترادف أهل السّنة الجماعة في اصطلاح المحققين، كما يطلق عليهم أيضا أهل الأثر ـ أي السّنة المأثورة ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.ويسمون بأهل الحديث : **وهم الآخذون بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواية ودراية ، والمتبعون لهديه ظاهرا وباطنا، فأهل السنة كلهم أهل حديث بهذا المعنى**[4].

كما تطلق عليهم تسمية الفرقة الناجية والطائفة المنصورة[5] ، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه التسمية تتزاحم عليها كل الفرق ، وكل منها تدعي أنها على الحق وأنها هي الفرقة الناجية يقول الإيجي: وأما الفرقة المستثناة الذين قال فيهم: (**هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي**) ، فهم الأشاعرة ، والسلف من المحدثين ، وأهل السنة والجماعة ، ومذهبهم خال من بدع هؤلاء[6].

وهناك من يطلق عليهم مصطلح أهل السنة والجماعة ، لأنهم اجتمعوا على أمير لما أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلزومه ، ونهى عن بيعة غيره إذا استتب له الأمر ، ومن نكث عن بيعته خرج عن الجماعة ،

---

[1] عمر سليمان الأشقر ، أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم، دار النفائس ، عمان الأردن ، ط1، 1413هـ ، 1993 م ، ص 33.

[2] الألوسي ، المرجع السابق ، ص 53.

[3] أخرجه ابن أبي عاصم، الكتاب والسنة،ج1، ص33، وقال الألباني حديث صحيح بما قبله وما بعده بعد أن ذكر طرفا آخر للحديث.

[4] ناصر عبد الكريم العقل، رسائل ودراسات في منهج أهل السنة (17)، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات المعاصرة منها ، دار الوطن للنشر، ط 1، 1412هـ ، ص11.

[5] غالب بن علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط4 ، 1422هـ – 2001م ، ج1 ، ص101.

[6] عبد الرحمان بن أحمد ، عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام ، عالم الكتب، دط ، دت، ص429-430.

وقد أيد هذا القول ابن عبد البر حين عرف الجماعة بقوله: **والجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير يسمع له ويطاع**[1].

وهناك رأي آخر لابد من ذكره حتى يتسنى لنا بيان معنى الجماعة ومدى ارتباطه بمسألة الخلافة وهو قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وتبعه في ذلك ابن سيرين رحمه الله حيث ذهبا إلى أن معنى الجماعة السواد الأعظم والأغلب من الناس؛ قال ابن مسعود في وصيته لمن سأله عن قتل عثمان –رضي الله عنه :(**عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمته على ضلالة**)[2].

المطلب الثاني: مدارسهم الرئيسية الكبرى وموقف زعمائها من الخلافة

على الرغم اتفاق أهل السنة في الأصول إلا أنهم تمذهبوا في الفقه، وشكلوا أربعة مدارس رئيسية، بينها اختلافات في مسائل فرعية لا تضر بوحدة المسلمين ، بل هي إحدى مظاهر التيسير في الإسلام، لكن فيما يخص العقيدة فقد أصابهم ما أصاب فرق الإسلام الأخرى، ولعل من بين الأسباب محولاتهم في لم شمل المسلمين ، وتقريب آرائهم عن طريق الوسطية في الإسلام ونقف في ما يلي على أهم المدارس العقدية المنسبة إلى أهل السنة الثلاثة وهي: مدرسة المحدثين ، ومدرسة الأشاعرة ، والمدرسة الماتوريدية التي وإن طعن فيها البعض وقال هي ليست مدرسة سنية[3] ، إلاّ أننا نميل إلى قول الإسفرائيني الذي أضاف هذه الفرقة إليهم حيث يقول: أهل السّنة والجماعة ثلاث فرق : الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري ، والماتوريدية وإمامهم أبو منصور الماتوريدي[4] .

1 مدرسة المحدثين. نشأتها أصولها وموقف زعمائها من الخلافة

1 – 1 نشأة المدرسة

يطلق على هذه المدرسة تسمية المدرسة النقلية ، والمدرسة السلفية ، ولها أصولها حيث تعتمد على الكتاب والسنة ، وتلغي العقل أمام النصوص الشرعية وتكتفي بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عنهم بإسناد .

وقد نشأت هذه المدرسة على يد أحمد بن حنبل صاحب أحد المذاهب الأربعة في الفقه ، والذي تتلمذ على يد مالك والشافعي ، واستقل بمذهب فقهي يعلي فيه شأن الحديث إلى أبعد غاية ، وبذلك عدّ ممثلا

[1] رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه(167/1) ، وانظر قوله ومجموعة من الأقوال الأخرى حول مصطلح الجماعة ومعناها لليلى بنت سعيد السابر، الهدي النبوي في التعامل مع من فارق الجماعة ، مجلة الدراسات العقدية ، جامعة المدينة المنورة ، السنة السابعة ، العدد 15، رجب 1436هـ ، ص 181-185.

[2] ابن عبد البر، التمهيد،275/21. نقلا عن مجلة الدراسات العقدية، المرجع السابق،ص183.

[3] غالب بن علي عواجي ، فرق تنتسب إلى الإسلام ، مرجع سابق ، ج3 ، ص

[4] السفرائيني ، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص73.

لأهل السنة ، غير أن مذهبه لم يكتب له الإنتشار كما كتب للمذاهب الثلاثة السالفة ، وإن كان قد ازدهر حديثا على بين الوهابيين[1].

1 – 2 أصولها

يقول الإمام أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك الجدال و المراء والخصومات في الدين ، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، وأنها اتباع وترك للهوى[2].

وبهذا النص يكون الإمام أحمد قد قيد العقل وأبعده عن الاجتهاد أمام النص ، ومنعه من التأويل. وذلك أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقتدين ومتبعين لما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . واستغنوا عن الاجتهاد أو الابتداع، وقد نقل أحمد زمرلي بعض أقوالهم في كتابه . عقائد أئمة السلف . منها ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض**)[3].

وقال أبو بكر الصديق . رضي الله عنه . في خطبته : (**إنما أنا متبع ولست بمبتدع**)[4].

وقال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . : قد فرضت لكم الفرائض، وسنت لكم السنن ، وتركتم على الواضحة ، إلا أن تضلوا يمينا وشمالا. وقال عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . **إنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ما دمنا تمسكنا بالأثر**[5]. ومن هنا يتبين أن خط مدرسة أهل الحديث واضح المعالم ، ولا يحتاج إلى بيان حيث يكتفي المحدث بالنقل والأخذ عن الذين سبقوه جيلا عن جيل دون أن تكون له كلمة فيما نقل ، إنما يكتفي بدراسة السند من حيث الصحة ولا يهتم بالمتن.كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن من أصول الفرقة الناجية أن الإيمان قول وعمل[6] ، قول القلب واللسان، وعمل القلب

---

[1] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 132.

[2] فؤاد أحمد زمرلي، عقائد أئمة السلف، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1، 1415هـ – 1995م،ص19.

[3] المرجع نفسه، ص125.

[4] اللالكائي، أصول الإعتقاد،ج1، ص80، والحاكم في المتدرك،ج1، ص93، و الذهبي في ميزان الإعتدال،ج2، ص302، وانظر كنز العمال،ج1، ص173.

[5] اللالكائي ، أصول الإعتقاد، ج1، ص86، نقلا عن فؤاد أحمد زمرلي، عقائد أئمة السلف، ص125.

[6] يطلق ابن تيمية هذا الإسم عليهم دون غيرهم من أهل السنة

واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي[1].

ومجمل القول أن مدرسة المحدثين كانت كرد فعل تجاه المدرسة الإعتزالية والقائلين بالجبر ولولا مدرسة الإعتزال لما زاد تمسك أهل الحديث بالنقل، لأن معالم توسيع الفكر الإسلامي قد ظهرت بوادرها في الإجتهادات التي قام بها الإمام أبو حنيفة في فقهه الأكبر، وكذا الإمام مالك في مؤطإه، حين نقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوبه، وجعل للرأي فيه نصيب. ولا يعني تقديم النقل إغفال دور العقل وإنما المقصود بذلك أن العقل الصحيح السليم ، هو العقل الذي يكون تابعا وموافقا لما جاء في الكتاب والسنة، يقول أبو جعفر الطحاوي : ولا يعني ذلك ـ أي تقديم الكتاب والسنة ـ إغفال دور العقل في الحياة، وإنما المقصود: أن الفطرة والعقل السليم فهما موافقان ومؤيدان للكتاب والسنة، وتعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح غير متصور أصلا ، بل هو من مستحيل، فإذا جاء ما يوهم ذلك فإن الوحي مقدم ومحكم[2].

1 – 3 موقف مؤسسها من الخلافة

على الرغم من انتماء الكثير من العلماء والفقهاء إلى هذه المدرسة قبل الإمام أحمد بن حنبل ؛ إلا أن هذه المدرسة تعزى إليه بعد ما حدث معه في فتنة خلق القرآن ، وقد كان له موقف واضح تجاه الخلافة والخلفاء ، وهو ما أقره في شرح أصول السنة حيث يقول : ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه ، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية[3].

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية موقف الإمام أحمد وأهل السنة من نصب الإمام في كتابه – السياسة الشرعية – حيث قال :يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها[4].

---

[1] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، العقيدة الواسطية ،، تح علوي بن عبد القادر السقاف، دار السنة ، الظهران ، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ ،ص123-124.

[2] ناصر بن عبد الكريم العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص 24. انظر شرح العقيدة الطحاوية ،ص140-141.

[3] أحمد بن حنبل ، شرح أصول السنة ، بشرح عبد الله الجبرين ، مكتبة دار المسير ، الرياض ، م ع س ، ط2 ، 1420هـ ص100.

[4] عبد الحليم بن تيمية ، السياسة الشرعية ، مرجع سابق ، ص161.

أما الخلفاء الأربعة فهم أولوا الفضل على ترتيبهم ، أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي رضي الله عنهم.

ونشير إلى أن الرجل الثاني بعد أحمد بن حنبل الذي يعد أحد أعمدة المدرسة عند السلفية هو الإمام ابن تيمية رحمه الله والذي يعد المرجع الأساسي لهم ، يرى برأي ابن حنبل وجميع فقهاء السنة ورجال المذاهب الفقيهية السنية ، إذ أنه يتولى الخلفاء الأربعة كما توالاهم السلف ، ويعد الإمامة واجبة على الأمة وهي من المعلوم من الدين بالضرورة ، كما يجوز إمامة المتغلب بعدهم في كل زمان دون قيد فيقول: الواجب اتخاذ الإمامة قربة ودينا يتقرب به إلى الله... ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة[1].

2 مدرسة الأشاعرة ظهورها عقيدة مؤسسها وموقفه من مسألة الخلافة

2 – 1 ظهور المدرسة وانتشارها

هي المدرسة الثانية التي ظهرت في صفوف أهل السنة ، ويرجع أصل تسميتها إلى أبي الحسن الأشعري ، ويعرفها خصومها من أهل المذهب بقولهم : هي فرقة كلامية تؤول الصفات ، وتقول بالجبر والإرجاء ، وتنتسب إلى أبي الحسن الأشعري[2] ، الذي خلع الاعتزال واعتنق مذهب أهل السنة ، وجاء مذهبه كرد فعل عن مواقف الجبرية والمعتزلة حول مسألة أفعال العباد[3] ، حيث ذهب الجهم بن صفوان إلى أن العبد مجبر على الفعل ولا حرية للإنسان في فعله، إنما الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل[4]. بينما رأت المعتزلة أن أن الفعل من خلق الإنسان والله تعالى يقدره على فعلها، وهو ما قرره القاضي عبد الجبار في المغني حيث يقول: اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم ، وقيامهم وقعودهم ، حادثة من جهتهم ، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال إن الله سبحانه خالقها فقد

---

[1] عبد الرحمان بن محمد بن القاسم ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مجموعة رسائل علماء نجد الأعلام ، الرياض ، ط7 ، 1424هـ ، ج9 ، ص61.

[2] خالد بن علي المرضي الغامدي ، نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية ، دار الأطلس الخضراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1430هـ – 2009م ، ص21.

[3] الجبرية أصحاب الجهم بن صفوان . أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، رأس الجهمية، انظر ترجمته عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ،ط1981،1م، ص26.

[4] مرزوق العمري، نظرية الكسب عند الأشاعرة، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 2009م ،ص29. وانظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص211.

عظم خطؤه[1]. وظهرت نظرية الكسب على يدي الأشعري ، وصارت المدرسة تنسب إليه ، على الرغم من أ مسألة الكسب وأفعال العباد قد نوقشت قبل الأشعري وذلك ما يقرره العمري مرزوق حين يقول: **من الذين قالوا بذلك الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر... وبهذا يمكن القول بأن الإمام الأشعري ليس أول من استعمل لفظ الكسب بل الإمام أبو حنيفة**[2].

وقد انتشرت في جميع البلاد الإسلامية وساعدها في ذلك مجموعة من العوامل أهمها: قيام الدولة بالترويج لهم وفي ذلك ينقل بلقاسم غالي عن لويس غردي قوله: بعد أن أنشأ نظام الملك الوزير السلجوقي في المدارس النظامية التي أسسها في نيسابور وبغداد منابر عامة للعقيدة الأشعرية، عند ذاك أحرزت الفوز النهائي على خصومها، وأخذت تزداد حظوة بالنجاح وانتشرت في بلاد فارس على أيام السلاجقة، ثم في مصر والشام على عهد المماليك والأيوبيين، وأخيرا في المغرب على عهد الموحدين وفي مقدمتهم المهدي بن تومرت[3].

2 – 2 عقيدة مؤسسها

ولد الأشعري سنة 303 للهجرة ، ونشأ يتيما فتلقى تربيتة الأولى على يد زوج أمه أبو علي الجبائي وقد تقلب في حياته بين ثلاثة مذاهب عقدية ، حيث نشأ معتزليا ، وذلك بسبب تربية الجبائي له ، ثم أخذ بمذهب ابن كلاب في الصفات ، ورجع في آخر حياته إلى مذهب السلف وأهل السنة[4]. وهي المرحلة التي ينكرها بعض أهل العلم أصلا – كما يقول الغامدي- **ويرى بأن الأشعري رجع من المعتزلة لمذهب ابن كلاب مع إظهاره متابعة السلف والإمام أحمد ، وهو لا يستند في ذلك إلى دليل ، كما ينكر ما يراه البعض بأنه رجع رجوعا كليا إلى مذهب السلف** [5]، دون دليل كذلك ، ويكفي أن نحتج على قوله هذا بما ذكره غالب عواجي الذي بين مراحل عقيدة الأشعري ثم انتصر إلى القول الثالث ، وهو عودته الكلية إلى مذهب السلف حيث يقول : **في كتابه الإبانة توضيح تام لعقيدته السلفية ومتابعته لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل**[6].

---

[1] القاضي عبد الجبار، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، تح طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دط ،دت ، ج8 ، ص3.

[2] العمري مرزوق ، نظرية الكسب عند الأشاعرة ، مرجع سابق ، ص 55.

[3] بلقاسم غالي، أبو منصور الماتريدي حياته، وآراؤه العقدية ،ص43.

[4] خالد بن علي الغامدي ، نقض عقائد الأشاعرة والماتوريدية ، مرجع سابق ، ص26.

[5] خالد بن علي الغامدي ، المرجع السابق ، مرجع سابق ، ص26.

[6] غالب بن علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، مرجع سابق ، ص 1209.

2 – 3 موقفه من مسألة الخلافة

توصل محمود غرابة إلى أن الأشعري قد حاول أن يبرهن على رأيه فقط على صحة الخلفاء الأربعة ، من غير أن يبين لنا رأيه في طريقة اختيار الخليفة ، كما أنه لم يبين لنا الشروط التي يجب توافرها فيه قبل ترشيحه[1].

ورغم تدوينه لكتابه مقالات الإسلاميين إلا أنه لم يخض في المسألة ، ولعل السبب المباشر في ذلك نابع من عقيدته المبنية على عقائد من سبقوه من أهل السنة ، وقد جمع محمد الخميس جملة ماحكاه الأشعري وقرره في مقالاته حول اعتقاد أهل السنة ، ومن بين ماذكره أن عقيدته في الخلفاء هي عقيدة أهل الحديث حيث يقرر معهم أن الخلفاء الراشدون المهديون هم أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم يثبتون خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة إياه ، ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستخلاف أبي بكر إياه ، ثم خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه باجتماع أهل الشورى وسائر المسلمين عليه عن أمر عمر ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن بيعة من بايع من البدريين عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ، ومن تبعهما من الصحابة مع سابقة الإسلام[2].

لكن الحقيقة أن الإمام الأشعري كان له موقفا في غاية الجلاء الوضوح من الخلافة والخلفاء ، وخاصة الراشدين منهم ، وقد بين هذا الموقف في كتابه الإبانة الذي يقول فيه: **هؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافتهم خلافة نبوة ، ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، ونتولى سائر أصحاب النبي ، نكف عما شجر بينهم ، وندين لله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لايوازيهم في الفضل غيرهم** [3]، فهل بعد هذا البيان بيان.

---

[1] حمودة غرابة ، أبو الحسن الأشعري ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1393هـ – 1973م ، ص181.

[2] محمد بن عبد الرحمان الخميس ، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ، جملة ما حكاه عنهم الأشعري وقرره في مقالاته ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، د ط ، إهداءات 2002 م ، ص 125.

[3] غالب بن علي عواجي ، فرق معاصرة تنتمي إلى الإسلام ، مرجع سابق ، ج3، ص1214.

3 المدرسة الماتوريدية أصول نشأتها وموقف مؤسسها من الخلافة

3 – 1 أصول نشأتها

يعود أصلها إلى أبي منصور الماتوريدي[1]، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وقد تقلد مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه والكلام، يقول فتح الله خليف: المنهج الذي اختاره الماتريدي ، وأرسى قواعده، وأوضح براهينه، هو المنهج الموروث عن أبي حنيفة (ت 150 هـ) في العقائد والكلام والفقه ومبادئه، والتاريخ يحدثنا عن كون أبي حنيفة صاحب حلقة في الكلام[2].

وقد كثر الكلام عن هذه المدرسة في كونها مدرسة سنية أم غير ذلك؟. فزعم بعضهم أنهم من غير أهل السنة ، لا هم ولا الأشاعرة، ويتهم بعضهم الماتريدي بالجهم الإرجاء والاعتزال، حيث يقول عنه محمد بن عبد الرحمان الخميس: تأثر بالحنفية من الجهمية والمعتزلة والمرجئة أكثر مما تأثر بالحنفية السنية؛ إلا أنه يناقض نفسه حين يذكر الأدوار التي مرت بها الماتريدية فيقول في حديثه عن دور التأسيس ووضع الأصل بأن هذا الدور تميز بكثرة المساجلات بين الماتريدي وبين المعتزلة[3]، ويعرف الغامدي مدرستهم بقوله: **هي فرقة كلامية تؤول الصفات وتقول بالإرجاء ، وتنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، واتباعها الحنفية ، ولا يوجد ماتريدي شافعي أو مالكي أو حنبلي**[4].

ولعل هذا الحكم قاس عليهم بالنظر إلى أصولهم التي ت رتكز على فقه أبي حنيفة ، فترة ظهورهم ، فعلى الباحث أن لا ينسى أن فترة ظهور الماتريدي هي فترة حرجة ميزها انتشار المعتزلة في بلاد ما وراء النهر ، وكذا ظهور القرامطة[5]، وهم الذين بسطوا سيطرتهم على البلاد والعباد.كما ازدهرت في تلك المرحلة الحركة العلمية والفلسفية ، **وكان الصراع محتدا بين الفرق الإسلامية ، كالمعتزلة والخوارج والشيعة والكرامية**[6]. يضاف إلى ذلك أنّ سوء تسيير المأمون للدولة قد فتح المجال لتقسيم البلاد الإسلامية مذهبيا وجغرافيا ، فقد ظلت بلاد ما وراء النهر محكومة من قبل الخلافة المركزية في بغداد ، إلى أن أعطى المأمون

---

[1] هو أبو منصور الماتوريدي،محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، فقيه ومتكلم، توفي سنة 333للهجرة.

[2] أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تح عبد الله خليف، دار الجامعات المصرية، دط ،دت، والكلام للمحقق، ص 3.

[3] محمد بن عبد الرحمان الخميس، حوار مع أشعري ويليه الماتريدية ربيبة الكلابية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، درمك، الرياض، ط1، 1426هـ- 2005م، ص157.

[4] خالد بن علي الغامدي ، نقض أدلة الأشاعرة والماتوريدية ، مرجع سابق ، ص25.

[5] القرامطة ، فرقة شيعية غالية ، أعلنت الثورة على بني العباس وتمكنوا من إرساء دولة مستقلة في سواد العراق سنة 296 للهجرة، وظلت دولتهم قائمة إلى سنة 398 للهجرة ، أنظر إسماعيل محمود، الحركات السرية في الإسلام، ص124.

[6] بلقاسم غالي، أبو منصور الماتريدي، حياته،وآراؤه العقدية، دار التركي للنشر، المطابع الموحدة ، تونس، 1989م، ص37.

سنة (201 هـ) هذه المنطقة إلى أبناء ـ أسد بن سمان ـ الذين تمسكوا بالحكم الذاتي وأسسوا الدولة السمانية سنة(651 هـ) [1]. ورغم هذا كله إلاّ أنّ الماتريدي تمسك بالمذهب السّني ودافع عنه .

3 – 2 موقف زعيمها من الخلافة

عاش الماتريدي في نفس الفترة الزمية التي عاشها الأشعري ، والتقيا فكريا في مذهب أبي كلاب ، حيث اتحد في الهدف مع الاشعري في محاربة المعتزلة وكان معاصرا له[2] ، كما كان موقفه ثابت تجاه الصحابة رضي الله عنهم جميعا، فهو يرى تفضيل أبي بكر ، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب ، وذلك ترتيبهم ، وهي نفس عقيدة أهل السّنة والجماعة ، وتتفق أصولهم مع أصول أهل السنة والجماعة، وقد بيّن الإمام النسفي عقيدتهم في مقدمة تفسيره حيث يقول: قد سألني من تتعين إجابته كتابا وسطا في التأويلات، جامعا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنا لدقائق علم البديع والإشارات ، حافلا بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خاليا من أقاويل أهل البدع والضلالة ، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل[3].

فقوله هذا في نظرنا وإن دلّ ؛ فإنما يدلّ على مخالفته لأهل البدع واتباعه لمنهج أهل السنة والجماعة .

المطلب الثالث: مواقفهم من الصحابة والخلفاء الراشدين

1 موقفهم من الصحابة

تجتمع كل آراء أهل السنة قاطبة على تبرئة الصحابة رضي الله عنهم وعدالتهم. وتكف عن الطعن فيهم،وترى بأنهم القدوة التي يتأسى بها ، وأن السواد الأعظم منهم كانوا على الحق، إلا من عرف ارتداده ، أو ظهر نفاقه ـ وقليل ما هم ـ وتستند في ذلك إلى الأحاديث الواردة في فضلهم ، وتكف عما شجر بينهم من خلاف، وقد لخص ابن أبي العز الحنفي عقيدتهم في الصحابة في قوله: **ونحب صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نبغض أحدا منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان**[4].والصحابة الكرام كلهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ، وهم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من خلقه،وهم أفضل الأمة بعد نبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ

---

[1] المرجع نفسه، ص33.

[2] غالب بن علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 1167.

[3] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط ، دت ، ص3.

[4] أبو جعفر الطحاوي الحنفي، متن العقيدة الطحاوية، ص29.

وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[1]

ولا يسبّون أحدا منهم عملا بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل ما أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**)[2].

2 موقفهم من الخلفاء الراشدين

بالنسبة للخلفاء الأربعة والخلافة عند أهل السنة بشكل عام ، فهي تبتدئ بأبي بكر ، ثم عمر ، وتثلث بعثمان ،ويأتي من بعده علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ وترى بأن أبا بكر أفضل الصحابة على الإطلاق ، وهو صاحب رسول الله ، ووزيره الأول، ثم يأتي من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

يقول ابن أبي العز : **ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق تفضيلا له، وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم لعثمان رضي الله عنه ، ثم لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون**[3].

وهو نفس القول الذي ذهب إليه الإيجي إذ يقول: **إن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، والأفضلية بهذا الترتيب**[4].

كما بين محمد عبد الرحمان الخميس موقف الماتريدية من الخلفاء والصحابة فقال: **لا يختلف موقف عامة الماتريدية من الصحابة عن موقف أهل السنة والجماعة بمن فيهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله**[5]، فيقولون: إن أفضل البشر بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضي على ترتيب خلافتهم ، وما وقع بين الصحابة من حروب فكان خطأ عن اجتهاد فيجب الكف عن الطعن فيهم[6].

ثم بين أن الطعن في الخلفاء الأربعة يعد إما كفرا أو فسقا ، أو بدعة فقال: والطعن إما كفر أو بدعة أو فسق والخلافة الراشدة ثلاثون سنة ، وأن المسلمين لابد لهم من إمام لتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ، وسد

---

[1] سورة التوبة ، الآية 100.

[2] رواه البخاري في المناقب (3470)، ومسلم في فضائل الصحابة (2451)، والترمذي في المناقب (3861) ،وأبو داوود في سننه(4658)، وأحمد في المسند (55/3).

[3] الطحاوي الحنفي، متن العقيدة الطحاوية ، مرجع سابق ، ص29.

[4] عضد الدين الإيجي، المواقف، مرجع سابق ، ص416.

[5] محمد عبد الرحمان الخميس، منهج الماتريدية في العقيدة، سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة(37)، دار الوطن للنشر، الرياض،ط1 ، 1413 هـ، ص60.

[6] المرجع نفسه.

الثغور ، وتجييش الجيوش وأخذ الصدقات ، وقهر الغلبة والمتسلطة وقطاع الطرق ، وإقامة الجمعة والأعياد وقطع المنازعات ، وأن يكون ظاهرا لا متخفيا ولا منتظرا وأن يكون من قريش ولا يشترط أن يكون معصوما وأنه تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ولا يجوز الخروج على الإمام الجائر)[1]

ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة حب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسلامة قلوبهم وعظمة قدرهم، وبخاصة الخلفاء الأربعة ، المشهود لهم بالجنة ، وفيهم كانت خلافة النبوة ثلاثين عاما مع خلافة الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك**)[2]. ويفضلون بقية العشرة المبشرين بالجنة[3].

والملاحظ أن موقف أهل السنة من الصحابة والخلفاء – رضي الله عنهم –لا يختلف عن موقفهم من آل البيت ؛ فهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولنهم ، ويحفظون فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال يوم غدير خم فيما يرويه زيد بن أرقم ، قال عليه الصلاة والسلام:(**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**)[4].

المطلب الرابع : نظريتهم في الخلافة وعقيدة أهل السنة في الخروج على الحاكم ومبرراتها

1نظريتهم في الخلافة :

بعد عرض مختلف مختلف مدارس أهل السنة توصلنا إلى إن موقفهم العقدي موحد تجاه الخلافة الراشدة حيث أتفقت جميع المدارس السنية على شرعية خلافة الراشدين ، وأن طرق اختيارهم وبيعتهم صحيحة، كما أنهم أجمعوا على حكم معاوية بن أبي سفيان ، وبعد تحول الحكم من الخلافة إلى الملك راعوا المصلحة العامة للمسلمين وأكدوا على وجوب نصب الإمام ، وقد لخّص السّعد التفتازاني نظريتهم في الحاكم وشروطه في قوله: قد ذكر في كتبنا الفقهية أنه لابد من إمام يحي الدين ويقيم السنة وينتصف من المظلومين ، ويستوفي الحقوق ويضعها موضعها ، ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا

[1] المرجع نفسه ، ص61. وانظر تفصيل ذلك في العقائد النسفية وشرحها، ص148- 163 ، والبداية للصابوني، ص100-105، وكذا أصول الدين للبزدوي، ص178-198.

[2] رواه الترمذي في الفتن 2226، وأحمد في المسند ج221/5.

[3] الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، دط ، دت ، ص108.

[4] مسلم ، صحيح مسلم، ح ر2408.

رأي وكفاية ، سميعا بصيرا ناطقا قرشيا ، فإن لم يوجد في قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني ، فإن لم يوجد فرجل من العجم[1].

2 عقيدتهم في الخروج على الحاكم

يكاد يجمع أهل السنة قاطبة على عدم الخروج على الحاكم ، بارا كان أو فاجرا ، ويعد ذلك من الأصول التي دلت عليها النصوص الشرعية عندهم ، يقول ابن تيمية : من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ،ولا يقاتلونه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث[2] .

كما يستدلون على ذلك بمجموعة من النصوص والأقوال منها قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[3].

كما ودت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما أخرجه البخاري قوله صلى الله عليه وسلم :(**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه**)[4] ، وذكر ابن تيمية أيضا أن الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف نهيا عن الخروج قال: روى ابن هشام عن محمد عن أبي حنيفة وأبي يوسف قالوا: السنة التي عليها أمر الناس أن لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ويخرج من الإسلام، ولا يشك في الدين يقول الرجل لا أدري أمؤمن أنا أو كافر، ولا يقول بالقدر ، ولا يخرج عن المسلمين بالسيف[5].

غير أن أبا حنيفة رحمه الله **كان لا يرى أهلية الأمويين في الحكم ، ولا يمنع استعمال القوة لتحقيق ذلك** [6]، وقد ذهب بعض المؤلفين إلى أنه كان يؤيد خروج زيد بن علي **وهو ما ذهب إليه البلاذري الذي ذكر أن زيدا دعى أبا حنيفة للخروج معه ، ولكنه خاف من ذلك واكتفى بإرسال مال يقويه به على الخروج**[7].

---

[1] محمد رشيد رضا ، الخلافة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، دط ، 2013م ، ص21 ، نقلا عن سعد الدين التفتازاني ، شرح المقاصد ، ج2 ، ص272.

[2] عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج28 ، ص179.

[3] سورة النساء ، الآية 59.

[4] البخاري ، صحيح البخاري ، 7054 ، مسلم ، ح ر 1849.

[5] عبد الحليم بن تيمية ، المرجع السابق ، ج16 ، ص474.

[6] أحمد بوقجاني ،موقف الفرق من سياسة بني أمية ، مرجع سابق ، ص 214.

[7] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 435.

3 مبرراتهم

يستند أهل السنة في قاعدتهم التي تنص على عدم الخروج على الحاكم على جملة من المبررات وخاصة النصوص الشرعية منها كالأحاديث النبوية الواردة في النهي عن الخروج عن الحاكم والصبر على ظلمه وجوره ، وهو ماذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمة الذي يرى أن طاعة الإمام واجبة في جميع الأحوال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم:(**من خلع يدا من طاعة إمام لقي الله تعالى يوم القيامة لاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية)**[1].

وقد قرر هذه القاعدة فقهية " **لا يُزال الضرر بضرر أكبر منه**" ، وبناء على ما وقع من أحداث وفتن بسبب الخروج عن الأئمة والحكام ، فكل الطوائف التي خرجت تسببت في حدوث الضرر للأمة وللجماعة الإسلامية ، تفوق شدتها وأثرها ماخرجت من أجل إزالته[2].

[1] عبد الحليم بن تيمية ، منهاج السنة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص148.

[2] محمود صبحي ، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1425 هـ – 2004م ، ص409.

خلاصة

من خلال عرضنا لأهم الآراء العقدية لكل من الخوارج والشيعة والمعتزلة وأهل السنة ، تبين لنا أن ثلاثا منها تتفق في كثير من الآراء حول المسألة ، وهي الخوارج والمعتزلة وأهل السنة ، من جانب كون الخلافة شورى ، وهي واجبة ، وتتولى الأمة ذلك لعدم وجود النص ، مع استثناء بعض الفرق من هذا الرأي كالنجدات من الخوارج الذين لا يقولون بعدم الحاجة إلى الإمام ، وتخالفهم في هذا الرأي الشيعة الذين حصروا الخلافة في بيت علي بن أبي طالب وبنيه ، وخاصة الجناح الحسيني ، كما أن ذلك ثابت لهم بالنص بنوعيه ، الخفي والجلي ، وقد اتفقت المعتزلة وأهل السنة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، مع تفضيل بعض المعتزلة عثمان عن علي رضي الله عنها ، وذهب الخوارج إلى تولي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتكفير عثمان وعلي ، أما الشيعة فقد شذت كل فرقها عن هذا الحكم ، ولم تعترف بخلافة الثلاثة الذين سبقوا عليا رضي الله عنه ، ورأوا بأنهم اغتصبوا الخلافة ، وقال بعضهم تقية من علي ، وخالفتهم الشيعة الزيدية التي ترى صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، مع أفضلية علي عنهما ، وقالوا بجواز خلافة المفضول مع وجود الأفضل.

أما الخلافة بعد الراشدين ، فقد أثبتها أهل السنة لبني أمية وبني العباس ، ولم يجوزوا الخروج عن حكامهم ، سواء عدلوا أم جاروا ، إلا أنهم ناقضوا أنفسهم في تجويزهم وتصحيحهم لخلافة من أخذها بالقهر والغلبة ، مثل ما فعل عبد الملك بن مروان الذي خرج عن الخلافة الشرعية المنعقدة لعبد الله بن الزبير ، ورأوا بأنها صحيحة ، هم بذلك قد خالفوا نصوص السنة الصريحة التي تقول بتولي الأول ، وقطع عنق الثاني ، فهم بذلك عملوا بعكس النص ، ولعل أهم هذه النصوص ما أخرجه مسلم في الإمارة قوله صلى الله عليه وسلم : **(إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)**[1] ، و ما أخرجه مسلم كذلك في باب الوفاء لبيعه الخلفاء الأول فالأول من كتاب الإمارة كذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم : **(ومن بايع إمام فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)**[2]. نحن نرى بأن ذلك تم بسبب الاستبداد والظلم الذي كان يمارس في حق كل من وقف ضد الحكام.وهو ما بينه الشيخ محمد الغزالي بقوله: عندما أنظر إلى تاريخ الإمامة العظمى فأرى عناصر محدودة قد احتكرت المنصب الضخم بضعة عشر قرنا فماذا أقول؟ إن الإسلام لم يسقط القياصرة والأكاسرة والفراعنة ليقوم باسمه حاكم يتسمى بالخليفة وهو فرعون مقنع[3]. وأعطى لنا مثالا عن ذلك الاضطهاد الذي عانى منه أصحاب المذاهب الفقية الذين وقفوا في وجه

[1] مسلم ، كتاب الإمارة ، باب إذا بويع لخليفتين ، 3/ 1480 ، ح ر 1853.

[2] المصدر نفسه ، كتاب الإمارة ، باب الوفاء بالبيعة الأول فالأول ، 3/ 1473 ، ح ر 1844.

[3] محمد الغزالي ، المحاور الخمسة في القرآن الكريم ، دار الشروق ، القاهرة ، ط3 ، 1427 هـ – 2007 م ، ص111.

الحاكم فقال : أبو حنيفة قتل في السجن – على الأشهر أو على الأغلب – ومالك ضرب لأنه أفتى فتوى أغضبت الحاكم في عهده ، وابن حنبل ضرب ضربا مبرحا وكاد يموت في سجنه لولا لطف الله به ، والشافعي قبض عليه وامتنع عن القضاء لأنه وجد أن الأمور تسير سيرا سيئا[1].

وأما الخوارج فقد قالوا بوجوب الخروج على الحاكم الظالم الذي لايحكم شرع الله ، فقالوا بعدم صحة الخلاة الأموية من أولها إلى آخرها ، واستثنوا منها خلافة عمر بن عبد العزيز التي استحقها بالعدل.

أما الشيعة فعملت على مناصرة أئمة آل البيت ، وقالوا بعصمتهم ، وكلما مات منهم إمام بايعوا واحدا من أبنائه ، وجعل بعضهم العبرة في الإمامة بالخروج فمن خرج من آل البيت حقت له الإماة ومن لم يخرج لم تعقد له ، وهو ما تم للإمام زيد ، ومحمد النفس الزكية ، لكن الذي ينظر إلى اختلاف الشيعة في تعيين الإمام يتبين له أنهم لا يستندون إلى قاعدة الوصية التي بنوا عليها فكرهم ، وتتجلى له بوضوح هشاشة هذه القاعدة ، فعدد الأوصياء قد تجاوز العدد المزعوم من جهة ، ومن جهة أخرى كان سببا في افتراقهم إلى فرق مختلفة من جهة أخرى ، كما قال بعضهم بإمامة محمد بن الحنفية وأبنائه وهو رأي الكيسانية كما أسلفنا ، غير أنهم اتفقوا في شيء واحد وهو كون الإمامة أصل من أصول الدين ، لا يكمن أن تفوض للأمة في أي حال من الأحوال ، بل قد نص عليها القرآن الكريم ودلت عليها الثار ، وأُمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغها ، فأوصى بها لعلي رضي الله عنه ، وهو بدوره جعلها في بنيه المعصومين وأحفاده من بعدهم ، وحتى الزيدية منهم فإنهم وإن أجازوا إمامة أبي بكر وعمر إلا أن الإمام زيد يرى بأنه الأحق بالخلافة من بني أمية ، وأن الإمامة في نسل فاطمة من ولد الحسن والحسين ، ولا تعقد إلا لمن خرج طالبا لها .

وتحفظت المعتزلة عن الخروج ، ولم تكن لهم آراء واضحة فيه ، ويتجلى ذلك من خلال مواقفهم ، حيث أيدوا بعض أئممة أهل البيت ، ثم تحولوا بتحول السياسة ، ومع تطور مذهبهم فكريا تقربوا من حكام بني أمية في أواخر عصرهم ، ثم وقفوا إلى جانب بني العباس حين صار الأمر إليهم ، ووصلوا إلى منصة الحكم في أيام المأمون والمعتصم والواثق.

[1] محمد الغزالي ، فقه الدعوة ملامح وآفاق (كتاب الأمة) ، حوار أجراه حسن عبيد حسنة ، مع الشيخ الغزالي ونخبة من المفكرين، ص131.

الفصل الرابع :
جهود الإصلاح
والنظريات الجامعة لمسألة
الخلافة في العصر الحديث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد عرضنا لمسألة الخلافة والنظريات القديمة التي قامت عليها وكذا المواقف الفرق الإسلامية منها نحاول في هذا الفصل إبراز جهود الإصلاح في العصر الحديث والخروج بنظرية جامعة لشتى الآراء ، والتي استفاد أصحابها من التجارب السابقة ، وسيكون تركيزنا على جهود كل من الشيعة و أهل السنة على اعتبار أنها الفرقتان الوحيدتان اللتين بقي تأثيرهما إلى اليوم ، وأن التقارب بينهما هو الحل الوحيد الذي يمكن بواسطته سدت الفجوة العقدية التاريخية القديمة ، وبذلك يلتئم شمل الأمة من جديد.

وقد قسمنا هذا الفصل على ثلاثة مباحث حيث عرضنا في المبحث الأول جهود الإصلاح عند الشيعة ونظريتهم في الخلافة ، والثاني كان لجهود الإصلاح عند أهل السنة ونظريات بعض مفكريها ، أما المبحث الثالث و الأخير فقد حاولنا فيه الخروج بالنظريات الجامعة التي نرى أنها تتكيف وتتلاءم مع جميع المسلمين والتي مثلها كل من أحمد عبد الرزاق السنهوري من أهل السنة ، وأحمد الكاتب من جانب الشيعة ، والله الموفق إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: الشيعة الحديثة موقفها من الخلافة الراشدة ونظريتها في الإمامة

يكاد ينحسر تيار الشيعة اليوم في فرقتين عظيمتين هما الإمامية والزيدية فالأولى تملك زمام الأمر في إيران وجنوب لبنان والبلاد الفارسية، بالإضافة إلى دول بلاد الشام (سوريا والعراق) ، ومذهبهم الإمامية. وهو التيار الأكثر تنظيما من الناحية السياسية والعقدية ، كما يعتمد على السلطة الفقهية المركزية ممثلة في ولاية الفقيه ، وتطلق عدة تسميات على أتباعها منها: الشيعة ، والرافضة ، والجعفرية، والإثنى عشرية، وكلها تجتمع في طائفة واحدة هي الإمامية ، فإذا أطلق لفظ الشيعة فهم المقصودين، ولكل اسم من هذه الأسماء سبب، فيقال لهم الشيعة بهذا الإطلاق العام تمييزا بينهم وبين السنة، ولأن الإمامية يمثلون السواد الأعظم من الشيعة فاللفظ ينصرف إليهم ، قال صاحب أصول مذهب الشيعة الإمامية: لا ينصرف لفظ الشيعة الإمامية إلا إلى طائفة الإثني عشرية[1].

غير أن الشيعة اليوم وإن اتحد مذهبهم وتقلصت فرقهم ، فقد جنحوا كثيرا عن فكر أسلافهم ، بل وزاد غلوهم وتطرفهم ، وصار التشيع مبني على فكرة الغاية تبرر الوسيلة ، فجعلوا أهل البيت مطية لتحقيق مآربهم الدنيوية ، وحفظ مكانة الفرس بين الأجناس البشرية ، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات التصحيح في الفكر الشيعي ووفق هذه المعطيات عرضنا في هذا المبحث رؤية الدولة الحديثة في الفكر الشيعي والذي تمثل في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وأبرزنا موقف قائدها من الخلافة الراشدة ثم عرضنا أهم حركات التصحيح في المذهب ، ومسألة الحكم بشكل خاص مركزين في ذلك على شخصيتين بارزتين هما موسى الموسوي وحجة الله نيكوئي.

[1] أصول مذهب الشيعة الإمامية، ص99.

المطلب الأول: الحكومة الخمينية الإيرانية

نقصد بالدولة الإسلامية الإيرانية ،هذه إيران التي تحولت بعد ثورة الخميني على الشاه من إيران إلى الجمهورية الإيرانية الإسلامية التي دعت في الظاهر إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، واستمدت عقائدها الدينية من عقائد الإسماعيلية الإثني عشرية ، وقد تأسست على يد الخميني سنة 1979م بعد نجاح ثورته ، وانقلابه على الحكم والإسلام وفيما يلي نعرض بنود دولته ومواقفها من الخلافة وكيفية إدارتها في ظل غياب الإمام.

يقول الموسوي: كان يخيل للناس كافة أن اختيار الخميني قائدا للثورة يعطي تماسكا للشعب الإيراني في نظاله... فلم يفكر أحد قط أن الثورة إذا نجحت فإن مرشدها سيستغل ثقة الشعب به ويرتكب خيانة منكرة عظيمة تتجاوز حدود التصور[1]. وهذه الخطوط العريضة لحكومة الخميني التي تسترت بقناع ولاية الفقيه.

عرض الخميني نظام الحكومة الإسلامية في كتابه الحكومة الإسلامية حيث يرى أن الخلافة كانت في علي وأهل بيته إلا أن الأمويين منعوا استقرار حكومة الإمام علي بن أبي طالب بمساعيهم البغيضة تغير نظام الحكم وتبدلت الخلافة وتحولت إلى سلطنة وملكية موروثة[2]

والفرق بين حكومة الخميني والحكومات الأخرى هو أن حكومته قائمة على القانون الإلهي[3]، والحاكم هو الله ، والرسول قد استخلفه الله في الأرض ليحكم بين الناس بالحق[4]، **وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أُمر به وعين أمير المؤمنين عليا للخلافة**[5].

---

[1] موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، ط 1428 هـ - 2007م ، http://wwwkhomainy.com/ID37، ص09.

[2] الخميني ، الحكومة الإسلامية ، شبكة الفكر ، ط3 ، دت ، ص34.

[3] الخميني ، الحكومة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص41.

[4] المصدر نفسه ، ص42

[5] المصدر نفسه ، ص46.

وفي ظل عدم وجود النص عند الشيعة حول من ينوب عن الإمام الغائب ، فإن العقل يحكم بضرورة تشكيل الحكومة ، هذه الأخيرة يقودها الولي الفقيه ، صاحب الولاية الاعتبارية[1].

وهذه الولاية لا تسقط في نظر الخميني لأن الفقهاء قد ولاهم الله، فيجب على الفقيه أن يعمل بموجب ولايته قدر الاستطاعة[2].

وحتى نخرج من بوتقة الحكومة الخمينية فإن الذي يتتبع المسار الفكري والسياسي لها يخلص في النهاية أنها حكومة أمريكية ركبت مطية ، التشيع والجهل ودليلنا على ذلك ما ذكره الموسوي قوله : كيف تكون حكومة الخميني حكومة إسلامية وهي التي عينت إبراهيم يزدي الأمريكي الجنسية – مستشار الخميني – في أول دولة تشكلت بعد نجاح الثورة برئاسة بارزكان نائبا لرئيس الوزراء في شؤون الثورة ومتابعتها ووزيرا للخارجية فيما بعد .

بل كان كلا من أمير انتظام وزير الدولة والناطق باسمها ودكتر جمران وزير الدفاع على شاكلة اليزدي يحملان الجنسية الأمريكية، وكان الشائع أن اليزدي وزميليه مأجوران معروفان للمخابرات المركزية الأمريكية[3].

المطلب الثاني :نظرية الشيعة في الخلافة في ظل غياب المعصوم (ولاية الفقيه)

في ظل غياب الإمام وطول زمن الغيبة يرى الخميني أنه لابد من وجود الحكومة الإسلامية التي ينوب فيها الفقيه عن الإمام على هذا فهو يرى ضرورة وجود ولي الأمر القائم على النظم والقوانين الإسلامية[4].

كما أن حكومة الإسلام قد تشكلت في الأزل وهي حكومة واحدة فالله تعالى يقول: والخميني يفسرها فيقول: في هذه الآية شكل الله حكومة الإسلام إلى يوم القيامة ... فلا محيص أن تكون الحكومة الإسلامية حكومة واحدة[5].

---

[1] المصدر نفسه ، ص50.

[2] المصدر نفسه ، ص 52.

[3] موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، مرجع سابق ، ص13.

[4] المصدر نفسه ، ص39.

[5] الخميني ، كشف الأسرار ، مكتبة نرجس ، دط ، دت ، ص118.

ولئن كان السبق لغيره في بيان وجوب قيام الفقيه بالنيابة عن المعصوم إلا أن التجسيد الفعلي لنيابته تجلى على يديه بعد قيام الثورة الإسلامية ، حيث جعل الأمر في يد الولي الفقيه الذي يتوفر على الشروط اللازمة للولاية وقد لخص نظريته في قوله: إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فإنه يلي من أمور المسلمين ما كان النبي يليه منهم ، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا ، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول ، وأمير المؤمنين عليه السلام[1].

[1] الخميني ، الحكومة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص48.

المطلب الثالث: موقفه من الخلافة ونقده

1 موقفه من الخلافة

لم يتغير موقف الخميني وحكومته عن مواقف غيره من الشيعة الغلاة الذين سبقوه ، فموقفه من الخلفاء الراشدين نابع من مسألة الخلافة التي يعدها أصل الأصول فقد تبين له أن العقل والقرآن حكما على الإمامة أنها من أصول الإسلام المسلم بها في عدة مواضع من القرآن[1].

وفي معرض حديثه عن أحقية علي بالخلافة وعدم مخالفته لمن قبله من الخلفاء ، وكذا عدم ذكر علي باسمه في القرآن قال : بملاحظة أن الإسلام لا يزال فتيا فإن مثل هذا الخلاف العظيم في الإسلام سيقضي على أصله للأبد وسيفنى حتى ذلك الإسلام الجزئي ، إذن فالتصريح باسم علي بن أبي طالب مخالف لأصل الإمامة القاضية بأن لا يؤدي شيئا إلى خلاف مصلحة الدين[2].

كما أن آية أولي الأمر نزلت في الإمامة إذ يفسر الخميني هذه الآية تفسيرا عجيبا ما أنزل الله به من سلطان ويوجهها إلى الطعن في الخلفاء فيقول: لا بد من القول أن أولي الأمر ليسوا السلاطين والأمراء ، وإن نظرة إلى أحوال الخلفاء ...تكشف أن حالهم هي كذلك أيضا[3].

2 نقده موقفه

لقد غالى الخميني في موقفه من الخلفاء قبل علي رضي الله عنهم ووصل به الأمر أن نزع عنهم ربقة الإيمان ، وأنهم لم يخدموا الدين ولا كتابه ، أما من ناحية الحكم فهو يرى أنهم سلبوه من علي واستحوذوا عليها دون وجه حق ن وهو اتهام باطل ولا يصمد أمام النقد ، فهو إذ ذهب إلى أن الخلفاء قبل علي رضي الله عنهم لا تربطهم علاقة بالإسلام والقرآن إلا الدنيا والرئاسة[4] ، قد نسي أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هم من جمعوا القرآن وحفظوه فقال: ولو نص القرآن على إمامة علي فإن ذلك سوف يؤدي بهم إلى حذف تلك الآيات من القرآن وتحريف الكتاب السماوي إلى الأبد وهذا لم يقع.

---

[1] الخميني ، كشف الأسرار، مكتبة نرجس ، دط ، دت ، ص120.

[2] المصدر نفسه ، ص122.

[3] المصدر نفسه ، ص119.

[4] الخميني ، كشف الأسرار، ص122.

كما اتهم الصحابة جميعا بأنهم يقدمون كلام عمر بن الخطاب على كلام الله وكلام رسوله فقال: تبعوه في جميع تغييراته التي أوجدها في دين الإسلام وكان كلامه مقدما على كلام الله وكلام الرسول[1]، فهل بقي بعد قول الخميني ما يدع مجالا للشك أن الحكومة الخمينية وموقفها لا علاقة له أصلا بدين الإسلام، وأن من يقرأ عنه أو يسمع كلامه لا يشك لحظة أنه لا يستمع لكلام عن الإسلام وأهله.

كما أن فكره وموقفه يعد امتدادا لفكر الدولة الصفوية التي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي ، والذي فرض التشيع على الإيرانيين ، وجعله المذهب الرسمي لإيران ، وكان يتخذ من سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين ، وأعلن السّب في الشوارع والأسواق والمنابر[2].

[1] المصدر نفسه ، ص126.

[2] ناصر بن عبد الله القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ، دار الرضا للنشر والتوزيع ، مصر، ط3 ، 1418هـ– 1998م ، ج2 ، ص 1475.

المطلب الرابع : موسى الموسوي وموقفه من نظريتي الشيعة القديمة والحديثة في الإمامة

1 موسى الموسوي :

الإمام موسى الموسوي هو حفيد الإمام أبو الحسن الموسوى الأصبهاني ، أحد أبرز روّاد حركة التوحيد ،وحاملي راية التقريب في القرن الحالي، و الذي بذل كلّ ما بوسعه في سبيل رصّ الصفوف وتوحيد الكلمة.

ولد بالنجف الأشرف سنة 1930م وزاول دراسته في جامعتها الكبرى حيث تحصل على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة طهران سنة 1955م [1]، كما له شهادة دكتوراه أيضا في الفلسفة من جامعة الصربون ، درس الفلسفة في جامعة بغداد ، وانتخب رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى في غرب أمريكا منذ 1979م [2]،كما عمل في جامعتي هافارد ولوس أنجلس بالولايات المتحدة الأمريكية، وله مجموعة من المؤلفات من أهمها كتاب إيران في ربع قرن ، وكتاب الشيعة والتصحيح، وكذا كتاب الثورة البائسة (ثورة الخميني).

2 موقفه من نظرية العصمة (النظرية القديمة)

حمل الموسوي لواء التصحيح في المذهب الشيعي فقال : إن الفكرة التصحيحية التي نادينا بها لأول مرة في تاريخ الشيعة واالتشيع لا شك أنها ستلاقي ردود فعل مختلفة على صعيد العالم الشيعي وذلك حسب البيئة التي يصل إليها نداء الإصلاح ، ومن الطبيعي أن فئات من رجال الدين والمتاجرين بالطائفية سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد[3].

وأكد أن ما أصاب المذهب من تغير في الأفكار والعقائد بدأ منذ عصر الغيبة ووجد له مؤيدين وأنصار وهو ما جعله ينتقد بشدة مواقفهم من الإمامة والخلافة وتأويلهم للنصوص، وأول انتقاد وجهه للمذهب في مسألة الخلافة قوله بأن علي رضي الله عنه لا نص عليه من السماء ، وعلي والصحابة

[1] موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، مرجع سابق ، 138.

[2] المرجع نفسه ، ص 138.

[3] موسى الموسوي ، الشيعة والتصحيح ، مرجع سابق ، ص153.

الذين عاصروه وناصروه كانوا يعتقدون ذلك أيضا ، وهي العقيدة التي سار عليها شيعته إلى أن جاء عصر الغيبة وحدث التغيير في عقائد الشيعة وقلبت رأسا على عقب[1].

كما اتهم الشيعة الذين يصورون الخلافة في علي وعقبه من فاطمة رضي الله عنها ، بأنهم أرادوا تحطيم الإسلام فصوروا الصحابة بمظهر قاتم يتجلى في مخالفتهم للنصوص الشرعية ، وبذلك فهم عصاة لأوامر الله تعالى مع علمهم بها ، كما جعلوا عليا رضي الله عنه الذي يعتبر صاحب الحق في نظرهم مخادع مداهن كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طلية خمس وعشرين سنة في ظاهر الأمر كمستشار أمين وصديق حميم مطنبا في مدحهم قائلا خير كلام في حقهم ، ولكنه في واقع الأمر غير معتقد بما يقول وغير مؤمن بما يفعل[2].

ونادى الموسوي إلى غربلة كتب الزيارة التي قال عنها أنها تحمل عبارات تتناقض مع أصول الإسلام والعقل السليم ، لا سيما تلك العبارات التي فيها سب وذم وتجريح للخلفاء وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ولم يتوقف الموسوي عند هذا الحد بل عارض قضية الإمامة عند الشيعة لأنها ساقتهم على تحريف القرآن فقال : المتتبع المنصف لا يشك أبدا أن السبب الذي حدى بالمحدثين أن يذهبوا إلى تحريف القرآن هو الاستدلال بآيات منصوصة في إمامة علي رضي الله عنه كانت مذكورة في السور والآيات المحرفة على حد زعمهم[4].

3 موقفه من النظرية الحديثة

أما موقفه من الثورة الإيرانية وولاية الفقيه وزعيمها الخميني الذي يصفه بقوله: **الخميني تبنى فكرة ولاية الفقيه وجعل نفسه حاكما بأمر الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد**[5] ، وعين لنفسه يدعى علي حسن

---

[1] المرجع نفسه ، ص19.

[2] موسى الموسوي ، الشيعة والتصحيح ، مرجع سابق ، ص37.

[3] المرجع نفسه ، ص145.

[4] المرجع نفسه ، ص131.

[5] موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، مرجع سابق ، ص103.

منتظري ، كما أدخل اسمه في أذان الصلوات وقدم اسمه على اسم النبي ، فأذان الصلاة بعد استلام الخميني للحكم: الله أكبر ، الله أكبر ، خميني رهبر – أي الخميني هو القائد[1].

وحتى لا نطيل في عرض المواقف التصحيحية للإمام الموسوي نختم بموقفه من أصحاب العمائم وقضية صلاة الجمعة ، فالموسوي يصف أصحاب العمائم **بأنهم يجلسون بعيدا عن الصراع ليقطفوا الثمار ويزجون بأتباعهم في ساحات الانتحار، وينفذون زلزال الدمار بالأبرياء باسم الله والرسول والإمام علي**[2].

أما صلاة الجمعة التي علقها فقهاء الشيعة بظهور المهدي فأفتى بوجوبها وعدم مخالفة القرآن فيها، لأن الشيعة اجتهدوا أمام النص القرآني الصريح ، ويكفي أن نذكر في هذا المقام قوله : حتى كتابة هذه السطور فإن بعض فقهاء الشيعة يفتون بوجوب صلاة الجمعة ، وعدم سقوطها في عصر الغيبة ، ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة[3].

[1] المرجع نفسه ، ص103.

[2] موسى الموسوي ، الشيعة والتصحيح ،مرجع سابق ، ص 125.

[3] المرجع نفسه ، ص128.

المطلب الخامس: نقد حجة الله نيكوئي لنظريتي الإمامة

لا تتوفر لدينا مصادر نأخذ منها منهج حجة الله نيكوئي في التصحيح ، ما عدا كتابه في الإمامة الذي سماه: نظرية الإمامة في ميزان النقد ، وأول ما بدأ به كتابه قوله: **سأحاول أن أوضح للقارئ أن نظرية الإمامة كما هي شائعة ورائجة بين الشيعة لا وزن لها في ميزان النقد وأنها تحتاج إلى إعادة نظر وصياغة نظرية جديدة** [1]، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تكرس الخط التجديدي الإصلاحي في مذهب الشيعة الإمامية.

أول ما أشار إليه نيكوئي هو عدم الخلط بين الدين والإمامة ، وقال: **أن الإمامة التي تشكل العمود الأساسي للتشيع نظرية كلامية لا أكثر ولا أقل ، لذا لا يمكن اعتبارها فوق النقد والبحث والسؤال ...نظرية الإمامة لا يمكن الدفاع عنها عقليا**[2].

كما ينتقد بشدة نظرية العصمة والغيبة ، فهو بعد أن يعرض أدلة الشيعة على وجوب وجود الإمام وتبريراتهم لغيبة ، حيث يرى أنها لا تصمد أمام النقد ، خاصة وأنهم في نظر الشيعة امتداد للتشريع الإلهي ومصدر من مصادر الشريعة ، فغيبتهم في نظر نيكوئي سبب في دخول الكذب والافتراء على الأحاديث ، كما تعد دليلا أكبر عن تخليهم عن المسؤولية .

ويذهب حجة الله إلى أبعد من ذلك حين يضع يده على الداء الذي كان سببا في ظهور الأحكام العقدية في مسألة الخلافة عند الشيعة ، فيشدد في قضية الوضع والتحريف في التحديث والحديث عن الأئمة من أهل البيت ؛ بل حتى إن حديث– النبي صلى الله عليه وسلم — لم يسلم من هذه العملية ، ويعدها إحدى الأسباب الرئيسية التي زعزعت الوحدة المذهبية لدى الشيعة أنفسهم ، ثم يبين موقفه الصريح من نظرية الغيبة التي يراها مجرد وهم وادعاء باطل فتح المجال للنقد حتى في شخصية الغمام الغائب الذي اعتراه النقص وعدم القدرة على تحمل المسؤولية بسبب الغيبة المزعومة ، يقول نيكوئي: **نحن نرى بأم أعيننا أن هناك نوع من الوضع والدس والتحريف قد حل بهذه الأحاديث ، وهذه**

[1] حجة الله نيكوئي ،نظرية الإمامة في ميزان النقد ، تر سعد محمود رستم ، موقع إجتهادات –1– www.IJtehadat.com K، ص07.

[2] المرجع نفسه ، ص08.

التحريفات بالذات لا يمكن اكتشافها على وجه القطع واليقين فرقت علماء الشيعة إلى آلاف الفرق ، ألا يبين هذا أنه لو كان هناك وجود للإمام الغائب فمعنى هذا أنه بسبب غيابه لا يتمكن من القيام بمهامه وأداء وظيفته[1].

كما يستدل على بطلان حججهم في العصمة والغيبة بكون المعصوم لا بد له من مواجهة المواقف التي تعترض مهمته في الحفاظ على الدين ، ولا يخشى في ذلك حتى الموت في سبيل مهمته النبيلة ، لا أن يغيب عن أنظار الناس وتطول غيبته لقرون عديدة ، مما يسبب تشويه الدين وغواية الناس بدل هدايتهم، وبعدهم عن الأحكام الصحيحة بدل الأخذ بها وهذا ما نلتمسه من قوله: **كيف يقوم الإمام المعصوم بمنع تشويه الدين أو تحريفه؟ أليس ذلك من خلال هداية الناس وإرشادهم والبيان الصحيح لأحكام الله ، وفضح البدع والانحرافات**[2].

غير أن ما يؤسف له هو نهاية نيكوئي التي سادها الغموض بسبب التهميش والتضييق عليه وعلى فكره من قبل الشيعة ما جعله يموت في صمت ويجهض مشروعه وفكره قبل أن يرى النور.

[1] حجة الله نكوئي ، المصدر السابق ، ص23.

[2] المصدر نفسه ، ص25.

المبحث الثاني : جهود الإصلاح عند أهل السنة في العصر الحديث ونظرياتهم في الحكم (محمد رشيد رضا ، أبو الأعلى المودودي و حسن البنا)

بعد أن فشل العثمانيين في الحفاظ على الخلافة الإسلامية وظهور تطورات جديدة على الساحة الإسلامية ، وخاصة منها عامل الاستعمار ونفوذه في بلاد الإسلام كان ولا بد من ظهور حركة إصلاحية تدعوا إلى إعادة المسلمين إلى المسار الصحيح والبحث عن بديل شرعي للخلافة الإسلامية فتوافدت مجموعة من الأفكار تصب في منحى واحد غايته لم شمل الأمة الإسلامية تحت لواء واحد فكانت فكرة الجامعة الإسلامية أو الحكومة الإسلامية وغيرها من المسميات ، وقد برزت ثلاثة شخصيات مهمة حاولت تجسيد هذا المشروع على أرض الواقع وهي محمد رشيد رضا ، وأبو الأعلى المودودي وحسن البنا ، وهي الشخصيات التي سنتناول فكرها الإصلاحي في مسألة الخلافة في هذا المبحث

المطلب الأول : محمد رشيد رضا ومشروع الخلافة ونظريته فيها

1 محمد رشيد رضا

هو رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني ، البغدادي الأصل ، الحسيني النسب ، ولد سنة 1869 للميلاد بقلمون جنوب مدينة طرابلس الشام[1]. فهو ينحدر من أسرة شريفة الأصل، مشهورة بالصلاح والتقوى وتقدير ذوي العقول النيرة من العلماء والأدباء والحكام والعظماء[2].

تلقى رشيد رضا تعليمه الأول على يد والده الذي كان يشغل إمام مسجد قلمون ، فحفظ القرآن على يديه ، ثم التحق بالمدرسة الرشيدية الابتدائية بطرابلس ، ومنه انتقل إلى المدرسة الوطنية الإسلامية ، وهناك التقى بشيخه حسين الجسر مؤسس المدرسة وأحد علماء الشام الذين يميلون إلى الإصلاح[3].

---

[1] الزركلي ، الأعلام ،ج6 ، ص126.

[2] عبد الله أمين ، نعي فقيد الإسلام والمسلمين، مجلة المنار ، 235 ، ج2 ، ص 155.

[3] زياد يوسف السيقلي ، الفكر التجديدي عند محمد رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص10.

وتزعم المدرسة الإصلاحية في وقت شهد تطورات قاسية على الأمة الإسلامية[1] ، وأسس مجلة المنار التي صارت المنبر الأول للإصلاح في زمانه ، واعتدل في تعاطيه السياسي فكان وسطا بين شيخيه الأفغاني وعبده[2]. وزار عاصمة الخلافة العثمانية بعد إقرار الدستور ، وسعى إلى التوفيق بين العرب والأتراك ، وإزالة الشقاق والخلاف بينهما لمصلحة الإسلام والمسلمين[3]. ولأنه كان يرى أن زوال الخلافة فيه فساد كبير وهو ما عبر عنه بقوله: أيجهل أحد من طلاب الإصلاح العرب أن هدم آخر سلطنة إسلامية مهما يكن سببه الحامل عليه لا يعقب الساعي إليه والقائم به إلا لعن مئات الملايين من المسلمين إلى يوم الدين[4].

2 مشروعه في الخلافة

يستند مشروع الخلافة عند رشيد رضا على دعامتين أساسيتين وهما العودة إلى الدين وتطبيق الراعي والرعية له ، ولم شتات المسلمين وضرورة التقارب بين شيعتهم وسنتهم ومراسلة حكامهم وملوكهم خاصة عند ظهور الخلاف بينهم.

أما الدعامة الأولى التي تقوم عليها الإمامة العظمى فهي اقتراح جمعية من علماء المذاهب المتبعة كلها تضع للأمة كتبا في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة واجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيها اليسر ورفع الحرج ، وحال الزمان [5].

كما أن لهم دور آخر وهو إعداد كتاب الذي ستند إليه الحاكم ، والإمامة العظمى هي عبارة عن جمع للأقطار الإسلامية تحت لواء الإمام الأعظم الذي تتجلى وظيفته في أن يأمر حكام المسلمين بالعمل به ، وهذه هي وظيفته فإن لم يقم بها لأنه ليس أهلا لها فعلى العلماء أن يقوموا بها ويطالبوه بتنفيذها ، فإن لم يفعلوا فيجب على كل مسلم أن يعرف أن الأمراء والعلماء هم الذين أضاعوا الدين وفرقوا الكلمة ،

---

[1] المرجع نفسه ، ص91.

[2] المرجع نفسه ، ص93.

[3] المرجع نفسه ، ص94.

[4] المنار ، مج 20 ، ج 1 ، ص44.

[5] زياد يوسف محمد السيقلي ، الفكر التجديدي عند محمد رشيد رضا من خلال كتاباته في مجلة المنار ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية غزة ، جانفي 2018م، ص83.

وليستعدوا لتقويمهم إن كانوا مسلمين[1]. ومن خلال هذا الطرح نجد رشيد رضا يحمل العلماء الجزء الأكبر من مسؤولية الخلافة فهم بمثابة أهل الحل والعقد ، وهم أهل الشورى الذين يتوقف عليهم صلاح وفساد الحاكم ومدى تطبيقه للشريعة الإسلامية فهم أمناء العامة عند الخاصة.

وأما الدعامة الثانية حيث نبذ رشيد رضا التعصب المذهبي بين السنة والشيعة وفرق بين التعصب والمحمود والمذموم ، ويؤكد على أن التفرق بين المسلمين واختلاف المذاهب والآراء ، وتعصب كل شيعة إلى منها إلى أصول أو فروع هو من أكبر الكبائر الثابتة في نصوص القرآن والسنة القطعية المجمع عليها، ثم إن ما ترتب عن التفرق من الضرر والفساد أفضى إلى هذه الأزمة وضعف المسلمين وذهاب ملكهم[2] ، لكن رغم هذا لم يكن ليغفل نقده الشديد وموقفه الحازم تجاه الفرق المنحرفة وخاصة الشيعة الباطنية ، حيث وصفهم بشر المبتدعة وسبب البلايا فقال: ألا إن هؤلاء الروافض شر مبتدعة هذه الملة ، وأشدهم بلاء عليها وتفريقا لكلمتها ،وقد سكنت رياح التفريق التي أثارتها الفرق الإسلامية وبقيت ريحهم[3].

كما كان رحمه الله يبعث برسائله إلى حكام عصره ليعظهم ويصلح بينهم ومن ذلك أنه أرسل خطابا إلى إمام اليمن يحي بن حميد ومثله إلى الملك عبد العزيز بعد نشوب خلاف بينهما حول الحدود لأنها ستأثر على البلاد الإسلامية كلها ، ومما جاء في خطابه ليحي بن حميد قوله: لو علمتم بسوء تأثيرها في مصر وسوريا وفلسطين لهالكم، ولتجافى جنبكم عن مضجعكم ... ولكن الأمل فيكم لم ينقطع... ومهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب... أيها الإمام: إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله ، وخاتم النبيين للإسلام والمسلمين لا لعبد العزيز الفيصل السعودي ولا ليحي حميد الدين ، فاختلافكما يضيع الإسلام ، ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها فجميع المسلمين تحت سلطان الأجانب[4].

---

[1] محمد عبد الله السلمان ، محمد رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة المعلا للنشر ، الكويت ، ط1 ، 1988م ، ص427.

[2] أحمد عبده أحمد ، محمد رشيد رضا حياته وأدبه ، أطروحة دكتوراه ، قسم الأدب والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان، جمهورية السودان ، 1428هـ ، 2007م ، ص 154.

[3] المرجع نفسه ، ص 155 ، نقلا عن مجلة المنار، مج 34، ج1 ، ص42.

[4] المرجع نفسه ، ص156 ، نقلا عن مجلة المنار، مج 24 ،ج6 ، ص445.

ومن ذلك أيضا رسالته إلى الملك غاري ناصحا إياه بعد وفاة والده الملك فيصل بن الحسين مما جاء فيها قوله : أن تحرص على هداية دينك القويم ، ولغة قومك ، وحضارة أمتك ، وشرف بيتك ، وتضم إليها الفنون العصرية المرقية للزراعة والصناعة والنظم المالية والقوى العسكرية تكن – أن شاء الله – من الملوك المجددين الجامعين بين سيادة الدنيا وسعادة الدين [1].

ويكتشف الباحث الرصين من خلال رسالته هذه منهجه التجديدي حيث جمع بين البناء الحضاري والأصالة الدينية. **وتتجلى أصالته من خلال عودته إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه واتخاذهما ركيزتي الحكم مثلما فعل الخلفاء الأربع حينما جسدوا مبدأ الشورى فأطاعتهم الرعية بطاعتهم لله ورسوله ، لا كما فعل بنوا أمية ومن جاء بعدهم حين أولوا النص القرآني في الطاعة وجعلوا طاعة ولي الأمر مطلقة سواء كان برا أو فاجرا حيث اشترط فيها أن تكون في تنفيذ أصول شرعه وفروعه**[2]، واستدل على ذلك بما فعله الحافظ في قوله : وقد قالو بعض أمراء بني أمية لبعض علماء التابعين : أليس الله قد أمركم بأن تطيعونا في قوله ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ا [3] فقال له أليست قد نزلت عنكم – يعني الطاعة- إذا خالفتم الحق بقوله : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [4] كما أوجب على الإمام شروط تجاه الأمة أهمها دعوة الحق وإقامة العدل، وحماية الدين من الاعتداء والبدع ، والمشاورة في كل ما ليس فيه نص ، وهو مسؤول عن عمله يراجعه كل أحد من الأمة في ما يراه أخطا فيه ويحاسبه أهل الحل والعقد[5].

3 نظريته في الخلافة

تعتبر الخلافة في فكر رشيد رضا أمرا اجتهاديا يخضع لظروف المرحلة واجتهادات الآخذين به، لذلك صاغ نظريته الحديثة في الخلافة المستوحاة من التجارب السابقة ، وخاصة أنه عاش مرحلة عسيرة في تاريخها – مرحلة السقوط والإلغاء ،-وأهم شيء يقوم الخلافة بالنسبة لرشيد رضا هو مبدأ الشورى

[1] أحمد عبده أحمد ، محمد رشيد رضا حياته وأدبه ، مرجع سابق ، ص156.

[2] محمد رشيد رضا، الخلافة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012 م، ص30.

[3] سورة النساء ، اللآية 59..

[4] سورة النساء ، الآية 59.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الثابت بالقرآن والسنة والأخبار، يقول رشيد رضا: أقول وأهم ما يجب على الإمام المشاورة في كل ما لا نص فيه عن الله ورسوله ولا إجماع صريح يحتج به، أو ما فيه نص اجتهادي غير قطعي ولا سميا أمور السياسة والحرب المبنية على أساس المصلحة العامة، وكذا طرق تنفيذ النصوص في هذه الأمور إذ هي تختلف باختلاف الزمان والمكان فهو ليس حاكما مطلاقا منا يتوهم الكثيرون بل مقيد بأدلة الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين العامة، بالمشاورة ولو لم يرد فيها نص إلا وصف للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] وقوله لرسوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [2] لكفى، فكيف وقد ثبتت الأخبار قولا وعملا. كاستشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في أسرى بدر.

ومفاد نظريته هو: **أن قيام حكومات إسلامية مختلفة تباشر الحكم في أقاليمها على أن تجمع في صورة نظام اتحادي إسلامي تحت رئاسة الخليفة الأعلى للمسلمين ، ويقوم إلى جانب كل حكومة اتحادية مجلس شورى**[3]. وقد فصل هذه النظرية في كتابه – الخلافة أو الإمامة العظمى – الذي يقول عنه: **إنما وضع الكتاب من باب التأصيل الشرعي ولئلا يقع في وهم الناس أنه يمكن الاستغناء عن إقامة الخلافة**[4].

وقد بين رحمه الله أنه كان ينظر إلى المرحلة التي كان يعيشها بعين القلق المتحسر على عدم إمكانية قيام الخلافة المنشودة في عصره لعدم تهيؤ الظروف لها ، كون البلاد الإسلامية كانت شبه مشلولة بفعل الاستعمار لذلك قال: لم أقصد بما بينته في مسألة الخلافة أن أكلف مسلمي اليوم إقامتها على الوجه الذي بينته ، بنصب إمام يتولى أمورهم كافة ، فإنني لا أعيش الوهم والخيال ، فأكلف هؤلاء

[1] سورة الشورى ، الآية 18.

[2] سورة آل عمران ، الآية 159.

[3] محمد الكتاني ، الصراع القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،ط1 ، 1982 ، ج1 ، ص89.

[4] أحمد عبده أحمد ، المرجع السابق ، ص100..

المساكين...أمرا عظيما أعتقد أنه منتهى الكمال... وإنما قصدت أن أعرّف المستعد للعلم والفهم الصحيح هذه الحقائق عسى أن يسعوا له بالتعاون على وضع خطة لإحياء الإسلام[1].

واستدل رحمه الله في بيان الحكمة في ترك النبي صلى الله عليه وسلم نظام الشورى دون أحكام تقيدها لقوله: **عدم وضع أحكام لها ملخصه أن النظام يختلف بالاختلاف أحوال الأمة في كثرتها وقلاتها وشؤونها الاجتماعية، ومصالحها العامة في الأزمنة المختلفة فلا يمكن أن تكون له أحكام معينة توافق جميع الأحوال في كل زمان ومكان** [2] .

ونشير إلى نقطة هامة تناولها رشيد رضا في مسألة الخلافة وغفل عنها الكثير ممن يدعون أن الحاكم له حق الطاعة العمياء –سلفية الحكام– وبين أن سبب هوان المسلمين داخليا وخارجيا هو تقصيرهم في التصدي للحكم الاستبدادي بما يحقق المصلحة فقال رحمه الله "**من أغرب الغرائب أن قصر المسلمون عن غيرهم من أهل الملل الذين كانوا قد تفوقوا عليهم في العلم والعمل بأن لم يقم أحد منهم بعمل منظم لإعادة حكم الإسلام بل رضوا بالتفرق والانقسام والظلم والإذلال من كل من تولى الأمر في كل قطر من أقطارهم حتى سهل عليهم مثل ذلك من غيرهم**[3]

[1] محمد رشيد رضا ، الخلافة ، مصدر سابق ، ص334.

[2] محمد رشيد رضا، الخلافة ، مصدر سابق، ص33.

[3] المصدر نفسه، ص49

المطلب الثاني : حسن البنا ونظرته إلى نظام الحكم

1 حسن البنا وتأسيس حركة الإخوان (1906 – 1949م)

ولد حسن أحمد عبد الرحمان البنا الساعاتي بمدينة المحمودية بمحافظة البحير بمصر سنة 1906 للميلاد [1]، وتربى واشتهر بالعلم والدي ، حيث كان أبوه الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتي عالماً بالسنة النبوية، والفقه الإسلامي، لذلك حرص على تعلم أبنائه الأربعة مسانيد الحديث الشريف، ومذاهب الفقه الإسلامي، فدرس ابنه الأكبر حسن فقه الإمام أبي حنيفة، وأخاه الثاني عبد الرحمن لدراسة فقه الإمام مالك، وأخاه الثالث محمد لدراسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأخاه الرابع جمال للدراسة على المذهب الشافعي، فنشأ حسن البنا في أسرة تحتضن وتعتز بجماع التراث الإسلامي[2] ، وبدأ اهتمامه بالعمل الإسلامي المنظم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سن مبكرة ، فأنشأ جمعية الأخلاق الدينية ، ثم جمعية منع المحرمات ، اتصل بالعلماء الأزهريين وتردد على مجالس رشيد رضا[3] ، وفي سنة 1928م أقام النواة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين مع ستة أعضاء[4] ، والشهيد حسن البنا الذي يعده أتباعها الأب الروحي للحركة حيث كانت لدوره الإصلاحي في المجتمع الأثر العظيم في نفوس أتباعه ومريديه .

وبسقوط الخلافة تهيأ الجو للبنا أن يشكل حركته ويعلن مبادئها ، فقد ترك إنهاء الخلافة فراغا كبيرا في المجتمع الإسلامي مما ولد عدة تحركات يائسة إلى إعادة بناء الوحدة الإسلامية ، إلا أن ظهور خليفة

---

[1] جمعة أمين عبد العزيز ، جماعة الإخوان ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 2003م ، ص143.

[2] إبراهيم عبد الله البنا ، الفكر السياسي عند جماعة الإخوان المسلمين ، مجلة العلوم السياسية والقانون ، المركز الديمقراطي العربي ، ع 01 ، 2017م.

[3] محمد عبد الحليم حامد ، معا في طريق لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشهيد حسن البنا ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص10.

[4] الأعضاء هم: حافظ عبد الحميد ، أحمد المصري ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمان حسب الله ، إسماعيل عز الدين وزكي المغربي، أنظر: حمدان رمضان محمد ومحمد محمود أحمد ، الفكر الاجتماعي والسياسي للإمام الشهيد حسن البنا ، جامعة الموصل ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، مج 06 ، ع 12 ، 1433هـ ، 2012م.

جديد مثل بالنسبة للكثيرين الإغراء الأكبر ، **وباتت الوحدة السياسية للمسلمين من خلال إعادة إقامة الخلافة جديدة واحدا من الأهداف الأساسية لجماعة الإخوان المسلمين**[1] . لذلك حرص الشهيد حسن البنا أن لا تكون حركته إقليمية في حدود القطر المصري ، بل عالمية الدعوة الإسلامية [2]، يقول محمد عبد الحليم : لذلك وجدناها في الأربعينيات لتشمل العالم العربي كله ، ولتنطلق بعد ذلك في أقطار العالم الإسلامي ومن ثم العالم بأسره[3].

2 نظرته إلى نظام الحكم

سعى الإمام حسن البنا إلى إعادة مجد الخلافة بتأسيس حركة الإخوان المسلمين ، وتم له ذلك سنة 1928م بعد عام واحد من تخرجه من مدرسة المعلمين ، حيث سعى البنا إلى جذب جميع أطياف المجتمع باختلاف توجهاتهم العقائدية والفكرية[4]. وكانت هدفه الأساسي لم شمل الأمة الإسلامية دون إغفال الدور الديني ولا يتأتى ذلك إلا بتعيين الحاكم ثم محاسبته فيما بعد ، ولذلك يقرر الإمام الشهيد المبدأ العام للمسؤولية في الدولة الإسلامية فيقول: **فأما مسؤولية الحاكم فإن الأصل فيها – في النظام الإسلامي – أن المسؤول فيها هو الرئيس الدولة كائنا من كان ، له أن يتصرف وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة**[5].

ولئن كان في قوله هذا لا يشترط صفات معينة في الحاكم ، فإنه يخالف أهل السنة في عد مسألة الخلافة من الفروع ، ويذهب في ذلك مذهب الشيعة ويعدها من أصول الدين ، يقول البنا: والحكم

[1] جيرولیماتوس ، قصور من الرمل ، مرجع سابق ، ص80.

[2] محمود عبد الحليم حامد ، معا في طريق لدعوة شيخ الإسلام ، مرجع سابق ، ص12

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] علي سيد الوصيفي ، الإخوان المسلمين بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1432هـ – 2012م ، ص35.

[5] لخضر شكير، إشكاليات نظام الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1 ، الجزائر، السنة الجامعية 1436 -1437هـ، 2015 - 2016م، ص136 ،نقلا عن البنا، نظام الحكم ضمن مجموعة الرسائل،ص322.

معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون و قضاء ولا ينفك واحد منهما عن الآخر[1].

وعلى الرغم من كون هذا الموقف مخالفا لما اتفق عليه علماء السنة كون الحكم والخلافة من الفروع لا من الأصول ؛ فقد استند البنا إلى مجموعة من النصوص حتى يثبت أنها من الأصول منها قوله صلى الله عليه وسلم: (**إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلا)**[2] ، وقوله أيضا:(**السلطان ظل الله في الأرض ، فإذا دخل أحدكم بلدا ليس فيه سلطان فلا يقيمن به)**[3].

إلا أن فكرة إعادة الخلافة الإسلامية كانت من أولويات حسن البنا لدرجة أنها كانت مقدمة على طلب الاستقلال الوطني إبان تلك الحقبة التي عاشتها البلاد تحت الاحتلال[4]، ويؤكد ذلك طارق البشرى بقوله: **مطلب الخلافة أخذ عند البنا الأولوية على مطلب الاستقلال الوطني، وقد أعلن الشيخ البنا في العيد العاشر للجماعة أن الإخوان يعطون الأولوية لاسترداد الخلافة**[5].

---

[1] حسن البنا، مجموعة الرسائل، شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر،دط ، 1988م ، ص136.

[2] مسلم ، كتاب الإمارة، باب 52، ح ر 141.

[3] رواه الديلمي عن أنس، انظر لخضر شكير ، نظام الحكم في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص125.

[4] إبراهيم عبد الله البنا ، الفكر السياسي عند جماعة الإخوان المسلمين ، مجلة العلوم السياسية والقانون ، المركز الديمقراطي العربي ، ع 01 ، 2017م.

[5] طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر (1945- 1952م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط ، 1988 ، ص

المطلب الثالث: أبو الأعلى المودودي ونظرية الحاكمية الإلهية

1 أبو الأعلى المودودي: (1903 – 1979م)

هو أبو الأعلى بن سيد أحمد المودودي ،ولد في 25 سبتمبر 1903 م بمدينة ارنك اباد الدكن ، وينتمي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب ، وهاجرت إلى الهند[1].

نشأ في جو صوفي ، وتفتحت عيناه على حياة تفيض بالزهد والورع ، والتقوى، تعلم على يد والده الذي علمه العربية والقرآن الكريم ، والحديث والفقه ، وحفظه موطأ الإمام مالك.

جسد المودودي مشروعه الفكري الإصلاحي في الحكم من خلال دعامتين هما كتاباته من جهة ، وحركته في البحث عن أرض الخلافة من جهة أخرى ، وتجسد ذلك على أرض الواقع من خلال مقاومته الإستعمار الإنجليزي وتأسيس الجماعة الإسلامية ، أما أهم كتبه في هذا الجانب فهي كتاب نظام الحياة في الإسلام ، وكتاب الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، والكتاب الرئيسي في بناء الحكم هو كتاب نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور. ، وينطلق المودودي من فكرة شمولية الدين ليبني تصوره حول الحكم في الإسلام حيث يرى أن الدين أصل والسياسة فرع له[2].

2 نظرية الحاكمية الإلهية:

تعود صياغة نظرية الحاكمية في الفكر الحركي الإسلامي المعاصر إلى أبي أعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند البريطانية عام 1941 وهو أول أمين عام وأول أمير لها[3] ، وقد نادى المودودي بنظرية الحاكمية الإلهية وقد استند في هذا الشعار على مبدأ الحكم الإلهي ، يقول عنها أحمد الفنجري : كان أول من أعلنها أبو الأعلى المودودي في كتبه ومقالاته[4] ،وسماها – نظرية الإسلام السياسية – ؛ يقول شحرور: لم يدخل مصطلح الحاكمية كمفهوم سياسي في قاموس التيار الإسلامي إلا على يد الداعية الهندي أبو الأعلى المودودي ... فتمت من خلال كتاباته إعادة رفع شعار الخوارج "

---

[1] ألب أرسلان ، أبو الأعلى المودودي ... عملاق الدعوة الإسلامية ، شبكة مشكاة الإسلامية ، ت ن: 2014/06/12م.

[2] لخضر شكير ، نظام الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 168.

[3] محمد جمال باروت ، نظرية الحاكمية في الفكر الإسلامي المعاصر ومفهومها لحقوق الإنسان ، ضمن حقوق الإنسان في الفكرالعربي دراسات في النصوص ، محمد عابد الجابري وآخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2002م ، ص625.

[4] أحمد شوقي الفنجري ، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 ، دط ، ص 22.

إن الحكم إلا لله " وأخذ أبعادا أيديولوجية تحولت إلى سياسة نشيطة[1]. يقول محمد الناصري: **من المعلوم أن أبا الأعلى المودودي أول من صاغ فكرة الحاكمية الإلهية**[2] في الإطار السياسي والاجتماعي والقانوني، وقد قام بتوظيف ذلك من أجل بناء نظرية سياسية تقوم على منظومة عقائدية ، **حيث تتجلى الحاكمية الإلهية في السلطتين السياسية والقانونية ، واختار مصطلح الحاكمية الإلهية للتعبير عن مبدأ سيادة الله وما يفرضه من وجب سيادة التشريع الإسلامي**[3].

ثم جاء من بعده سيد قطب فتبناها في كتابه – معالم في الطريق – فهذه النظرية ترفض الديمقراطية باعتبار أن الهدف منها هو حكم الشعب بالشعب ...وأن الأمة هي مصدر السلطات... وهذا بزعمهم شرك بالله لأن الله تعالى يقول جعل الحكم لنفسه

وفي ذلك يقول المودودي إن الله تعالى نزع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر لأن ذلك مختص به الله وحده ، ولما كانت الديمقراطية السلطة فيها للشعب جميعا فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظم الدولة الإسلامية بل الأصدق منها تعبيرا كلمة الحكومة الإلهية أو الثيوقراطية ، أو ما يعبر عنها بلفظ الحاكمية الإلهية[4]. ولذلك يحدد معنى الحاكمية بقوله : تطلق هذه الكلمة على السلطة العليا والسلطة المطلقة على حسب ما يصطلح عليه اليوم في علم السياسة ، فلا معنى لكون فرد من الأفراد – أو مجموعة من الأفراد أو هيئة مؤلفة منهم – حاكما إلا أن حكمه هو القانون وله الصلاحيات التامة والسلطات الكلية غير المحدودة لينفذ حكمه في أفراد الدولة ، وهم مضطرون إلى طاعته طوعا أو كرها وما هناك من شيء خارجي يحد صلاحياته في الحكم غير إرادته ومشيئته هو نفسه ، والأفراد ليس لهم بإزالة حق من الحقوق ، وكل من له حق من الحقوق منهم ، فإنما هو منحة جاد بها

---

[1] محمد شحرور ، الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية ، دار الساقي ، بيروت ، ط1 ، 2014 م ، ص40

[2] بعد أن طرح المودودي فكرة الحاكمية الإلهية وتبناها كنظرية في الحكم تناول هذا المصطلح بالدراسة عدد كبير من المفكرين ، لما ترتب عنها من فهوم مختلفة ، وقد ذكر معظم هذه الدراسات محمد الناصري ضمن سلسلة الإسلام السياق ، ومن أهم هذه الدراسات دراسة الدكتور محمد عمارة بعنوان نظرية الحاكمية الإلهية في فكر أبي الأعلى المودودي ضمن ندوة إشكالات الفكر الإسلامي المعاصر ، مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا سنة 1991م ، أنظر محمد الناصري ، ص05.

[3] محمد الناصري ، مفهوم الحاكمية من أجل تجاوز إشكاليات المفهوم والتوظيف الإيديولوجي ،، سلسلة السياق المعاصر (04) ، الرابطة المحمدية للعلماء ، المملكة المغربية ، ص13.

[4] أحمد شوقي الفنجري ، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية ، مرجع سابق ، ص 23.

عليه حاكمه ، وكل حق يسلبه هذا الحاكم ينعدم بنفسه ، لأنه لا ينشأ كل حق فطري إلا لأن الشارع أنشأه ، فإذا سلبه الشارع لم يعد حقا من الحقوق التي يطالب به ، وأما صاحب الحاكمية نفسه ، **فما هناك من قانون يقيده ويوجب عليه الطاعة لأحد**[1]. وقد خلص المودودي إلى ذلك انطلاقا من مبدأ الحرية الفطرية للإنسان أن حق الفرد مكفول في الغاية من خلقه ، وغاية الجماعة التي ينتمي إليها ، لذلك يقول : **إن غاية حياة الفرد في الإسلام أنما هي غاية الجماعة بعينها ، أي تنفيذ الحق الإلهي في الدنيا وابتغاء وجهه تعالى في الآخرة**[2].

[1] أبو الأعلى المودودي ، نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ، تر جليل حسن الإصلاحي مراجعة مسعود الندوي ومحمد عاصم حداد ، دار الفكر ، بيروت ، د ط ، 1969 ، ص251.

[2] أبو الأعلى المودودي ، المصدر نفسه ، ص 56.

المبحث الثالث : نظرية الخلافة الجامعة عبد الرزاق السنهوري وأحمد الكاتب

بعد أن عرض الباحث أهم المحاولات المعاصرة والنماذج التي حاولت التجديد والإصلاح لأجل إعادة الخلافة الراشدة ، يحاول الباحث أن يقف في هذا المبحث الأخير من الفصل والدراسة كلها على أهم النظريتين الجامعتين في مسألة الخلافة في العصر الحديث ويمثلهما كل من عبد الرزاق السنهوري من جانب أهل السنة ، وأحمد الكاتب من جانب الشيعة.

المطلب الأول: عبد الرزاق السنهوري حياته وفكره (1895 – 1971م)

1 حياته

عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا أديب الفقهاء ، وفقيه الأدباء ، وعميد فقهاء القانون المدني في العالم العربي وأحد أعظم القضاة في القرن العشرين ، ولد بالإسكندرية في 11 أغسطس 1895 للميلاد ، وذاق طعم اليتم في صباه حيث توفي والده وعمره ست سنوات ، نال الشهادة الثانوية سنة 1913م ، والتحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة في المرحلة الجامعية ونال منها شهادة اليسانس في الحقوق سنة 1917م ثم التحق بالثورة التي قادها سعد زغلول ضد الإنجليز ، وتزعم إضراب الموظفين ، لأنه كان يؤمن بأن الواجب يملي عليه فداء الوطن لذلك كتب في مذكراته : أريد أن يفهم كل شاب أنه يحمل بعض المسؤولية في سقوط أمته إن سقطت ، ولا يكتفي بالتأفف والتحسر فعلى هذا الشعور يتوقف قسط كبير من الأمل في التقدم . وكان أحد الأعضاء البارزين في اللجنة التي وضعت الدستور بعد إلغاء دستور 1923م.

حمل السنهوري عبء الأمة فكرس حياته لخدمتها ، وجعل رسالته إحياء الشريعة الإسلامية ، وذلك حتى تعود الخلافة الإسلامية من جديد في صورة جديدة هي صورة الجامعة الشرقية وعصبة الأمم الإسلامية[1] ، فسافر إلى فرنسا في بعثة علمية وأنجز رسالته عن الخلافة سنة 1926 م ، وعاد إلى بلده

[1] يقول الصحفي المصري عمار المطاوع: لا نبالغ إذا قلنا أن عصبة الأمم المتحدة التي شكلت نواة منظمة الأمم المتحدة قد تكون مأخوذة بشكل مباشر وصريح عن بحث السنهوري الذي نشره بالفرنسية أول مرة في باريس.

في نفس العام وزاول عدة مهام لا يتسع المقام لذكرها منها أنه عيّن سنة 1949م رئيسًا لمجلس الدولة المصري ، وأحدث أكبر تطوير تنظيمي وإداري للمجلس في تاريخه، وأصدر أول مجلة له، وتحول المجلس في عهده للحريات واستمر فيه إلى ما بعد ثورة يوليو سنة 1952م[1]. إلى أن جاءت سنة 1954 للميلاد ، وجاءت معها الأزمة فانحاز السنهوري إلى طريق الدستور القانون والديمقراطية والرأي العام ، وانحاز جمال عبد الناصر إلى الثورة بأي طريق فكان الفصام النكد بين عبد الناصر والسنهوري ، وقام عبد الناصر بالانقلاب على محمد نجيب وانفرد بالسلطة في 14 نوفمبر 1954 للميلاد .

فرض عبد الناصر الإقامة الجبرية على السنهوري ، ومنعه من الخروج من بيته ،استطاع أثناء عزلته (من 1954-1970) إنجاز عدد من المؤلفات القانونية المهمة، كما وضع المقدمات الدستورية والقانونية لكل من مصر وليبيا والسودان والكويت والإمارات العربية المتحدة، ولم تسمح له السلطات المصرية بالسفر إلا مرة واحدة تلبية لدعوة أمير الكويت سنة 1960م، واستطاع خلال هذه المدة وضع دستور دولة الكويت واستكمال المقومات الدستورية القانونية التي تؤهلها لعضوية الأمم المتحدة[2].

وقد توفي السنهوري في 1971/7/21م ولم يترك من الأبناء إلا ابنته الوحيدة نادية عبد الرزاق السنهوري زوجة توفيق الشاوي أستاذ القانون والمفكر الإسلامي الكبير.

2 فكره

لا يمكن حصر الآثار الفكرية للسنهوري في هذه القائمة ، لكن يمكن التمييز فيها بين مشاريع القوانين المدنية ، ومشاريع الدساتير التي وضعها وبين آثاره الفكرية الأخرى – كتبًا كانت أو دراسات –

غير أننا نرى أن فكره في جانب الحكم وكيفيات إدارته في البلاد الإسلامية يقوم على دعامتين: فباطلاعه الواسع على قوانين والفكر الغربي وجد إمكانية التوفيق بين الإسلام ومنتجات الحداثة الغربية وأفكارها ، لم ير بأسا في تأييد فكرة الديمقراطية أو اقتباس بعض التنظيمات الغربية وإكسابها لبوسا إسلامية كدعوته إلى إنشاء عصبة أمم شرقية على غرار عصبة الأمم الدولية لتحل بديلا عن مؤسسة

[1] موقع الإسلام أون لاين 2019/03/01م

[2] المرجع نفسه.

الخلافة الكلاسيكية ، وكان يعتقد أن هذا هو الشرط الوحيد لاستمرارها في ظل عصر تبدلت فيه المفاهيم والكيانات وقواعد وأطر العلاقات الدولية. أما الدعامة الثانية فهي ضرورة إحياء الفقه الإسلامي وتجديده ليصبح مصدرا رئيسا للقانون في الدولة ؛ وبحسب السنهوري فإن ثمة علاقة تربط الاستقلال السياسي بالاستقلال القانوني؛ فحين أفقدتنا الإمبريالية الغربية استقلالنا السياسي تبع ذلك فقدان استقلالنا القانوني بالتوجه نحو اقتباس القوانين الغربية[1].

ومن أهم مؤلفاته في هذا الجانب بالإضافة إلى رسالته فقه الخلافة لتصبح عبة أمم شرقية نذكر:

– الدين والدولة في الإسلام، القاهرة: مجلة المحاماة الشرعية، صدر عددها الأول في جمادى الأولى 1348هـ. وللسنهوري مؤلفات كثيرة، منها مشروعات القوانين المدنية والدساتير، كالقانون المدني المصري ومذكرته الإيضاحية وشروحه الوسيط، إضافة إلى القانون المدني العراقي، ومذكرته الإيضاحية، والقانون المدني السوري، ومذكرته الإيضاحية، وقانون البيانات، بما فيه ممن قواعد الإثبات الموضوعية والإجرائية.

إضافة إلي دستور دولة الكويت، وقوانينها التجاري والجنائي والإجراءات الجنائية والمرافعات، وقانون الشركات وقوانين عقود المقاولة، والوكالة عن المسئولية التقصيرية، وعن كل الفروع، وهي التي جمعت فيما بعد في القانون المدني الكويتي، إضافة للقانون المدني الليبي، ومذكرته الإيضاحية ودستور دولة السودان، ودستور دولة اتحاد الإمارات العربية[2].

المطلب الثاني : نظرية الخلافة وشروطها عند السنهوري

طرح عبد الرزاق السنهوري نظريته في الخلافة من خلال رسالته التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة ليون سنة 1926 م ، وقد قام بترجمتها وتحقيقها نجلته نادية السنهوري ، وزوجها الدكتور توفيق الشاوي[3] ، وتقوم نظريته على مبدأين حيث يفرق بين نوعين من الخلافة ، هما الخلافة التامة –

[1] فاطمة حافظ ، التجديد الفقهي وكيفياته ، قراءة في فكر عبد الرزاق السنهوري ، موقع الإسلام أون لاين ، 19/ 11/ 2017م.

[2] ثروت البطاوي ، عبد الرزاق السنهوري شموخ القضاء وعبقرية القانون ، مقال بموقع الإسلام 2012/12/03م.

[3] عبد الرزاق أحمد السنهوري ، فقه الخلافة لتصبح عصبة أمم شرقية ، تح توفيق الشاوي ونادية عبد الرزاق السنهوري ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، منشورات الحلبي ، ط1 ، 2008 ، ص 412.

الصحيحة – التي عبر عنها بالخلافة الراشدة ، والخلافة الناقصة أو ما عبر عنها بالخلافة غير الراشدة. فحين انقسم جمهور نخبة المسلمين إلى فريقين ، فريق أصولي يرى أن الخلافة في تأسيسها الراشدي الإمبراطوري القديم ، وفريق واقعي يرى التمسك بالنسق الإمبراطوري ، ودخول العالم في عصر الدول القطرية حاول السنهوري أن يخرج بتصور جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ويواكب التغير الحضاري الذي يشهده العالم ، دون أن ينسلخ عن الغاية التي جعلت الخلافة لأجلها ، فقام تصوره على أساس أهداف الخلافة ، هو وحدة الأمة الإسلامية الروحية ، لا وحدة الدولة الترابية الذي وإن كان مهما عند السنهوري إلا أنه ناتج من نواتج الوحدة الروحية. وفي ظل هذه المعطيات تنبه عبد الرزاق السنهوري إلى أن المنظمة السياسية هي البديل الحضاري للخلافة الإمبراطورية القديمة فهي تحفظ لكل بلد خصوصية مقدراته ، واستقلال مفاهيمه وعاداته وقوانينه ، لكنها تبقي الأمة الإسلامية وحدة متكاملة في مواجهة الكيان العالمي[1]. ولما كان الدكتور عبد الرزاق السنهوري، من أكبر المدافعين عن الإسلام والشريعة الإسلامية، ضد موجات التغريب العلمانية، ودعاة فصل الدين عن الدولة والسياسية، تبنى في شبابه فكرة الجامعة الإسلامية، متأثرا بالزعيم الوطني الراحل مصطفى كامل، وأعمال عبد الرحمن الكواكبي وعبد العزيز جاويش ومحمد فريد وجدي.

وتبلورت الفكرة الإسلامية لدى السنهوري أثناء وجوده في فرنسا ضمن بعثة علمية ،حيث كان **منتقدا للانبهار بالغرب، ومهاجما للحضارة الغربية وللأفكار العلمانية**[2].

ولعل إيمان السنهوري بالفكرة الإسلامية، قد دفعه في أعقاب سقوط الخلافة الإسلامية، إلى إنجاز رسالة دكتواره، بعنوان (فقه الخلافة وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية). وفيما يل نعرض نظرته إلى الخلافة.

[1] عمار المطاوع ، التصور الحداثي للخلافة الإسلامية في فكر عبد الرزاق السنهوري ، مقال ضمن مدونات الجزيرة ، نشر بتاريخ 2017/04/02.

[2] عمار المطاوع ، التصور الحداثي للخلافة الإسلامية في فكر عبد الرزاق السنهوري. المصدر السابق.

1 الخلافة الراشدة :

نظر السنهوري إلى الخلافة الراشدة من زاويتين ، فمن حيث المبدأ يجب أن تشمل جميع الأقطار الإسلامية ، ومثلتها مرحلة الخلفاء الراشدين الأربعة ، ذلك أن الخلافة الراشدة الصحيحة وحدها التي تمثل معاني الكمال وشملت كل البلاد الإسلامية ، ويستحيل قيامها لسبب أو لآخر ، لذلك دعت الضرورة إلى قيام الخلافة الناقصة. أما من حيث التطبيق في عصرنا فقد تكون شاملة للعالم الإسلامي أو لقطر من أقطاره ، والأساس المميز لها هو التزامها بالشريعة الإسلامية من حيث المبدأ وبذلك يمكن قيام الخلافة الراشدة إذا توفرت شروطها وخصائصها. وقد بين السنهوري أن الخلافة الصحيحة تنبني على ثلاثة مبادئ وهي:

أولا: أن النظام الراشد مبني على أساس تعاقدي ، فالخليفة الصحيح تكون ولايته بناء على عقد صحيح وهو البيعة الحرة ، **وفي حال الاستخلاف يكون استخلاف بعقد تليه البيعة التي يجب أن تكون حرة ، أما القوة أو الغلبة أو العنف فهما مستبعدان تماما من الخلافة الراشدة**[1].

ثانيا: ليس كل الناس لهم الحق في الترشح للمنصب الأعلى في الدولة الإسلامية بل لا بد من أن يكون أهلا لهذا المنصب وهو ما صاغه السنهوري في المبدأ الثاني بقوله: **من يترشح للحكم يجب أن تتوفر فيه شروط الأهلية التي قررها الفقه لكي تضمن حسن سير الحكومة**[2].

ثالثا : فيما يخص عمل حكومة الخليفة وسيرها تشمل ثلاثة نقاط وهي: **أنها تقوم باختصاصات السياسة واختصاصات الدين ، وتطبق الشريعة الإسلامية اقتداء بالرسول وخلفائه الراشدين ، وولايتها عامة لدار الإسلام كي تضمن وحدة المسلمين**[3].

[1] عبد الرزاق السنهوري ، فقه الخلافة ، مصدر سابق ، ص 219.

[2] عبد الرزاق السنهوري ، فقه الخلافة، المصدر نفسه ، ص 220.

[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

2 الخلافة الناقصة (الحكومة الناقصة):

يرتكز فكر السنهوري في الخلافة الناقصة على دعامة مقاصدية وهي قاعدة الضرورة تبيح المحضورة ، ويرى أنها أخف الضررين ، ففي ظل استحالة أو عدم توفر جميع الخصائص المميزة للحكومة الصحيحة الراشدة ، تصبح الخلافة الناقصة جائزة طالما أنها تمثل أخف الضررين ، فوجود الحكومة الإسلامية غير الكاملة أقل ضررا من الغياب الكامل لأي نظام[1] ، – أي إلغاء الخلافة–. ولذلك وصف الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين والخارجون عليهم بخلافة القهر والبغاة ، ويعذر أهل الحل والعقد في ذلك الزمان لأنهم نظروا إلى المآلات ، وما يترتب عن مواجهتهم فقال: معنى ذلك أن الخليفة الذي عينه البغاة يصبح خليفة بالقهر والغصب والإستيلاء ، وقد أجازوا ذلك للضرورة فقط ، ولكن خلافته فاسدة أو ناقصة وتسري عليها أحكام هذا النوع من الخلافة[2].

3 شروط الحكومة الناقصة عند السنهوري:

إذا كان الواجب أصلا في نظر السنهوري هو إقامة الحكومة الصحيحة فذلك لا يعني أنه أهمل شروط الحكومة البديلة – الناقصة – ومن أهم شروطها:

– أنها تلتزم بتطبيق كل ما تلتزم به الحكومة الصحيحة من أحكام الشريعة التي لم تعطلها الضرورة[3]. وبهذا الشرط يكون السنهوري قد جعل الخلافة الصحيحة هي القاعدة التي ترتكز عليها الخلافة الناقصة في تطبيق الأحكام الشرعية التي لم تعطلها الضرورة.

– أنها لا تستمر إلا طالما وجدت حالة الضرورة التي بسببها وجدت ، وبمجرد زوال الضرورة يجب ان تزول معها الحكومة الناقصة ، فهي نظام ظرفي مؤقت واستثنائي مهما طالت مدتها[4].

[1] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه ، ص217.

[3] عبد الرزاق السنهوري ، فقه الخلافة، المصدر نفسه ، ص222.

[4] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

وفي هذا الشرط دليل على إمكانية قيام الخلافة الصحيحة الراشدة ، بكونها حسب وصفه نظام مرن يمكن أن يتطور شكله ليتلاءم مع الظروف الإجتماعية[1] .

ومن خلال هذه الشروط يرى السنهوري أن نظام الخلافة بعد الراشدين هو خلافة فاسدة أو ناقصة رغم سيطرتها على العالم الإسلامي قرونا طويلة.

في النهاية ومن خلال الجمع بين التصور الأول والثاني للخلافة يمكن القول بأن التصور الشامل للسنهوري حول مسالة الخلافة ، والنظرية الجامعة لها في الحاضر مفادها أن وحدة الأمة هي الغاية وليس وحدة الدولة ، فمن حيث الشكل فالوحدة الترابية هي الأمثل إذ لا بد من وحدة الأقطار الإسلامية تحت مسمى عصبة الأمم أو الإمبراطورية الإسلامية هذا من الجانب النظري ، أما من الجانب التطبيقي فيمكن أن تقوم الخلافة في قطر من الأقطار الإسلامية وتكون ناقصة في انتظار أن تعمم على باقي الأقطار حتى تكتمل.

[1] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: أحمد الكاتب وجهوده في الإصلاح

1 أحمد الكاتب :

هو باحث وكاتب عراقي، من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي ولد في مدينة كربلاء التاريخية بالعراق عام 1953م، واسمه الحقيقي عبد الرسول عبد الزهرة عبد الأمير بن الحاج حبيب الأسدي، أما اسم أحمد الكاتب فكان الاسم الحركي له أثناء عمله في منظمة العمل الإسلامي المناهضة لنظام صدام حسين[1]. وقد كانت بداية بحثه في تصحيح مفاهيم الشيعة حول نظرية الولاية وولاية الفقيه بعد أن حدثت أزمة في إيران بين مجلس الشورى و وزارة العمل ومجلس صيانة الدستور سنة 1988 م ، حيث استعان وزير العمل بالإمام الخميني طالبا منه دعم القانون ، فاعترض رئيس الجمهورية السيد علي الخامنائي ، وأعضاء مجلس الدستور ، فألقى الإمام الخميني خطابا له طرح فيه نظرية ولاية الفقيه المطلقة وقال: **إن ولايته شعبة من ولاية الله والرسول والأئمة المعصومين ، وإن له الحق في تجاوز القانون ، بمخافة أية اتفاقية شرعية يعقدها مع الشعب إذا رأى بعد ذلك أنها مخافة لمصالح البلاد أو مخالفة للإسلام**[2]. وهو ما دفع بالكاتب إلى التفكير في استعراض آراء ومواقف علماء الشيعة خلال ألف عام من زمن الغيبة الكبرى ، فذهب إلى خرسان وتعرف على مكتبة خاصة تابعة لمركز دراسات يديره السيد جواد الشهرستاني ، حيث وجد فيه حوالي مئة موسوعة تغطي زمن الغيبة ، وهناك وجد نظريتين متميزتين قال عنهما: **لشد ما أدهشني عندما وجدت فيها نظريتين متميزتين ، الأولى: نظرية التقية وانتظار الإمام المهدي الغائب ، والثانية : نظرية ولاية الفقيه التي ولدت كجنين صغير في ظل غيبة الإمام ثم تطورت إلى أن أصبحت تشمل قضايا سياسية قريبة من الدولة**[3] ، فكانت هذه الأحداث منعرجا في حياة أحمد الكاتب الذي واصل بحثه وتوصل من خلاله على نتائج تنسف نظريات الشيعة في الإمامة من أساسها و هو لا يزال يناضل إلى اليوم من أجل بيان الحقائق المستورة في الفكر السياسي الشيعي ، وتصحيح أفكار شعبه.

---

1 http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/120468-2009-1025%2014-20-23.html

[2] أحمد الكاتب ، دراسة نظرية ولاية الفقيه ، ص18.

[3] المصدر نفسه ، ص19.

2 جهوده في الإصلاح

يعد أحمد الكاتب من أهم الرموز الشيعية التي تنتمي إلى التيار التصحيحي ، وجسد مشروعه في مجموعة من الكتب أهمها كتابي: لله ثم للتاريخ[1] ، وتطور الفكر السياسي الشيعي، وقد استطاع أن يصوغ عقيدته ونظريته في الإصلاح في بيان سماه : البيان الشيعي الجديد وهذه أهم النقاط التي توقف عندها حول مسألة الخلافة وموقفه من النظريات الشيعية :

1- التأكيد على سلامة القرآن من التحريف[2].

2- إجلال الصحابة و تحريم سبهم[3].

3- الاعتقاد بأن الإسلام دين شمولية وأنه لم ينص على نظام سياسي معين، فقد أوصى بمبدأ الشورى وترك للمسلمين حرية اختيار نظامهم السياسي حسب ظروف الزمان والمكان، لذلك لم ينص الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم على خليفة من بعده واجتهد الصحابة في اختيار الخلفاء الراشدين الخمسة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم. بذلك يخرج الكاتب من ضيق المذهب الشيعي إلى سعة في المسألة ويقول: **إننا يمكن أن نقيم أساس الدولة على قاعدة الشورى وولاية الأمة على نفسها ، بمعنى أن يكون الإمام منتخبا من الأمة ونابعا من إرادتها**[4].

4- أن القول بوجود النص الجلي على الإمام علي رضي الله عنه بالخلافة من رسول الله نشأ في القرن الثاني للهجرة ولم يكن له وجود في السابق ، والجدل فيه عقيم لا يقدم ولا يؤخر، وهو ما انحرف عنه الشيعة فرد عليهم بقوله: **لو كانت الخلافة بالنص من الله واليقين من رسول الله كما تقول النظرية الإمامية ، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف ، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يهمل الإمام الحسين ، وإنما كان يجب أن يشير إليه من بعده.**

---

[1] الكثير من الباحثين يعد هذا الكتاب ضمن مؤلفات موسى الموسوي.

[2] أحمد الكاتب ، تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، ص

[3] أحمد الكاتب ، البيان الشيعي الجديد ،2008/12/29م ، ص8، www.alkatib.co.uk
http://www.youtube.com/watch?v=a94eiRwKGJQ

[4] أحمد الكاتب ، تطور الفكر السياسي الشيعي ، مرجع سابق ، ص 255.

كما رفض علي بن الحسين – زين العابدين– قيادة الشيعة الذين كانوا يطالبون بالثأر لمقتل أبيه ويعدون للثورة ، ولم يدع الإمامة[1].

5– أن الإمام علي رضي الله عنه ترك الأمر شورى ولم يعين ابنه الحسن وليا للعهد ، وعدم وجود ذلك يعني بالضرورة عدم وجود وصية لمن بعده ، كما أن هذه القضية قد انجر عليها تضييع صلاة الجمعة التي كان الشيعة يقيمونها حتى أواسط القرن الخامس الهجري ، وخاصة في مسجد براثا في بغداد ، ولكن التطرف في التنظير لنظرية التقية والانتظار واشتراط حضور الإمام العادل أو إذنه ، وتفسير الإمام فرضية فلسفية؟) توصل فيه إلى أنه فرضية فلسفية لا علاقة لها بالحقيقة تماما ، يقول الكاتب: **الإيمان بهذا الإمام مسألة حيوية معاصرة تدخل في عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية وتشكل العمود الفقرى لها ، كما أنها شكلت وتشكل الأرضية الإيديولوجية لفكرهم السياسي القديم والمعاصر** [2].

بل وإنه يرجع سبب الغرق في بحر الغيبة والتيه الذي عاشته الشيعة حتى ظهور نظرية ولاية الفقيه وما ترتب عنها بعد ذلك ، كله يرجع إلى هذه العقيدة وهذا ما عبر عنه بقوله: ولدت على إثر الإيمان بوجود محمد بن الحسن العسكري الفرقة الإثني عشرية ، بعد أن كاد المذهب يصل إلى طريق مسدود[3].

6– نعتقد أن السب الشتم واللعن والتكفير والاتهام – كان مع الأسف الشديد – إفرازا من إفرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين ، ولا بد من إغلاق ذلك الملف[4].

7– لا نؤمن بشفاعة الأئمة ... ونرفض الاستغاثة بهم ونعتبره شركا بالله تعالى[5].

[1] أحمد الكاتب ، تطور الفكر السياسي الشيعي، المرجع السابق ، ص6.

[2] أحمد الكاتب ، البيان الشيعي ، مرجع سابق ، ص4.

[3] المصدر نفسه ، ص6.

[4] المصدر نفسه ، ص8.

[5] المصدر نفسه ، ص9.

3 نظرية الكاتب في الخلافة

لا يزال أحمد الكاتب إلى اليوم يحاول أن يصوغ نظرية جامعة في مسألة الخلافة – وإن كان مبدؤها شيعيا- وذلك انطلاقا من فكرة التصحيح والتقارب بين مذهبي أهل السنة والشيعة ، ولذلك لم يترك بدعة في مذهب الشيعة إلا انتقدها ، ولم يترك سوء فهم في المذهب السني إلا أمط عنه اللثام ، فمن الجانب الشيعي ألغى أهم بند في بنود نظريتهم وهو الإمامة امتداد للنبوة وأصل من أصول الدين فقال: **لا نعتقد بأن الإمامة جزء من النبوة أو أنها تشكل امتدادا لها ، ولا نعتبرها أصلا من أصول الدين ، ولا ركنا من أركانه ، لأن القرآن لم يتحدث عنها ، ولكنها مسالة فرعية قد تدخل في الفقه السياسي ، ولا نعتقد بوجوب كون الإمام (رئيس الدولة) معصوما كالأنبياء أو أنه يتلقى الوحي مثلهم ... أو أن أوامره كأوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه**[1].

كما انتقد نظرية العصمة هذه العقيدة بقوله: لما كان الشيعة الإمامية يعتقدون بضرورة اتصاف الإمام بالعصمة والنص عليه من الله ، وأنهم آمنوا بوجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري ، فقد تحتم عليهم انتظار ذلك الإمام... وامتد انتظار الشيعة الإثني عشرية له ، فقد دخل الشيعة في غيبة سياسية وانسحبوا من مسرح التاريخ قرونا طويلة من الزمن[2].

ثم بين عقيدة أهل البيت وأن منهجهم في الخلافة مبني على مبدأ الشورى – وهو المبدأ الذي قامت عليه الخلافة الراشدة – فقال : **نعتقد أن أهل البيت كانوا يؤمنون بنظام الشورى ، ولم يعرفوا نظرية الإمامة الإلهية القائمة على الوراثة العمودية في سلالة معينة ، ولم يدعوا العصمة لأنفسهم ولا علم الغيب**[3]. ثم أعطى مثالا تاريخيا واقعيا يفند النظرية الإلهية ويكرس مبدأ الشورى وبه نقد كون الإمامة إلهية فقال : بعد أن بايع الناس الإمام الحسن قام بالتنازل عن الخلافة إلى معاوية واشترط عليه العودة

[1] أحمد الكاتب ، البيان الشيعي الجديد ، مرجع سابق ، ص3.

[2] المرجع نفسه ، ص4.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

بعد وفاته إلى نظام الشورى ، حيث قال في شروط الصلح : على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين[1].

ومن خلال عرضنا لموقفه من نظرتي الشيعة نخلص إلى أن أول بند من بنود نظريته يرتكز على ثلاثة دعائم وهي : – أن الإمامة مسألة فرعيه وليست أصلا من أصول الدين ، والثانية : نفي العصمة فلا وجود للإمام المعصوم وأما الدعامة الثالثة فهي تحصيل حاصل من الدعامتين السابقين وهي: أن الخلافة شورى وليست بالتعيين الإلهي.

وبالنظر إلى هذه الدعائم نستخلص أن الكاتب سعى إلى الخروج بنظرية جامعة لكل الأمة الإسلامية فكل أهل السنة يجلون أهل البيت ويرفعون من قدرهم ويعتقدون صلاحهم ، وينفون عنهم العصمة كما نفوها هم عن أنفسهم وتبرؤوا ممن وصفهم بها.

[1] المرجع نفسه ، ص5.

خلاصة

بعد عرضنا لجهود بعض رجال الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر والنظريات التي توصوا إليها في مسألة الخلافة ، تبين أن جهود الشيعة المتشددة توجت بنظرية ولاية الفقيه والتي تم تطبيقها على أرض الواقع ؛ إلا أنها نظرية قاصرة ، وغير شاملة – وإن عاد فيها الحكم إلى الفقهاء – أصحاب العمائم – وانقاد لهم العامة – ونظرا لتحيزها إلى طائفة دون أخرى داخل مذهبهم وتهميشهم للسنة فقد لاقت هذه النظرية المستمدة من نظرية الولاية القديمة رد فعل عنيف حتى من جانب مفكري الشيعة المعتدلين وعلى رأسهم موسى الموسوي الحجة الله نكوئي بينما سعى أحمد الكاتب إلى إيجاد نظرية جديدة من خلال التصحيح في المذهب منذ نشأته حتى عصرنا هذا.

وأما جهود المصلحين في فكر أهل السنة وعلى رأسهم محمد رشيد رضا فإنما كانت في بادئ الأمر من أجل الحفاظ على مؤسسة الخلافة المتمثلة في حكم العثمانيين ، لكن ومع سقوط الخلافة طرح هذا المفكر البدائل والحلول ضمن نظريته التي حكم عليها بالتأجيل ، وذلك لعدم توفر الظروف المناسبة لتطبيقها واستعادة مجد الإسلام ، غير أن الحلول التي قدمها محمد رشيد رضا بقيت كذلك حبيسة الكتب ولم تنزل إلى الميدان.

في حين جهود المودودي توجت بنظرية الحاكمية الإلهية ، والتي لقيت نقدا شديدا من بعض أطراف السنة ؛ إلا أننا نراها تحتاج إلى إعادة فهم ، فحاكمية المودودي غير حاكمية الخوارج القدامى ، لأن نظريته انطلقت من بيئة خاصة وظروف خاصة ، فبلاد الهند كانت مستعمرة بريطانية من جهة ، وتعدد ديانات أهلها من جهة أخرى يعد عائقا آخر ، لذلك كانت نظريته حسب رأينا تبحث عن فتح إسلامي جديد ، وانطلقت في أساسها على بناء العقيدة أولا ، وقد عمل المودودي رحمه الله على تطبيق نظريته في أرض الواقع ولعل جهوده الجبارة هي إحدى الأسباب الأساسية في بقاء الإسلام شامخا في البلاد الشرقية إلى اليوم.

وجاء عبد الرزاق السنهوري بعد ذلك فأعطى البدائل والحلول وخرج بنظرية جامعة في الخلافة مبنية على شطرين حتى نصل إلى إسلامية الدولة والمدينة و القانون ، ومن خلال استقرائه لتاريخ الخلافة الإسلامية وتطبيقاتها على أرض الواقع توصل إلى إمكانية قيام خلافة إسلامية راشدة في أي عصر من

العصور وفق الشروط والمبادئ التي قامت عليها الخلافة الراشدة ، و لعلها النظرية الأفضل التي يمكن بواسطتها جمع الأمة الإسلامية بمختلف فرقها وتياراتها الفكرية والعقدية ، لأنها قائمة على الشمولية ، وتهتم بالجانب التشريعي الذي يقيم كيان الدول ويوحدها بناء على أصول عقدية مستمدة من المصادر التي لم يختلف فيها أهل الإسلام وما ذلك بمستحيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

بعد ما عرضنا الآراء العقدية المختلفة لأهم الفرق الإسلامية قديما وحديثا ، كان لابد أن تكون لكل بداية نهاية ، وفي خاتمة بحثنا نقف على أهم النتائج التي وفقنا الله إليها ، والتوصيات التي من الممكن أن تأتي بثمارها وتساهم ولو بشيء يسير في إثراء البحث العلمي في مجال العقائد والفرق من الناحية النظرية ، ولمّ شتات المسلمين وتجاوز الخلافات والصراعات الدامية التي تعيشها الأمة الإسلامية من أجل الزعامة والسلطة ، وتعاني من ويلاتها الإنسانية بأسرها ، ذلك أن استقرار البلاد الإسلامية وازدهارها يعني استقرار العالم أجمع ، وتدهور حالتها الدينية والدنيوية يعني تدهور العالم كله من الناحية العملية ، وفيما يلي نعرض أهم هذه النتائج والتوصيات والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولا: أهم النتائج

– لم يشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على نصوص تبين كيفية إقامة الخلافة وإدارتها ، وإنما اشتملا أهم أساس يقيمها ويحافظ عليها وهو مبدأ الشورى ولم يفصل في كيفياتها ، وكل ما تستند إليه الفرق مجرد اجتهاد في فهم النصوص وتأويلها وقف توجهات كل طرف .

– لم يرد في القرآن الكريم نص يشير إلى خليفة بعينه – للنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته – سواء كان هذا النص خفيا أو جليا لعلي بن أبي طالب أو غيره من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ولو كان ذلك لما تجرأ أحد من الصحابة على مخالفة النص لاستحالة اجتماع الأمة على الضلالة.

– رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يستخلف حتى يبقى الاختيار للأمة من بعده ، وحتى لا تنحصر الخلافة في طائفة معينة أو أسرة معينة.

– غيّب أهل الحل والعقد بعد الخلافة الراشدة ، وإن وجدوا فهم آخر من يستشار واستشارتهم لم تكن في مسألة الخلافة وإنما في مسائل فقهية متعلقة بالأحكام ، أو عقدية متعلقة بمسائل الإيمان.

– عدم توفر شروط الإمامة في كل من ملك زمام الأمر بعد الخلفاء الراشدين، ومن توفرت فيه وتولى المنصب من بعدهم فهو: إما أخذها بالسيف أو بالقهر والغلبة ، أو بوصية المورّث للوارث.

– كل من مال من الحكام إلى فرقة من الفرق وتبنى آراءها دافع عنها وأخضع الرقاب بالقهر، وهذا ما ضيق مساحة الشورى وساهم في بلورة مواقف معادية للحكام.

– من النتائج العقدية لتحول الصراع السياسي حول منصب الخليفة ، ظهور الخوارج وطعنهم في خلافة الراشدين وتكفيرهم لهم.

– جل الآراء والعقائد التي تميز الفرق الإسلامية عن بعضها البعض جاءت بسبب الخلاف السياسي حول زعامة الأمة ، وهو الصراع الذي سرعان ما تطور وصار صراعا عقائديا.

– ارتكزت كل الفرق في آرائها العقدية على مرحلة الخلافة الراشدة وأوّلت كل فرقة النصوص الشرعية وقف ما يخدم مبادئها العقدية.

– تصور الشيعة للخليفة أو الإمام مبني على نظريتي الإمامة والعصمة في أهل البيت فهي لا تخرج منهم ، وكل شخص سوى الإثني عشر — حسبهم – مغتصب للخلافة .وهو سر تغييرهم لفكرة أولوية خلافة علي من مجرد فكرة إنسانية تختص بطائفة من المسلمين إلى – نظرية إلهية – من خالفها فقد خالف النص الإلهي.

– تصور الخوارج للخليفة قائم على حق الجميع في هذا المنصب وفق نظرية الأهلية والقدرة ، وتطبيق النصوص الشرعية يكون على ظاهرها.

– نظرية أهل السنة قائمة على الطاعة العمياء للحاكم وعدم نقده وهي تخالف النصوص الشرعية التي تبين صفات الإمام وسيرة الصاحبة الأربعة رضي الله عنهم في الخلافة ، فهي تحتاج إلى مراجعة جادة.

– أخطر النتائج العقدية الناتجة عن الخلاف حول مسألة الخلافة هو ظهور التكفير الذي تحول إلى إرهاب في عصرنا الحاضر.

– الاختلافات الأساسية بين الفرق الإسلامية بشكل عام وبين الطوائف الأربعة البارزة التي تناولتها في البحث حول مسألة الخلافة قديما كانت في بداياتها سياسية ، ثم تحولت إلى عقائدية ، وأول منعطف للخلاف ظهر في التاريخ الإسلامي أدى إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعد تشكل الفرق تحوّل إلى خلاف مذهبي وطائفي وشعوبي ، ومن بين أهم المسائل العقدية الناتجة عنه مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان ومسألة مرتكب الكبيرة.

– الاختلافات الأساسية بين السنة والشيعة تنحصر في أمرين أساسيين: الأول: قول الشيعة أن الإمامة ركن من أركان الدين وضرورة ملازمة له ، وأن الإمامة في كل العصور وإلى قيام الساعة لابد أن يكون في أبناء علي من فاطمة – رضي الله عنهم — و الثاني: أن الإمامة بمنزلة النبوة نظرية خاطئة وهي

تتعارض مع عقيدة أهل السنة التي ترى أن مسألة الخلافة والحكم من المسائل الفقهية المنضوية تحت السياسة الشرعية.

– البحث الموضوعي في مسألة الخلافة يتبين له أن الكثير من الحكام باسم أهل السنة طبقوا نظرية العصمة في الميدان ، بينما غابت نظرية الشيعة عن الواقع وبقيت مجرد نظرية بسبب عدم ممارسة الأئمة المعصومين للحكم.

– كل من الخوارج والشيعة والمعتزلة استطاعوا أن يقفوا في وجه الحاكم و يتخذوا موقفا عقديا ولو كان عدائيا وجائرا في كثير من الحالات خاصة موقفهم من الخلفاء الراشدين ، مع تفاوت بين حدة المواقف بينهما ، ثم سحبوا تلك المواقف على حكّام المسلمين بعد الخلفاء الراشدين ، وعلى العكس منهم فقد بنى أهل السنة مواقفهم على نظرية وجوب الطاعة للحاكم ، ولم يستطيعوا الخروج عنها حتى مع حكام الجور ، فأوجبوها نظريا للذي يقيم شرع الله ، والتزموا بها مع من لا يقيم شرع الله.

– الأمة الإسلامية نسيت دورها الحضاري والقيادي للعالم وبقيت تجتر أحداث الماضي وتورثها للأجيال ولا يمكن استعادة الهيبة الإسلامية إلا بطي صفحة هذا الخلاف العقيم.

– العودة على الكتاب والسنة وحسن فهمهما يقيم النظام ، وفي مقابل ذلك فإن البعد عنهما أو سوء الفهم والتوظيف لهما يؤدي حتما إلى زيادة الفرقة والتشتت.

– الحل في الراهن هو التوجه إلى الدولة المدنية التي تحكم بالشريعة الإسلامية ، ومجموع دوله تشكل فدراليات ضمن الجامعة الإسلامية التي نادى بها رشيد رضا وعبد الرزاق السنهوري وغيرهما.

– ما دام الخلاف في حول الخلافة في أصله خلافا فرعيا فيمكن تجاوزه ، شريطة تجاوز أحداث الماضي التي صارت تعد من التاريخ فعلي رضي الله عنه لن يعود إلى الخلافة و آل مروان وآل العباس قد اندثروا فلما الخلاف على ماض لن يعود.

ثانيا: التوصيات

نورد فيما يلي أهم التوصيات

– لابد من الاهتمام في الدراسات المعاصرة في مجال الفكر العقدي بشق النقد البناء ، وتجاوز المصطلحات الهدامة كالتكفير والإرهاب .

– التجرد من المذهبية والطائفية الضيقة والنظر إلى سعة الإسلام هو السبيل إلى توحيد الأمة الإسلامية من جديد.

– نوصي بالقراءة الواعية للتاريخ الإسلامي لأنه مصدر مهّم في الدراسات العقدية .

– مسايرة الدراسات العقدية للواقع لا يعني التخلي عن الماضي بالكلية ، ولكن البقاء رهن الماضي لا يفيد الإسلام والمسلمين والإنسانية في شيء ، بل يجب أخذ الإيجابيات التي تميزت بها كل الفرق الإسلامية دون استثناء وطرح السلبيات ، فكل له ما له وعليه ما عليه.

– توجيه الباحثين في المسائل العقدية المتعلقة بالخلافة إلى إعادة دراسة ما يتعلق بشروط الإمامة عند أهل السنة لأنها تحتاج إلى نقد وإعادة نظر.

– يحتاج الفكر الشيعي إلى التصحيح والتنقيح والمراجعة الجذرية من طرف بحثة أهل السنة والشيعة – على حد سواء – حتى ينقى من الشوائب التي علقت به ، كما يحتاج عامة معتنقيه إلى مد يد العون ، لا إلى مزيد من التشنيع والتجريح ، فذنب العامة في رقبة الخاصة الذين إن أحسنوا توجيههم و ردهم إلى المسار الصحيح أفلحوا ونجوا جميعا.

وفي الأخير فإن الباحث لا يدعي أنه وصل إلى نتائج نهائية وإنما هي مجرد حلقة في سلسلة البحث المتواصل ويسأل ربه أن يتجاوز عن عثراته ، ويقيه الزلات ، ويتقبل عمله هذا ويجعله في ميزان الحسنات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة باللغة العربية:

تعد مسألة الخلافة من المسائل الحساسة التي أرقت الباحثين في القديم والحديث إلا أن تناولها من الجانب العقدي يكاد يكون غائبا عند الباحثين المتخصصين إذا ما استثنينا علماء الكلام ومؤلفي الفرق ، لكن اللافت للانتباه أن كلا منهم نظر إليها من زاوية التيار أو المدرسة التي ينتمي إليها ، الأمر الذي دفع الباحث إلى محاولة التأصيل لهذه المسألة عقديا ، فعنون أطروحته ب: **التأصيل المنهجي لجمع الآراء العقدية في مسألة الخلافة** .

قسم الباحث أطروحته إلى أربعة فصول حيث عاد في فصلها الأول إلى الخلافة في صدر الإسلام ، وتحديدا إلى عصر الخلفاء الراشدين هذه المرحلة التي جعلها الأساس الذي استنبطت منه كيفيات تعيين الخليفة أما الفصل الثاني وعنوانه : تحول نظام الحكم بعد مرحلة الراشدين والمواقف العقدية التي تبعته ، فقد تناولت فيه مرحلتي الحكم الأموي والعباسي اللتين تميزتا بتحول نظام الحكم من خلافة إلى نظام ملكي وراثي داخل الأسرة الواحدة ، الأمر أدى إلى ظهور الفرق وتبلور آرائها العقدية في المسألة .

الفصل الثالث بعنوان: أصول الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام ومواقفها من الخلافة ، جمع فيه الباحث أهم الآراء العقدية والنظريات التي صاغتها الفرق الرئيسية وبررت بها مواقفها من الخلافة والحكم ، حيث بدأ بعرض آراء الخوارج ومواقفهم من الخلافة على اعتبار أنهم أول الفرق ظهورا ، ثم جاءت الشيعة من بعدهم ، ليأتي الدور على المعتزلة ، وترك أهل السنة للمبحث الأخير على اعتبار أن الخلافة في جل أوقاتها كانت سنية.

أما الفصل الأخير من الدراسة فقد ضمنته أهم الجهود التي قام بعض مفكري العصر الحديث شيعة وسنة في سعيهم لإعادة الخلافة ، وأهم نظريات كل فريق ، ثم عرض النظريات الجامعة لكلا المذهبين على اعتبار أن الصراع على الحكم في العالم الإسلامي انحصر في الحاضر بين هاتين الطائفتين.

وفي الأخير عرض الباحث أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها كخاتمة لبحثه وصلى الله على نبينا محمد.

Methodological rooting for the collection of doctrinal views on the issue of succession

Summary of the letter:

The issue of succession(el-khilapha) is one of the most sensitive issues that have plagued scholars in the old and even naw. However, it is almost absent from the scholarly side of the specialized scholars, except for the scholars of speech and the authors of the difference, but it is interesting to note that each of them is viewed from the perspective of the current or school to which he belongs.

Which prompted the researcher to attempt to root this issue in a contract, the title of his thesis: **systematic rooting to collect the doctrinal views on the issue of succession.**

The researcher had divided his paper into four chapters where he returned back to the origine beginning of - the Caliphate - in the origin of Islam specifically to the era of the Caliphs, which made it the basis from which the ways of appointing Caliphs had been taken a started.

In the second chapter he moved to the **Umayyad and Abbasid era in whith the rule**, which characterized the transformation of the system of government from the Caliphate To the system of genetic inheritance within the family as well as the emergence of the difference and the crystallization of the views of the nodal in the matter.

with the researcher in the third chapter of this study, where he collected the most important doctrinal views and the rules and theories on which the main teams were based and justified their positions of succession and governance, Urge the presentation of the views of **the Kharijites** and their positions of the Caliphate on the grounds that they are the first visible teams, and then came **the Shiites** after them, to come the role of the **Mu'tazilah** and then **the Sunnis**.

As for the last chapter of the study, the researcher dealt with the opinions and stances of the tendencies of the currents and the difference that spread in the present age, focusing on the Shiites, Kharijis and Ahl al-Sunna, considering that the sectarian and sectarian struggle today took a turn to another, Finally, the researcher presented the most important findings and recommendations that he concluded as a conclusion to his research and prayed to our Prophet Muhammad.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* ملخص بالفرنيسة

L'enracinement méthodologique pour la collecte des points de vue doctrinaux sur la question du califat

Résumé de la thèse:

Les résultats du califat sont l'une des questions les plus sensibles qui ont tourmenté les scientifiques dans les temps anciens et modernes. Cependant, il est presque absent de l'aspect scientifique des scientifiques spécialisés, à l'exception des scientifiques de la parole et les auteurs de la différence, mais il est intéressant de noter que chacun d'entre eux est vu du point de vue qu'il appartient. Ce qui a poussé le chercheur à tenter d'éradiquer ce problème en une décennie, le titre de sa thèse**: l'enracinement systématique de vues idéologiques sur la question de la succession**.

Le chercheur a été divisé en catre termes revenir au point de départ - le califat - l'origine de l'islam en particulier à l'époque des califes, ce qui en fait la fondation qui a développé les méthodes de nomination du Calife, puis dans le deuxième chapitre de la règle omeyyade et abbasside qui caractérise la transformation de l'état du système de Califat au système d'héritage génétique et l'émergence de la différence et se cristallisent dans ce domaine, car il est le plus important dans l'étude du sujet, les plus importantes vues de la jurisprudence, les règles et les théories qui sous-tendent la principale différence sur les attitudes de la succession et de la gouvernance, a exhorté la présentation des points de vue des Kharijites et des sites de succession au motif qu'ils sont la première différence visible, Les Chiites sont venus de la guerre Passion au rôle de Mu'tazila alors l'année. Le dernier chapitre de l'étude a porté sur les points de vue des chercheurs et des positions des courants de tendances et de la différence qui est répandue à l'époque actuelle, avec un accent sur les Chiites et les diplômés et les Sunnites, comme sectaires Enfin, le chercheur a présenté les conclusions les plus importantes et les recommandations de l'examen et ses prières au Prophète Muhammad.

قائمة

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم ، مصحف المدينة الإلكتروني.

2- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 1994م .

3- حمودة غرابة ، أبو الحسن الأشعري ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1393هـ – 1973م .

4- محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة التراث، القاهرة ، ط7 ، د ت .

5 – ول وايرل ديورانت ، قصة الحضارة عصر الإيمان ، تر محمد بدران ، دار الجيل للطبع ، بيروت ، د ط 1408 هـ – 1988م.

6- ابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، تح محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ – 1998م.

7- ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي ، الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، دط ،1957م

8- أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، غياث الأمم في دياث الظلم ، الغياثي ،تح عبد العظيم الديب ، مطابع الدوحة الحديثة ،كلية الشريعة جامعة قطر،ط1، 1400 هـ.

9- أبو عبد الله بن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح علي سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، دت ، ج1 ، ص92.

10- أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، صحيح ابن حبان ، تح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر ، ط1 ، 1372هـ – 1952م .

11- أحمد بن جعفر بن وهب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1960م ،ج2 ، ص133.

12- أحمد بن حنبل ، شرح أصول السنة ، بشرح عبد الله الجبرين ، مكتبة دار المسير ن الرياض ، م ع س ، ط2 ، 1420هـ .

12- أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، تح وصي الله بن عباس ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى ، م ع س ، ط 1، 1403 هـ – 1983 م.

14- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر،ط1 ،1399هـ – 1989م.

15- أحمد شوقي الفنجري ، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ، 1990 م.
16- أسعد وحيد القاسم، حقيقة الشيعة الاثني عشرية من كتب صحاح السنة، مؤسسة الغدير، بيروت ، ط5، ص420هـ - 1999م.
17- الترمذي ، أبو عيسى محمد ين عيسى بن سورة الضحاك ، الجامع الكبير(سنن الترمذي) ، تح شعيب الأرنؤوط وسعيد اللحام، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2009 م.
18- الخميني ، الحكومة الإسلامية ، شبكة الفكر ، ط3 ، دت .
19 - العاملي ، محمد بن الحسن الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة تكملة الوسائل ، تح محمد ابن محمد الحسين القائيني ، مؤسسة معارف الإمام الرضا ، ط1 ، 1379 هـ.
20- الكليني ، الكافي ، تح علي أكبر الغفاري، مطبعة الحيدري، دار الكتب الإسلامية، إيران ، ط5، دت.
21- أيمن إبراهيم ، الإسلام والسلطان والحكم ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ،سوريا ، ط1 ، 1998م.
22- بلقاسم غالي، أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية ، دار التركي للنشر، المطابع الموحدة، تونس، دط ، 1989م.
23- ثروت الخرباوي، قلب الإخوان محاكم تفتيش الجماعة ،دار الهلال ، دط ، 2010 م.
24- جلال الدين السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تح سعد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ،ط1 ،1424 هـ - 2003م .
25- حسين أحمد الخشن، أصول الاجتهاد الكلامي، المركز الثقافي الإسلامي، مجمع الإمامين الحسنين ، لبنان، ط1، 1436هـ- 2015م.
26- خالد بن علي المرضي الغامدي ، نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية ، دار الأطلس الخضراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1430هـ – 2009م.
27- رضوان السيد ، سياسات الإسلام المعاصر، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 2015م.
28- رياض عيسى ، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق ، ط1992،1 م.

29- سهيل قاشا ، تاريخ الخلفاء الراشدين، الفتوحات الإنجازات السياسية ، دار النفائس بيروت ، لبنان، ط2 ، 2011م.
30- ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ط7، 1979م .
31- عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب ، بيروت ، دط، دت.
32- علي سليمان يحفوفي، الخلافة والخلفاء ، دار العالمية للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط1،1401 هـ -1981م .
33- عمر أبو النصر ، سيوف أمية في الحرب الإدارة ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، دط ، 1963م.
34- عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ،دار العلم للملايين بيروت ، د ط ، 1970م.
35- محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، د ت.
36- محمد بك الخضري ، مقدمة عمرية حافظ في تاريخ عمر بن الخطاب وسيرته ومناقبه ، المطبعة المصرية، دط ، دت.
37- محمد بن أحمد الأزهر،تهذيب اللغة ،مادة خلف تح عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط ، دت.
38- محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المسند لأحاديث رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، طبعة دار طوق النجاة ، دت.
39- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم واالملوك ، تح أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض، دط ، دت.
40- محمد بن عبد الرحمان الخميس ، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ، جملة ما حكاه عنهم الأشعري وقرره في مقالاته ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، د ط ، إهداءات 2002 م.
41- محمد رشيد رضا ، الخلافة ، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ، دط ، 2012م.
42 -محمد رضا ، تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ، د ط ، 1355هـ – 1936م.
43 - محمد علي السالوس، مع الإثني عشرية في الأصول والفروع ، الموسوعة شاملة، دار الفضيلة ، الرياض، ط1، 2003 م.

44- محمد الغزالي ن المحاور الخمسة في القرآن الكريم ، دار الشروق القاهرة ، ط3 ، 1427هـ – 2007م

45 - مصطفى شاكر ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دط ، دت.

46- مصطفى عبد الجواد محمود، الأحزاب السياسية في النظام السياسي والدستوري الحديث والنظام الإسلامي ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ -2003م.

47- مصطفى فايدة ، تأسيس عمر للديوان ، مركز الملك فهد للبحوث والدراسات، الرياض، ط1 ، 1418هـ – 1997م.

48 - ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، دط دت.

49- ابن عبد الرحمان الملطي ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زينهم ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ط1، 1993- 1413 هـ.

50 - ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1420هـ – 1999م.

51- ابن قتيبة أبو عبد الله بن مسلم الدينوري ، الإمامة والسياسة ، تح خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1414هـ -1997م.

52- ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1، 1346هـ- 1928م.

53- ابن منظور ، أحمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ،دار صادر ، بيروت ، دط ، 1956م .

54- أبو الأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، تر أحمد إدريس ، دار القلم ، الكويت ، ط1، 1398هـ – 1978م.

55- أبو الأعلى المودودي ، نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ، تر جليل حسن الإصلاحي مراجعة مسعود الندوي ومحمد عاصم حداد ، دار الفكر ، بيروت ، د ط ، 1969 ، ص251.

56 - أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر، دط ، 1988م.

57- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،تح سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط ، دت.

58- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد .

59- أبو الحسن محمد بن موسى النوبختي ، فرق الشيعة ، تح هـ ريتر ، مطبعة الدولة ،اسطنبول تركيا دط، 1931م.
60- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، دط ،1418هـ - 1997م.
61- أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 1434هـ - 2013 م.
62- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين، تح أحمد صقر ، منشورات الشريف الرضي، قم ، إيران ، ط2 ، 1416هـ.
63- أبو القاسم بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تح أحمد سعد حمدان ، ط2 ، 1411هـ .
64 - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تلخيص كتاب الشافي في الإمامة وإبطال حجج العامة، تح السيد حسن بحر العلوم ، دط ، دت.
65- أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تعليق محمود بيجو، ط1، دمشق،1413هـ-1993م.
66- أبو عبيد البكري ، المسالك والممالك ،تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، تر سعد غراب ، دار الغرب الإسلامي والدار العربية للكتاب ، درمك ، دط ، 1992 م.
67- أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تح عبد الله خليف، دار الجامعات المصرية، دط ،دت.
68- أبي القاسم البلخي و القاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر، دط ، دت.
69- أبي المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين ،تح محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط1 ، 2010م.
70 - أحمد الكاتب ، البيان الشيعي الجديد ،2008/12/29م ، ص8،www.alkatib.co.uk
http://www.youtube.com/watch?v=a94eiRwKGJQ
71- أحمد الكاتب ، تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد ، بيروت ، ط1 ، 1998م .

72 - أحمد بن علي بن أحمد القشلندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب بيروت، دط، دت .
73- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2000 م.
74- أحمد عبد الحليم بن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تح ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، دط ، دت .
75- أحمد محمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط1، 1985م.
76 - إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاريخ اللغة وصحاح العربية ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، دط، دت.
77- إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، مراجعة أنس محمد الشامي ومحمد سعيد محمد، دار البيان العربي ، مصر، دط ، دت.
78- الأصفهاني الراغب ، حسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ – 1988م.
79- الخميني ، كشف الأسرار ، مكتبة نرجس ، دط ، دت.
80- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء ، تح ، سعد محمود عقيل، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1424 هـ ، 2003 م.
81- الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح أحمد فهمي محمد ،دار السرور ، بيروت، ط1 ، 1368هـ – 1948م.
82 - القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تح طه حسين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دط ، دت.
83- المسعودي ، أبي الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مر كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 1425هـ – 2005 م.
84- الموسوي ، محسن الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ، تص وتع علي حسن الأعلمي ، منشورات مكتبة الصدر، ط3 ، 2015 م.
85- النووي ، محي الدين يحي أبي زكريا يحي بن شرف النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، المطبعة المصرية، دط ، دت.

86- أندريه جيروليماتوس ، قصور من الرمل قرن من التجسس والتدخل الأنكلوأمريكي في الشرق الأوسط ، ترجمة أنطوان باسيل ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2012 م.
87- بلقاسم غالي، أبو منصور الماتريدي، حياته ، وآراؤه العقدية، دار التركي للنشر، المطابع الموحدة ، تونس، 1989م.
88- بوزياني الدراجي ، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دط، 2007م.
89- ج ن كولسون، في تاريخ التشريع الإسلامي ، تر محمد أحمد سراج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
90 - جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، 1990م.
91- جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ، صفة الصفوة ، تح خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ط ، 1433هـ - 2012م.
92- جمال الدين الطبري أبو العباس أحمد بن عبد الله ، الرياض الخضرة في السيرة ، مطبعة الخانجي ، دط، دت.
93 - جمعة أمين عبد العزيز ، جماعة الإخوان ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 2003م.
94 - حجة الله نيكوئي ، نظرية الإمامة في ميزان النقد ، تر سعد محمود رستم ، موقع إجتهادات -1- . www.IJtehadat.com K،
95- حسن البنا، مجموعة الرسائل، شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر، دط ، 1988م .
96 - حسن البنا، مجموعة الرسائل، شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر،دط ، 1988م.
97- حكمت الرحمة ، تلخيص كتاب أئمة أهل البيت في كتب السنة ، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، قم ، ط1، 1428هـ.
98- حورية عبده سلام ، الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العهد العباسي الأول 132- 232هـ ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1430هـ - 2009 م.
99- رضوان السيد، سياسات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات، جداول للنشر والترجمة ، بيروت ط2، 2015 م.
100- زهدي جار الله ، المعتزلة ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، دط ، 1974 م.

101- زين الدين عمر بن الوردي ، المختصر في تاريخ البشر ، تح رفعت البداوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1، 1970م .
102- سالم البهنساوي ، الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية تفسير سياسي ، مؤسسة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1 ،ص8.
103- سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في بلاد المغرب العصر الذهبي 172- 223هـ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1، 1408هـ - 1987م ، ص115.
104- سلمان فياض ، الوجه الآخر للخلافة الإسلامية ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط1، 1999م.
105- سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، مكتبة الإمام البخاري،ط1، 1420هـ، 2000م.
106- سليمان معروف ، قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط1، دت.
107- سميح الدغيم ، فلسفة القدر عند المعتزلة، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1996م.
108- سيد هاشم البحراني، المعالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى، تح مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، ط1، دت.
109- شمس الدين محمد بن عثمان بن قايمز الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419 هـ- 1998م.
110- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف ، القاهرة ، ط16 ، 2004م.
111- عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، الفصول المهمة في تأليف الأمة، تح حسين الراضي، مدرسة الشهيدين، دط، 1394هـ.
112- عبد الرحمان بن أحمد ، عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام ، عالم الكتب، دط ، دت.
113- عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط1 2004 م.
114- عبد الرزاق أحمد السنهوري ، فقه الخلافة لتصبح عصبة أمم شرقية ، تح توفيق الشاوي ونادية عبد الرزاق السنهوري ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، منشورات الحلبي ، ط1 ، 2008م.

115- عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي والإداري والمالي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط2 ، 2009م.
116- عبد القادر عودة ،الإسلام وأوضاعنا السياسية ، الزيتونة للنشر والتوزيع ، تونس ، دط ، دت.
117 - عبد الله أمين ، نعي فقيد الإسلام والمسلمين، مجلة المنار ،ع 235 ، ج2 .
118 - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الفصل في الأهواء والملل والنحل ، مطبعة بيروت ، ط1 ، 1321هـ.
119- عمر سليمان الأشقر ، أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم، دار النفائس ، عمان الأردن ، ط1، 1413هـ ، 1993 م.
120- غالب بن علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط4 ، 1422هـ – 2001م.
121- فؤاد أحمد زمرلي، عقائد أئمة السلف، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1، 1415هـ – 1995م.
122- لؤي الصافي ، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 ، 1416 هـ - 1996م.
123 - ماجد لحام ، عبد الله بن الزبير العائذ بالبيت الحرام ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1415 هـ ، 1995 م.
124- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ، د ط ، 1994 م.
125- محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، تح علاء آل جعفر ، مؤسسة الامام علي ، دط ، دت .
126- محمد العبدة وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، ضمن السلسلة الثانية دراسات في الفرق، دار الأرقم برمنغهام، ط1، 1408هـ -1987م.
127 - محمد الكتاني ، الصراع القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة ، الدار البيضاء ط1، 1982 ، ج1.
128- محمد الناصري ، مفهوم الحاكمية من أجل تجاوز إشكاليات المفهوم والتوظيف الإيديولوجي ،، سلسلة السياق المعاصر (04) ، الرابطة المحمدية للعلماء ، المملكة المغربية.
129- محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، دار الرضا للطباعة والنشر، بيروت ، دط ، دت.

130 – محمد بدر الدين بن يوسف المغربي الحسني ، فتح الوهاب في موافقات عمر بن الخطاب ، تح طارق فارس ، شبكة الألوكة ، ط1 ، 1435هـ – 2014 م .
131– محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تح سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دط، دت.
132– محمد بن عبد الرحمان المغراوي، موقف الإمام مالك من العقيدة السلفية، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1416هـ- 1996م.
133– محمد بن عبد الكريم بن بن أبي بكر الشهرستاني ، الملل والنحل ،تحمحمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ.
134– محمد جمال باروت ، نظرية الحاكمية في الفكر الإسلامي المعاصر ومفهومها لحقوق الإنسان ، ضمن حقوق الإنسان في الفكرالعربي دراسات في النصوص ، محمد عابد الجابري وآخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2002م.
135– محمد شحرور ، الدين والسلطة ، قراءة معاصرة للحاكمية ، دار الساقي، بيروت ، ط1 ، 2014م.
136 – محمد عبد الحليم حامد ، معا في طريق لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشهيد حسن البنا ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 1988م.
137– محمد عبد الحميد الحمد ، الطريق من دمشق إلى قرطبة استعادة تاريخ ضائع ، الهيئة السورية العامة للكتاب ، دط ، دت.
138 – محمد عبد الله السلمان ، محمد رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة المعلا للنشر ، الكويت ، ط1 ، 1988م.
139– محمد محمود شاكر ، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مكتبة الخانجي ، مصر، دط ، دت.
140 –محمد محمود شاكر، التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ، د ت.
141– محمود إسماعيل عبد الرزاق، الأغالبة (184 – 296هـ) سياستهم الخارجية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مؤسسة الهرم ، مصر، ط3 ، 2000م .
142– محمود الشهابي الخراساني، الإسلام والشيعة الإمامية في أساسها التاريخي وكيانها الاعتقادي ، مؤسسة النشر طهران ، ط1 ،2001م .
143– موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، ط 1428 هـ - 2007م
.http://wwwkhomainy.com/ID37

144- ناصر بن عبد الله القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ، دار الرضا للنشر والتوزيع ، مصر، ط3 ، 1418هـ- 1998م ، ج2 .
145- ناصر عبد الكريم العقل، رسائل ودراسات في منهج أهل السنة (17)، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات المعاصرة منها ، دار الوطن للنشر، ط 1، 1412هـ.
146- هانم إبراهيم يوسف ، أصل العدل عند المعتزلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، 1993 م
147- ياسر طالب الخزاعلة ، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين ، دار الخليج للصحافة والنشر ، الأردن ، ط2 ، 2017م.
148- ابن عبد الرحمان الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح محمد زينهم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1، 1993- 1413 هـ.
149- ابن قرناس ، رسالة حول الخلافة وحكم الله ،منشورات الجمل ، كولونيا ، ألمانيا ،بغداد، ط1، 2008 م ، ص21.
150- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، العقيدة الواسطية .، تح علوي بن عبد القادر السقاف، دار السنة، الظهران ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1433هـ.
151- أحمد بن يحي بن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، تح وزانة ديقلد قلزر ، دار الكفر ، بيروت ، ط 2 ، 1407هـ – 1987م .
152 - أسامة شحادة ، المشكلة الشيعية ، كتاب الراصد 03، www.alrased.net.
153- البلاذري ،أحمد بن يحي، أنساب الأشراف ، تح سهيل زكار ورياض زركلي ،دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1996م.
154- الدينوري ، أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، تح عبد المنعم عامر ، مكتبة المثنى بغداد ، دط ، دت.
155- حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط8 ، 1996م.
156- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للطبع والتوزيع،عين مليلة، الجزائر، ط2، 2000م.
157- سليمان بن صالح الغصن ،الخوارج نشأتهم فرقهم وصفاتهم والرد على أبرز عقائدهم ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، م ع س ، ط1 ، 1430هـ ، 2009م .
158- عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 1977 م.

159- عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العلم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ، دار السلام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2007 م ، ص101.
160- عبد القادر بن شيبة الحمد ، الأديان والفرق المعاصرة ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط1 .
161- محمد بن عبد الرحمان الخميس، حوار مع أشعري ويليه الماتريدية ربيبة الكلابية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، درمك، الرياض، ط1، 1426هـ- 2005م .
- محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، دار المرتضى ، بيروت ، ط1 ، 1426هـ – 2005م .
162
163- محمد عبد الرحمان الخميس، منهج الماتريدية في العقيدة، سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة ع37 ، دار الوطن للنشر، الرياض،ط1 ، 1413 هـ.
164- محمد علي الصلابي ، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج، دار البيارق، الأردن ، ط1 ، 1998م .
165- محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم ، الصفاة ، ط3 ، 1408هـ – 1987م.
166- محمود إسماعيل ، الأدارسة حقائق جديدة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1411هـ – 1991م.
167- محمود صبحي، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1425هـ – 2004 م.
168- مرزوق العمري، نظرية الكسب عند الأشاعرة، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 2009م.

ثانيا: الرسائل الجامعية

1- زاير أبو هداج ، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2012- 2013 م.
2- لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37 – 132هـ) ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2001 م.
3- أحمد بوقجاني ، موقف الفرق الإسلامية من سياسة بني أمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان ، جامعة الجزائر – 1 – ، السنة الجامعية 1435 1436 هـ ، 2014 – 2015م.

4- أحمد حسن أبو شبيكة ، خلافة بني أمية عند علي بن الحسين المسعودي (41- 132هـ) دراسة تاريخية منهجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة غزة ، 2007 م ، 1428 هـ.
5- أسماء فتحي إبراهيم الصوفي ، حركات الخروج على الخلافة الأموية في العراق (41- 132هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة ، 1436هـ – 2015م.
6- صالح زين العابدين ، الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، 1397هـ -1977م.
7 – صالح سمصار ، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 1430 -1431هـ ، 2009 -2010م.
8- عبد الله بن علي الطعيمي، التأويل الكلامي عند الإباضية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود،1425هـ.
9 – لخضر شكير، إشكاليات نظام الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1 ، الجزائر، السنة الجامعية 1436 10-1437هـ، 2015 - 2016م .
11- ماجد بن عبد الرحمان بن عبد الله الطويل ، جهود أئمة الدعوة في تقرير مسائل الصحابة وآل البيت والإمامة والولاية ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، ط1، 1434 هـ – 2013م ، وأصل الكتاب رسالة ماجستير نوقشت بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية أصول الدين ، جامعة محمد بن سعود ، 1430هـ – 2009 م.
12- محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني ، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (60-64 هـ) ، رسالة ماجستير مطبوعة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط2 ، 1430هـ – 2009 م.
13- محمود إسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1406 هـ – 1985م.
14 – زياد يوسف محمد السيقلي ، الفكر التجديدي عند محمد رشيد رضا من خلال كتاباته في مجلة المنار ،
رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية غزة ، جانفي 2018م.

15 – أحمد عبده أحمد ، محمد رشيد رضا حياته وأدبه ، أطروحة دكتوراه ، قسم الأدب والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان، جمهورية السودان ، 1428هـ ، 2007م.

16– جمال أحمد السيد جاد المراكبي ، الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة ، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، 1414هـ.

ثالثا: المجلات العلمية

1– مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة، م15، العدد الأول.

2– صحيفة العرب اللندنية ، العدد 10788.

3– المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع ، العدد الرابع، 1435هـ – 2013م.

4– مجلة العلوم السياسية للبحوث والدراسات ، جامعة بغداد.

5 – منهج الشيخ محمد الغزالي في الإصلاح والتجديد ، أعمال الملتقى الوطني الأول ، دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام ، قسنطينة ، أفريل 2001م.

6– موقع شبكة الألوكة ، 2011/01/04م.

7– مجلة ذوات ، ع 1، 2014م.

8– جريدة الشرق الأوسط ، العدد 13078 ، 18 /09/ 2014م . 12

9– جريدة الرأي ،28 /2014/10 م ، العدد 13118.

10– مجلة الحوار المتمدن ، العدد 4693 ، 2015/01/16.

11 – منشورات مركز رووداً للدراسات، 26 أيلول (جوان) 2016م.

رابعا: المواقع الإلكترونية

02–http://alabasirah.com.

– خالد بن صالح الشمري ، مقال بعنوان فكر تنظيم دولة داعش وعلاقته بأول الخوارج المتقدمين ، موقع على بصيرة.

03–http//: www.IJtehadat.com.

– حجة الله نيكوئي ، نظرية الإمامة في ميزان النقد ، تر سعد محمود رستم ، موقع إجتهادات ،ت د 2017/10/21م .

04–http://www.etjahat.net

– علي أنزولا ،البحث عن جذور فكر داعش في التاريخ ، موقع اتجاهات الإخباري ، 15 /08 / 2014م.

05-http ://stindies. Aljazeera.net/ar/06 -

- شفيق شقير ، علماء التيار الجهادي الخطاب والدور والمستقبل ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2017/03/09م.

06-http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/120468-2009-10-25%2014-20-23.html

07-http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/120468-2009-10-.25%2014-20-23.html

08- نبيل غزال ، التيار المدخلي النشأة والتوظيف ، مقال بموقع هوية بريس الإخباري ، 2016/04/40م.

09-http//raseef22.com

-أحمد الجدي ، المداخلة يرفضون الخروج على الحكام ويهاجمون الصوفية والإخوان يسيرون على نهج شيخهم ، موقع رصيف 22 ، ت د 2018/03/21.

11-WWW.ALKATIB.CO.UK

- أحمد الكاتب ، جذور الاستبداد في الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية ،ط4، بيروت2011م.

12-http//wahabia.com/ar/3013148

12- عادل جبوري ، مقال بجريدة اليوم ، موقع العهد الإخباري ، 07/03 /2017م.

13- عبد الفتاح خضر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي .www kotobarabia.com.

14- كريك سويل ، مقالات مقدمة في تاريخ السلفية الأردنية والجهاد في سوريا ، معهد هدسون للدراسات السياسية ، واشنطن، ترجمة الإخبارية الأردنية ، موقع نون بوست ، 2015/05/31.

15- ياسر أبو هلالة ، لقاء اليوم ، حوار ياسر أبو هلالة مع المقدسي ، المقدسي والسلفية الجهادية ، قناة الجزيرة، 2005/7/10م.

16- ألب أرسلان ، أبو الأعلى المودودي عملاق الدعوة الإسلامية ، شبكة مشكاة الإسلامية ، ت ن: 2014/06/12م.

الفهارس العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾	آل عمران	159	217
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ	النساء	59	196
فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ		59	216
وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ		86	179
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ		99	130
		100	168
وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	المائدة	44	147
فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ		48	06
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ		54	28
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ		55	167
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ	الأعراف	46	167
إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ	التوبة	40	18
فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ		83	129
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ		100	193
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ	يوسف	18	46
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا	الكهف	104/103	62
ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ	مريم	69	152
وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ	النور	22	19
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ	الشعراء	227	34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ	القصص	14	150
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ	الأحزاب	33	154
ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ	سبأ	17	149
وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ	الزمر	23	19
أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ	غافر	22	20
﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾	الشورى	38	217
قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ	الفتح	16 16	65 65
وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ	ق	19 42	30 131
خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ	القمر	07	131
وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	الحديد	10	20
مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ	المجادلة	07 10	164
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ	التغابن	02	149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي	13
أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعش	13
يا أبا بكر ؛ إن ربي جعلني بشيرا ونذيرا	16
من يكون أفضل من اثنين	19
صدقت يا حسان	19
لا يتأمر عليكما	20
ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلين	21
خير هذه الأمة	21
إن الله عز وجل اتخذني خليلا	21
إنه ليس أحد أمن علي	21
لو كنت متخذا بعد أبيك إبراهيم	21
هذان سيدا كهول أهل الجنة	21
يا علي ائتني بطبق أكتب فيه	25
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا	25
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	25
اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين	32
اللهم أعز الإسلام بعمر	32
أما آن لك يا ابن الخطاب	33
لو كان بعدي نبي	33
إن الله وضع الحق على لسان عمر	35
أن لكل نبي أمينا	37
إنه يحشر يوم القيامة	37
لا يزال بينكم وبين الفتة باب	40
عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي	41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن عثمان لأول من هاجر إلى الله	42
لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان	43
ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة	43
شهيد يقتله قومه	43
ما على عثمان ما عمل	43
من جهز جيش العسرة فله الجنة	44
إن لك أجر رجل ممن شهد بدر	44
قم أبا التراب	51
كنت و أبو بكر وعمر، وفعلت	56
تقتل عمار الفئة الباغية	59
أوصي من أمن بي	61
يخرج قوم فيهم رجل مخدع	62
أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي	59
إني رأيته في المنام	71
يا معاوية إذا ملكت فأحسن	74
إن ابني هذا سيد أهل الجنة	75
لا هجرة ولكن جهاد ونية	91
أيكم خلف الخارج في أهله	132
ويلك ومن يعدل إن لم أعدل	133
فمن يطع الله إن عصيته	133
إن من ضئضئ هذا	134
لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن	149
أمروها	150
ما من عبد قال: لا إله إلا الله	150
إني مخلف فيكم الثقلين	155
يا علي: ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه	159

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من كنت مولاه فعلي مولاه	165
اللهم إن أخي موسى سألك	167
إن هذه الأمة ستفترق	185
هم الذين على ما أنا عليه	185
عليك بالجماعة	186
إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما	187
لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده	194
الخلافة في أمتي ثلاثون سنة	195
أذكركم الله في أهل بيتي	195
من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر	196
من خلع يدا من طاعة إمام	197
إذا بويع لخليفتين	198
ومن بايع إمام فأعطاه صفقة يده	198
إذا كنتم ثلاثة	221
السلطان ظل الله في الأرض	221

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

البسملة.....
إهداء.....
شكر وعرفان.....
مقدمة.....
مدخل عام..... **01**
نظرة تاريخية في نظام الحكم..... **01**
مفاهيم أساسية حول الموضوع **03**
1 مفهوم التأصيل..... **03**
2 مفهوم المنهج **04**
3 منهج التأصيل العقدي **06**
4 الخلافة والإمامة **07**
5 ــ 1 الخليفة **10**
5 ــ 2 الإمام **11**
الفصل الأول: الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين..... **12**
المبحث الأول خلافة أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ 15
المطلب الأول : أبو بكر الصديق كنيته ونسبه وصفاته قبل الإسلام 15
1 كنيته ونسبه..... 15
2 صفاته قبل الإسلام..... 16
المطلب الثاني : إسلامه وأشهر من أسلم على يديه و بعض ما جاء عنه في القرآن والسنة..... 16
1 إسلامه..... 16
2 بعض من أسلم على يديه..... 18
3 بعض ما جاء عنه في القرآن والسنة..... 18
3 – 1 بعض ما جاء عنه في القرآن الكريم..... 18
3- 2 الآثار الواردة فيه 20
المطلب الثالث : حادثة السقيفة وعقد البيعة وما يستفاد منها..... 22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 حادثة السقيفة.....22
2 عقد البيعة 24
3 ما يستفاد من حادثة السقيفة 25
المطلب الرابع: إتفاق الصحابة عليه.....28
المطلب الخامس: استخلافه عمر ووفاته رضي الله عنه.....28
1 استخلافه لعمر رضي الله عنه.....29
2 وفاته رضي الله عنه 30
المبحث الثاني : خلافة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ 31
المطلب الأول : مولده وصفاته قبل الإسلام.....31
1 نسبه ومولده..... 31
2 صفاته قبل الإسلام.....31
المطلب الثاني : إسلام عمر ــ رضي الله عنه ــ.....32
المطلب الثالث: خلافته رضي الله عنه.....33
المطلب الرابع: موافقاته وأهم أعماله 35
1 موافقاته رضي الله عنه.....35
2 أهم أعماله.....36
2 -1 تأسيسه للديوان.....36
2- 2 تغييره الدائم للولاة.....37
2 – 3 تقديمه لأهل بيت.....38
2 – 5 تركيبة الجيش في عصره 38
المطلب الخامس : وفاته وثناء الصحابة عليه رضي الله عنه.....39
1 وفاته رضي الله عنه 39
2 ثناء الصحابة عليه 40
المبحث الثالث: عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ...42
المطلب الأول: التعريف به.....42
المطلب الثاني: فضائله رضي الله عنه.....43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : استخلافه رضي الله عنه.....45
المطلب الرابع : الفتنة في عهده.....47
المطلب الخامس: استشهاده ــ رضي الله عنه ــ.....48
المبحث الرابع : الخلافة في زمن علي ــ رضي الله عنه ــ.....**15**
المطلب الأول: نسبه وإسلامه 51
1 نسبه رضي الله عنه.....51
2 إسلامه رضي الله عنه.....52
المطلب الثاني : بيعة علي رضي الله عنه.....52
المطلب الثالث : أقواله فيمن سبقه من الخلفاء وكراهيته للخلاف.....53
1 أقواله فيمن سبقه من الخلفاء 53
2 كراهيته للخلاف 54
المطلب الرابع : موقفه من قتلة عثمان ــ رضي الله عنه ــ.....56
المطلب الخامس: وقعة صفين ومسألة التحكيم 59
1 وقعة صفين 59
2 مسألة التحكيم.....60
المطلب السادس: الانقسام ظهور الخوارج.....61
1 – انقسام جيش علي رضي الله عنه 61
2 ظهور الخوارج 62
المطلب السابع: استشهاده ــ رضي الله عنه ــ 63
خلاصة.....: 65
الفصل الثاني :تحول نظام الخلافة بعد مرحلة الراشدين والمواقف العقدية التي تبعته.....**68**
المبحث الأول: الدولة الإسلامية في عصر بني أمية.....71
المطلب الأول : معاوية بن أبي سفيان إسلامه ومهامه قبل توليه الحكم.....72
1 مولده ونسبه 72
2 إسلامه 72
3 مهامه في الحكم 73

المطلب الثاني : موقفه من بيعة علي وطلبه الخلافة **73**
1 موقفه من بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه 73
2 طلبه الخلافة.. 74
المطلب الثالث: خلافة معاوية وتملكه 75
1 معاوية الخليفة 75
2 معاوية الملك 77
المطلب الرابع : ولاية يزيد مبرراتها وموقف كبار الصحابة منها 80
1 ولاية يزيد 80
2 مبررات تولية يزيد 81
3 موقف كبار الصحابة من ولاية يزيد 82
3 – 1 موقف الحسين بن علي رضي الله عنه 82
3 – 2 موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه 84
3 – 3 موقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه 84
المطلب الخامس: الفراغ السياسي وخلافة ابن الزبير 85
1 الفراغ السياسي 85
2 خلافة ابن الزبير.....87
المطلب السادس: حرب بني مروان على ابن الزبير وعودة الحكم إلى بني أمية 88
1 حرب بني مروان على ابن الزبير.....88
2 عودة الحكم إلى الأسرة الأموية 90
المبحث الثاني: الحكم الأموي بعد وفاة ابن الزبير مواقف بعض الحركات منها 93
المطلب الأول : خلافة عمر بن عبد العزيز وموقف الحركات منها 93
1 خلافته 93
2 موقف بعض الحركات من خلافة عمر بن عبد العزيز.....96
2 – 1 موقف الحركة العلوية 96
2 – 2 موقف القدرية 97
2 – 3 موقف الخوارج 97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : حكم هشام بن عبد الملك وحركات الخروج على بني أمية..... 99
1 حكم هشام بن عبد الملك 99
2 حركات الخروج على بني أمية 99
3- 1 حركة بسطام اليشكري 99
3- 2 حركة خروج وزير السجستاني 100
3 - 3 حركة المختار بن عوف الأزدي 101
2 – 4 ثورة يزيد بن الوليد 101
المطلب الثالث: حكم الوليد بن يزيد وموقف بني أمية منه 101
1 حكم الوليد بن يزيد 101
2 موقف بني أمية منه 103
المطلب الرابع: حكم مروان بن محمد ونهاية العصر الأموي 104
1 حكم مروان بن محمد 104
2 نهاية العصر الأموي 105
المبحث الثاني: الآراء العقدية التي ظهرت في صدر الخلافة العباسية وأهم الدول التي انفصلت عنها..... 106
المطلب الأول: جذور الخلافة العباسية وموقف العلويين منها 106
1 جذور الخلافة العباسية 106
2 موقف العلويين منها 108
المطلب الثاني : تأسيس الدولة وأهم خلفاء بني العباس 110
1 تأسيس الدولة 110
2 أهم خلفاء بني العباس 111
المطلب الثالث: الخلفاء الذين تأثروا بالاعتزال 112
1 المأمون بن هارون الرشيد 112
2 المعتصم بالله 113
3 الواثق بالله 114
المطلب الرابع: الخلفاء الذين حاربوا الاعتزال 114

1 المتوكل 114
2 المهتدي بالله 115
المبحث الرابع: حركات الخروج والدول التي لم تخضع للخلافة أو انفصلت عنها في المغرب الإسلامي **116**
المطلب الأول: الدولة الأموية في الأندلس وعلاقتها ببني العباس 116
1 تأسيس الدولة 116
2 علاقتها بالخلافة العباسية 117
المطلب الثاني: الدولة المدرارية مذهبها العقدي وموقف الخلافة العباسية منها 118
1 نشأة دولة بني مدرار 118
2 مذهبها العقدي 119
3 موقف الخلافة العباسية منها 119
المطلب الثالث : الدولة الرستمية مذهبها العقدي وموقف العباسيين منها 120
1 قيام الدولة الرستمية 120
2 المذهب العقدي للدولة الرستمية 121
3 موقف الخلافة العباسية منها 121
المطلب الرابع : دولة الأغالبة مذهبها وعلاقتها بالخلافة العباسية ودول الجوار 122
1 ظروف النشأة 122
2 المذهب العقدي للدولة 123
3 علاقة الأغالبة بالخلافة العباسية ودول الجوار 123
المطلب الخامس: دولة الأدارسة مذهبها وموقفها من الخلافة العباسية 124
1 نشأة الدولة الإدريسية 124
2 المذهب العقدي للأدارسة 124
3 موقف الخلافة العباسية منها 125
خلاصة.... 127
الفصل الثالث: أصول الفرق التي ظهرتفي صدر الإسلام مواقفها من الخلافة.....**129**
المبحث الأول : الخوارج 131

المطلب الأول : الخوارج تعريفهم وأصول نشأتهم 131
1 تعريفهم 131
1- 1 لغة 131
1-2 الخوارج في الاصطلاح 132
2 أصول الخوارج 133
المطلب الثاني : فرقهم الأساسية ومبادئ كل فرقة في الخلافة 136
1 فرقهم الأساسية.....136
2 مبادئ الفرق الأساسية للخوارج 137
2 -1 المحكمة الأولى.....137
2 -2 الأزارقة 138
2 -3 النجدات 139
2 -4 الصفرية 140
2 -5 الأباضية 140
المطلب الثالث: جملة مواقفهم من الخلافة الراشدة ونصب الإمام ومبرراتهم ونقدها 141
1 موقفهم من الخلافة 141
2 مواقفهم من نصب الإمام 142
3 مبرراتهم 143
3- 1 مبررات القائلين بعدم الحاجة إلى الإمام 143
3- 2 مبررات القائلين بوجوب نصب الإمام 144
المبحث الثاني: تأثيرهم السياسي وأحكامهم العقدية على مخالفيهم وأدلتهم في ذلك 145
المطلب الأول: تأثيرهم السياسي وكيفية اختيار الإمام 145
1 تأثيرهم السياسي.....145
2 كيفية اختيار الإمام 146
المطلب الثاني : أحكام الخوارج على مخالفيهم.....147
المطلب الثالث: نظريتهم في الخلافة وأدلتهم في الأحكام على مخالفيهم ونقدها 148

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 نظريتهم في الخلافة	148
2 أدلتهم على مخالفيهم	149
3 نقد أدلتهم	150
المبحث الثالث : الشيعة أصولهم وآراؤهم وموقفهم من الخلافة.....	152
المطلب الأول: التعريف بالشيعة وآل البيت.....	152
1 الشيعة في اللغة	152
2 الشيعة في الاصطلاح	152
3 آل البيت	154
المطلب الثاني : فرقهم الرئيسية وأصل التشيع وآراؤهم فيه	156
1 فرق الشيعة الرئيسية	156
1-1 الزيدية	157
1-2 الإمامية	158
1-3 الإسماعيلية	158
2 أصول التشيع وآراؤهم فيه	158
2 – 1 أصول التشيع	158
2 -2 آراؤهم في التشيع	159
المطلب الثالث : مواقف فرقهم الكبرى من الخلافة الراشدة	160
1 موقف الإمامية الإثني عشرية	161
2 موقف الزيدية	161
3 موقف الإمامية	163
المطلب الرابع: مجمل عقائدهم في أئمتهم ونقدها	166
1 عقيدتهم في علي رضي الله عنه	166
2 عقيدتهم في الأئمة	167
2 – 1 وجوب معرفة الأئمة	167
2 – 2 من لم يعرف الإمام فقد أشرك	168
المطلب الخامس: الولاية ونظرية العصمة	169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 الولاية 169
2 نظرية العصمة 170
المبحث الرابع: المعتزلة أصولهم وأهم فرقهم وتأثيرهم السياسي 172
المطلب الأول: أصول المعتزلة وتأثيرهم السياسي.....172
1 أصول المعتزلة 172
2 تأثيرهم السياسي.....176
المطلب الثاني: أهم فرق المعتزلة 177
المطلب الثالث: تأثيرهم السياسي في الحكم 178
1 المرحلة الأولى 178
2 المرحلة الثانية 180
3 المرحلة الثالثة 181
178 **المبحث الخامس: أهل السنة ودورهم وموافقهم من الخلافة**.....184
المطلب الأول: التعريف بأهل السنة 184
1 السنة لغة 184
2 أهل السنة في الاصطلاح 184
المطلب الثاني: مدارسهم الرئيسية الكبرى وموقف زعمائها من الخلافة 186
1 مدرسة المحدثين. نشأتها أصولها وموقف زعمائها من الخلافة 186
1 – 1 نشأة المدرسة 186
1 – 2 أصولها 187
1 – 3 موقف مؤسسها من الخلافة 188
2 مدرسة الأشاعرة ظهورها عقيدة مؤسسها وموقفه من مسألة الخلافة..... 189
2 – 1 ظهور المدرسة وانتشارها 189
2 – 2 عقيدة مؤسسها..... 190
2 – 3 موقفه من مسألة الخلافة 191
3 المدرسة الماتوريدية أصول نشأتها وموقف مؤسسها من الخلافة 192
3 – 1 أصول نشأتها 192

3 – 2 موقف زعيمها من الخلافة 193
المطلب الثالث : مواقفهم من الصحابة والخلفاء الراشدين 193
1 موقفهم من الصحابة..... 193
2 موقفهم من الخلفاء الراشدين 194
المطلب الرابع : نظريتهم في الخلافة وعقيدتهم في الخروج على الحاكم ومبرراتها 195
1 نظريتهم في الخلافة 195
2 عقيدتهم في الخروج على الحاكم 196
3 مبرراتها 197
خلاصة.....198
الفصل الرابع: جهود الإصلاح والنظريات الجامعة مسألة الخلافة في العصر الحديث **200**
المبحث الأول: الشيعة الحديثة موقفها من الخلافة الراشدة ونظريتها في الإمامة 202
المطلب الأول: الحكومة الخمينية الإيرانية 203
المطلب الثاني : نظرية الشيعة في الخلافة في ظل غياب المعصوم (ولاية الفقيه) 204
المطلب الثالث: الخميني موقفه من الخلافة ونقده 206
1 موقفه من الخلافة 206
2 نقد موقفه 206
المطلب الرابع : موسى الموسوي وموقفه من نظريتي الشيعة القديمة والحديثة في الإمامة 208
1 موسى الموسوي 208
2 موقفه من نظرية العصمة (النظرية القديمة) 208
3 موقفه من النظرية الحديثة 209
المطلب الخامس: نقد حجة الله نيكوئي لنظريتي الإمامة.....211
المبحث الثاني : جهود الإصلاح عند أهل السنة في العصر الحديث ونظرياتهم في الحكم (محمد رشيد رضا ، أبو الأعلى المودودي و حسن البنا) 213
المطلب الأول: محمد رشيد رضا ومشروع الخلافة ونظريته فيها 213
1 محمد رشيد رضا 213
2 مشروعه في الخلافة 214

3 نظريته في الخلافة 216
المطلب الثاني: حسن البنا ونظرته إلى نظام الحكم 219
1 حسن البنا وتأسيس حركة الإخوان (1906 – 1949م) 219
2 نظرته إلى نظام الحكم 220
المطلب الثالث: أبو الأعلى المودودي ونظرية الحاكمية الإلهية 222
1 أبو الأعلى المودودي: (1903 – 1979م) 222
2 نظرية الحاكمية الإلهية 222
المبحث الثالث : نظرية الخلافة الجامعة عبد الرزاق السنهوري وأحمد الكاتب 225
المطلب الأول: عبد الرزاق السنهوري حياته وفكره (1895 – 1971م) 225
1 حياته 225
2 فكره 226
المطلب الثاني: نظرية الخلافة وشروطها عند السنهوري 227
1 الخلافة الراشدة 229
2 الخلافة الناقصة (الحكومة الناقصة) 229
3 شروط الحكومة الناقصة عند السنهوري 230
المطلب الثالث: أحمد الكاتب وجهوده في الإصلاح 232
1 أحمد الكاتب 232
2 جهوده في الإصلاح 233
3 نظرية الكاتب في الخلافة 235
خلاصة.....234
الخاتمة..... 239
ملخص الرسالة باللغة العربية **244**
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية **245**
ملخص الرسالة باللغة الفرنسية **247**
قائمة المصادر والمراجع..... **248**
الفهارس العامة..... **264**

فهرس الآيات القرآنية 265
فهرس الأحاديث النبوية..... 267
فهرس الموضوعات 270

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير
الإسلامية